الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة المجاهدين

مدونة المحاضرات

الجزء الاول و الثاني

تشمل المحاضرات التي ألقيت في الملتقيات و الندوات
الوطنية بمناسبة الذكرى الستين لإندلاع الثورة التحريرية

الأمل
للطباعة والنشر والتوزيع
وحدة الطاهر محاوي ولاية تيزي وزو
Mobile: 0550 68 05 Email: ael_ag@yahoo.fr

الجزائر 2015

الجزء الأول

المقاومة والثورة في الجنوب الجزائري

الفهرس

- كلمة الوزير..... 9
- دور سكان منطقة ازجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي اثناء الحرب العالمية الاولى.....11

أ : هقاري محمد

- المقاومة الشعبية في تيدكلت 65

أ: عبد القادر بويه

- محاولات الولاية السادسة نشر ثورة التحرير في أقصى الجنوب الجزائري 101

أ. محمد مبارك كديده

كلما أشرق نوفمبر في أرجاء الجزائر ينبلج معه صبح من الأمل، وتشرئب فيه الأعناق إلى غد أفضل، وتتحد فيه الإرادات إلى مزيد من التنمية والبناء. ويكفي الشعب الجزائري فخرا أن عمله اليوم في الداخل والخارج هو في مستوى عمله إبان ثورته المجيدة بالأمس، وأن ذلك يضعه في مكانته اللائقة به بين الأمم، ويتيح له الانطلاق بقوة لتحقيق أقصى ما تصل إليه آماله وتطلعاته.

تهاني إلى كل بنات وأبناء الجزائر في هذا العيد الستين لاندلاع أيقونة الثورات.

العزة لله والمجد للوطن والخلود للشهداء.

مقتطف من رسالة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة إحياء الذكرى الـ 60 لاندلاع ثورة اول نوفمبر 1954

تقديم بقلم: معالي وزير المجاهدين.

في إطار رسالة وزارة المجاهدين الهادفة إلى الحفاظ على الذاكرة الوطنية، وضمن برنامج الذكرى الستين لاندلاع الثورة التحريرية المباركة، وإدراكا منّا لأهمية كتابة تاريخ المقاومة الشعبية والحركة الوطنية والثورة التحريرية بهدف نبيل يتمثّل في ربط الأجيال القادمة بماضيها المجيد، اعتبارا لكون التاريخ هو ذاكرة الأمة، ومرجعها وسراجها الذي تنير به درب المستقبل وهو خزّان القيم والمثل التي تحتاجها الأجيال لبناء حاضرها ومستقبلها، وتقديسا لأرواح الشهداء ووفاء لعهدهم، وتقديرا للتضحيات الجسام التي قدّموها من أجل تحرير البلاد والعباد من نير الاحتلال، تأتي هذه المدوّنة التي تشمل المحاضرات التي ألقيت في الندوات والملتقيات الوطنية في مختلف الولايات بمناسبة ستينية اندلاع الثورة المجيدة، مدوّنة احتوت حقائق تاريخية تناولها الباحثون والمختصّون بالدراسة والتحليل والتمحيص بحضور صانعي الحدث من المجاهدات والمجاهدين.

إن جمع أعمال الندوات والملتقيات وطبعها وتقديمها للقرّاء والمهتمين في مختلف المواقع سيقدّم لا محالة صورة ناصعة وجليّة عن ثورتنا، هذه الثورة التي كانت ومازالت وستظل ذلك العمل الذي طبع وميّز القرن العشرين لتصبح فيما بعد مرجعا تدرّس في جميع الجامعات العالمية. وعليه كان من الواجب تشجيع عملية تدوين تاريخ المقاومة والثورة الجزائرية وإخراجها في ثوب بحث أكاديمي للمحافظة على الذاكرة الوطنية.

كيف لا والثورة الجزائرية ألهمت الكثير من الكتاب والشعراء والمسرحيين والروائيين وغيرهم الذين حاولوا مواكبتها ودعمها وتمثيلها إبداعيا باعتبارها ثورة الأحرار في العالم نظرا للدور الحضاري للجزائر أمس واليوم في مساندة حركات التحرر ونشر ثقافة السلم والتعايش وتحقيق مبدأ المثاقفة والتفاعل بين الشعوب.

لأن اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954م كان نتيجة ترسبات تاريخية لنضال الشعب الجزائري منذ 1830م، حيث هبّ الشعب الجزائري منذ الغزو الفرنسي للجزائر منتفضا ورافعا لواء المقاومة ومدافعا عن حريته ومقدساته وأرضه، رافضا كل أنواع الغطرسة والقمع الاستعماري عبر مختلف مناطق الوطن ثورة أثبتت حضورها في كل المنابر الدولية، ونالت دعم الأحرار من كل الأجناس والديانات، وبقيت مصادرها المكتوبة والروايات الشفوية والشواهد المادية مصادر للأجيال المتعاقبة.

ومن هنا تأتي أهمية نشر الدراسات والبحوث المختلفة حول المقاومة والثورة التحريرية لتحقيق جملة من الأهداف أبرزها:

- المساهمة في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية بنظرة وطنية من خلال التزاوج بين البحوث الأكاديمية، والشهادات الحية.
- المحافظة على الميراث التاريخي للشعب الجزائري، وإبراز القيم والمثل العليا التي ناضل وكافح من أجلها طيلة أكثر من قرن.
- إثراء المكتبات بكتابات متخصّصة حول تاريخ المقاومة والثورة التحريرية.

وسنسعى إلى إصدار هذه المدوّنة في سلسلة متواصلة لجمع كل الدراسات والمحاضرات التي تكون خلاصة لنشاطات الوزارة في مختلف المواقع، وبالمناسبة لا يفوتني إلاّ أن اشكر كل الأساتذة والباحثين على مساهماتهم القيّمة واجتهادهم لتقديم مادة علمية تستفيد منها الأجيال في مدارسنا وجامعاتنا، مع تمنياتي لهذه السلسلة دوام الصدور.

وزير المجاهدين

الطيب زيتوني.

دور سكان منطقة ازجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي اثناء الحرب العالمية الاولى

الأستاذ : هقاري محمد

استاذ التاريخ بالمركز الجامعي تامنغست

تعتبر المقاومة في اقصي الجنوب الشرقي من اكبر واهم ردود الفعل التي عبر من خلالها سكان منطقة ازجر والهقار عن رفضهم للتوسع الفرنسي و وقوفهم سدا منيعا ضد مخططاته في هذا الجزء من الصحراء الجزائرية ما يزيد عن الثلاثين سنة هذه المقاومة التي استطاع من خلالها السكان ان يسجلوا بصمتهم في سجل التاريخ لتضاف الى بصمات المقاومات الشعبية للشعب الجزائري

في بقية انحاء الوطن الاخرى و مثلما كان للطرق الصوفية دورها في تحريك وتنشيط وتعبئة الجماهير في العديد من نواحي الوطن للمشاركة في المقاومة الشعبية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين فقد كان للحركة السنوسية هي الاخري دورها المماثل اثناء الحرب العالمية الاولي في رفع راية الجهاد وتعبئة سكان منطقة ازجر والهقار للثورة من خلال اعلانها للحرب المقدسة في شمال افريقيا وغربها وكامل ربوع الصحراء الكبرى.

دوافع التوسع الفرنسي في الصحراء:

لم تكن العوامل السالفة الذكرالمشجع الوحيد للانجليز والفرنسيين على التوسع في الصحراء الافريقية وبسط نفوذهم على مختلف اجزائها بل ان هناك دوافع سياسية واقتصادية ودينية واستراتجية حفزتهم على ذلك وهي على التالي:

1 - **القضاء على المقاومة الشعبية في الشمال:** حيث اتخذ العديد من رجال المقاومة الشعبية وزعمائه الصحراء ملاذا ومعقلا و جبهة خلفية للاعتصام بها بعد ما اضطرتهم اسباب عدم تكافؤ موازين القوة بينهم و بين العدو الفرنسي و قلة الموارد المادية و المعدات العسكري للجوء إليها و اعتماد حرب الكر و الفر فاصبحت بذلك العديد من مناطق الصحراء و واحاتها جبهات خلفية و معاقل لاعتصام الثائرين و ميدانا لتنظيم خطوط الدفاع و إعداد خطط للهجوم ضد القوات الفرنسية بالتعاون مع سكان الصحراء الذين لم يدخروا جهدا في إيواء و موازرة هؤلاء الثائرين من اجل تحرير الوطن ، بالرغم من الثمن الباهض الذي دفعوه في العديد من المرات بسبب إقدام القوات الفرنسية على قنبلة قراهم و مداشرهم و حرق واحات نخيلهم والاستيلاء على قطعان ماشيتهم لكنهم آثروا ذلك على خذلان إخوانهم المقاومين والتخلي عنهم في مثل هذه الظروف[1]

الاقتصادية: و في اعتقادي أن هذه الدوافع هي من أهم الدوافع بل إنها المحور الأساسي فيها كلها و هي و إن لم يغفلها الباحثون في

(1) احمد مريوش: «التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار1916»، المصادر ،ج11، السداسي الاول2005، ص 120 ،انظر أيضا: يحي بوعزيز: «اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقارمن خلال ما كتبوه»، الاصالة ،عدد خاص عن تاريخ منطقة الهقار بمناسبة انعقاد الملتقى 13للفكر الاسلامي بعاصمتها تمنراست ،السنة الثامنة رمضان 1979، ص65.

أبحاثهم لكنهم لم يعيروها ما هي جديرة به من توضيح و شرح و تحليل و ربط بالواقع الاقتصادي العام لفرنسا في حقبة الخمسينيات والستينيات من القرن 19 لأن الغوص في هذه الجوانب وإبراز الأحداث التاريخية المؤثرة فيها هي التي تكشف أن الدوافع الاقتصادية لتوغل الفرنسيين و غيرهم من الاوروبيين[2] في الصحراء كانت تطغى على كل الدوافع ففرنسا الحالمة بتأسيس إمبراطوريتها في إفريقيا حتى تعوض بها ما خسرته من مستعمرات في قارة أمريكا واسيا أمام منافساتها العنيدة بريطانيا كانت في هذه الفترة في حاجة ماسة إلى موارد مالية ضخمة وإمكانيات اقتصادية ومواد أولية متنوعة من أجل تغطية نفقاتهاعلى جيوشها التي تحمي و تدافع على حدود هذه الامبراطورية.

و بالتالي توفير المؤن والمعدات العسكرية اللازمة .أيضا إن هز يمة فرنسا في الحرب السبعينية 1870 أمام ألمانيا و خسارتها لمنطقتي الالزاس و اللورين[3] التي تتواجد بها مناجم الحديد و

(2) شارل اندري جوليان **تاريخ افريقيا** ،ترجمة عوض ، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ،1986ص 113

(3) عبد الفتاح ابوعليه و اسماعيل ياغي **التاريخ الاوربي المعاصر** ، دار النهضة العربية، ص416 ، انظر ايضا :عبد العزيز سليمان نوارو عبد المجيد نعنعي ، **التاريخ المعاصر اوروبا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية** ، دار النهضة ،بيروت ، 1973 ، ص404.

الفحم ، و إذا أضفنا الى هذه الانتكاسة دخول فرنسا في مواجهة مع الشيخ المقراني والحداد 1871 (ثورة القراني) في الجزائر و ما ترتب عن ذلك من تشتيت لقوتها على الجبهة الاوروبية و الجبهة الجزائرية مما ضاعف من تكلفت الانفاق على هذه الحروب دون أن ننسى دخول فرنسا في نهاية القرن 19 في مواجهة عسكرية مع الانجليزفي السودان حيث ارسلت الحكومة البريطانية الجنرال "غوردن" لمواجهة "مارشان" الفرنسي في الدفاع عن نهر النيل حيث وقف الانجليز سدا منيعا امام طموحات الفرنسيين الساعية لا يجاد منافذ للسيطرة على نهر النيل ومن خلاله فتح الابواب لسيطرتهم على شرق افريقيا و مجالاتها الحيوية[4] ، كلها اشارات ودلائل جعلت مسالة الاكتفاء بالتوسع في غرب افريقيا و الاستحواذ على بعض المجالات الحيوية فيها في انظار الفرنسيين غير قادرة على الاستجابة لطموحاتها الاقتصادية و لايمكن الاكتفاء بها لوحدها لمواجهة التحديات والرهانات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية

(4) JOSEphki- ZERBO : **histoir de l'a frique noire D'Hier à Demain.**

القسم الثاني ، ترجمة يوسف شلب الشام ، وزارة الثقافة – دمشق 1994 ص69

التي ستنتج عنها بالنسبة لمكانة دولتهم كإمبراطورية ووضعية صناعتها واقتصادها المهدد.

و في هذا الصدد تعتبر مقولة السيد بول Roy Paul le أصدق تعبير عن هذه الوضعية :« ***... اليوم التجارة ، و الصناعة الفرنسية تعاني و هي في حاجة ماسة لإيجاد مجالات حيوية للمستقبل و ان اسواق العالم القديم تغلق كل يوم امام منتوجاتنا الطبيعية و الصناعية ، نستطيع القول انه لم يبق في الكرة الارضية الا منطقتين تستطيع فيهما فرنسا اليوم القيام بالاستعمار في المستقبل هما : الهند الصنية ، وافريقية ..الجزائر تقع في بوابة عالم افريقيا ،وتمنحنا في بضع ساعات من البحر قاعدة صلبة لعمليتنا السهلة و المنظمة حيث لا يتطلب من الامر الا مد ايدينا لتحقيق امبرطوريتنا التي تعبر عن حالتنا في عالم داخل افريقية و السودان...***» .

و لم يكتفي بول لوروي "بالتعبير عن الوضعية الحرجة التي تعرفها التجارة والصناعة بل و الاقتصاد الفرنسي كله لان ابواب الاستثمارات كانت موصدة امامه ومدي الحاجة الماسة للمجالات الحيوية بل نراه يقارن حال بلده الذي لم يتخذ التدابيراللازمة لمدة النفوذ الفرنسي للحصول على على مناطق اكثر خصوبة ووفرة بالمياه لتطوير الانتاج الزراعي وتنوعة مثلها فعل نضرائهم الانجليز في شرق افريقيا حوض النيل وتبدو تبر الحصرة والالم الشديد باديه في مقولته التالية :

«... ان الارض الواقعة بين المحيط الاطلسي والمحيط الهندي والتي تعتبر الارض الاكثر انتاجا ،والاكثر غنا بالذهب في ساحل زنجبار ،حيث تسيطر بريطانيا على اعالي النيل البلد الاكثرخصوبة في افريقيا الاستوائية تمكنها من انتاج كمية كبيرة من القمح تنافس الهند واستراليا بينما نحن الفرنسيون وبرغم تواجدنا هناك عن طريق مبشرينا لم نطالب باية منطقة في سواحل زنجبار...»

و يضيف بول لوروي قائلا: *«... مزدريا و محتقرا بلده فرنسا التي لم تقم بارساء تقاليد سيا سية جديدة تتماشي وتوجه الاقتصاد العالمي انذاك لان ارساء هذه التقاليد يعتبرها كل فرنسي ومن خلالها يستطيع كل مواطن فرنسي ان يضمن ما يحتاجه من غذاء ورخاء وامن فيقول: "اذا كانت لنا سياسة وتقاليد استعمارية فكل فرنسي يهمه حوض نهر النيجر وروافده وكل الحوض الداخل لبحيرة تشاد هنا تتواجد المناطق الاكثر خصوبة وانتاجا وسكانا (دول الهوسا، سكوتو ،برنو ، باقيرمي) وهذه هي هند نا الجديدة السودان...»*[5]

(5) -Philebert (G) et Gearfes Rolland :**La France en afrique et le transsaharien** ,p10.

و لهذا نجد ان الفرنسيون بعدما تمكنوا من بسط سيطرتهم على أجزاء هامة من إفريقيا جنوب الصحراء شعروا بحاجتهم لربطها مع مستعمراتهم في شمال القارة بغربها.

و هذا امر تضمنته تصريحات الكثير من المسؤولين الفرنسيين و القادة العسكريين و أكدوا عليه و أثاروه في أكثر من مناسبة بل إن عمليات الربط تلك التي تمكنهم من استنزاف خيرات القارة وجدوا ان اضمن وسيلة يمكنها ان تحقق هذه الغاية هي مد خط سكة حديدية عابرة للصحراء نحو السودان كونها تستطيع نقل اثقل البضائع باثمان زهيدة و بتكاليف اقل.

و نظرا ايضا للمزايا التي تتميز بها هذه الوسيلة عن سفينة الصحراء(الجمال). و في الواقع ان فكرة انشاء هذا الخط كانت متزامنة مع فكرة مدهم لخط ثاني للسكة الحديدية ينطلق من السنغال نحو نهر النيجر و للعلم ان فكرة الفرنسيين في انشاء هذين الخطين كانوا متاثرين بها بفكرة خط السكة الحديدية الذي انشاء سكان العالم الجديد من اجل ربط سواحل المحيط الاطلسي بمناطق الغرب الامريكي عام 1869[6] ، و إذا كان الفرنسيون قد كلفوا قادة عسكريين على درجة عالية من

(6) اسماعيل العربي **الصحراء الكبرى و شواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1983.ص 102

الكفاءة بمهة انشاء خط سكة حديد السنغال النيجرمن امثال : فيدرب لويس[7] الذي بدأ المهمة بجعل دكار العاصمة السينغالية مركز لاعداد مخططات التوغل داخل القارة و منطقة تمويل البعثات العسكرية للسيطرة على المناطق الحيوية في الداخل فان ارشينار[8] قد كلف بإنشاء خط السكة الحديدية الممتد من

(7) لويس فيدرب : ولد عام 1818 و توفي عام 1889 عينته فرنسا حاكما عاما للجزائر قبل ان يقوم بنفس المهمة في السنغال التي يعتبر المؤسس الحقيقي لعاصمتها داكار سنة 1857 و التي قدر لها ان تصبح منذ ذلك الحين مركزا لاعداد مخططات التوغل الفرنسي داخل القارة وعرفانا بمجهوداته الكبيرة و خدماته الجليلة فيما تعلق ببناء امبرطورية فرنسا في افريقيا منحته فرنسا لقب "بطل الحرب للجمهورية الفرنسية ". عثمان برايماباري :**جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي** ، دار الامين للتوزيع مصر العربية ، ص 72

(8) ارشينارد : ولد في مدينة ليافر و تابع تعليمة في المدرسة المتعددة التقنيات و تخرج منه عام 1870 كلف بالمساهمة في إنجاز مهمة عسكرية في الهند الصينية و بعد عودته منها مباشرة اصبح مدير للمدرسة المتعددة التقنيات ثم عينه بورقني د يسبور borgni disbordes لقيادة كتيبة المدفعية للسودان و كان عمره حينها 30 سنة وبدأ منذ ذلك الحين عملية الاشراف على مد خط السكة الحديدي آخذا بعين الاعتبار معطيات المناخ ، التضاريس ، وفترات ارتفاع منسوب المياه في نهر النيجر ما بين شهر اكتوبر ونوفمبر لتسمح بنقل العتاد و الجيش بواسطة الزوارق انظر:

-G. Requin : **Archinard et le soudan**, paris edition , BErGER le vrault ,1946 ,p 6,7

HENRiL'HOTE ;**lestouaregs,duhoggar**,bibliothèque scientifique deuxem èdtion,revue et augmenteè poyot,paris,1955,p381

السنيغال إلى داخل مناطق افريقيا جنوب الصحراء غير أن البرلمان الفرنسي رفض انجاز الخط الأول للأسباب التالية :

- ارتفاع تكلفة انجازه مع خط سكة حديد السنغال.
- المخاطر التي ينطوي عليها انجازه ان اصرفلاتيرعلى اتمامه بعيدا عن رضى وموافقة الطوارق وقد توقف هذا المشروع بسبب القضاء على البعثة وقائدها من طرف الطوارق سنة 1881

الدوافع الدينية: ان هذه الدوافع تدخل في اطارمشروع اتمام استراتيجية التنصيرالشامل التي وضعت الكنيسة الكاثوليكية قاعدته الاولي في الجزائر ،من خلال نظام الاباء البيض الذي وضع الكاردينالافيجري اسسه، بالتنسيق مع الحاكم العام ،في الشمال لتمتد جذوره الى باقي بلدان افريقيا جنوب الصحراء و قد أشار الكاردينال لافيجري الى هذا في مقولته : "ان الجزائر باب مفتوح بيد العناية الالهية على قارة متوحشة يعيش عليها مليونان من النفوس "وفي هذا السبيل بدات اكبر عملية لتعميد اكبر عدد ممكن من سكان الصحراء و لكي تحقق النجاح المنتظر منها سطر لها الكاردينال لافيجري مجموعة من الاهداف يمكن ان نذكر منها على سبيل المثال تكوين جيل امن الاباء والاخوات البيض و ارسالهم للصحراء لنشر تعاليم المسيح بين السكان و

انقاذ اروحهم من الشرك و الضلال و التركيز على فئة الاطفال و هذا ما من شانه ان يجعلهم يكنون الحب و الولاء للمسيح و ابنائه من النصاري و في مقدمتهم جنود الجيش الفرنسي الذي سيؤدي هذا الانجاز ان تحقق بسكان الصحراء الى فتح قلوبهم لهم والوقوف الى جانبهم و قد عبر بيجو عن ذلك قائلا لأحد القساوسة الفرنسيين الذي كان يقدم له مجموعة من الاطفال اليتامي و الفقراء،«... حاول يا ابت ان تجعلهم مسيحيين واذا فعلت ذلك فلن يعودوا الى دينهم فيطلقون علينا النار...»[9].

توفير الامن في كل ربوع الصحراء لتسهيل عملية انتقال المبشرين المتجهين الى افريقيا لاستكمال عملية التبشير التي انطلقت هناك وهذا ما اشار اليه الكردينال لافيجري حينما قال: «... في هذه الاثناء،يوجد ثلاثة من المبشرين من رجالنا في بلاد الطوارق ،وعما قريب سوف يدخلون الى تمبكتو في عزم وتصميم

(9) -رابح تركي،دراسات في التربية الاسلامية والشخصية الوطنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات ،1982 ،ص129

ليستقروا في عاصمة السودان او يلقون فيها حتفهم حبا في الحقيقة...»[10].

اقامة مجموعة من الكنائس في كل المدن الصحراوية وفي اكثرالاحياء الشعبية كثافة بالسكان ، واكثرها ايضا فقرا وفاقة يتولى المبشرون مهمة تقديم المساعدات لساكنيها من الاغذية ،و الالبسة ، الادوية وبذلك يتم التقليل من تاثيرالمرابطين ورجالها الطرق الصوفية في اوسطاهم فيتمردون عليهم وعلى الدعوات الداعية للجهاد ضد النصاري وقد بدات فعلا طلائع المبشرين تصل الى الصحراء انطلاقا من عقد الخمسينات من القرن الماضي حيث تولي الجنرال بيجو مسؤولية تنفيذ سياسة تنصيرواسعة النطاق حددها في قوله: « ... علينا ان نجعل من الارض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية تضاء ارجاؤها بنور منبع الانجيل ..تلك هي رسالتنا...»[11].

كما اغرت فصول هذا المخطط التبشيري المعد خصيصا للصحراء الاب "ريتشارد Richard"الذى الح على لافيجيري بالسماح له بالذهاب الى منطقة ازجر للقيام بعملية تمسيح الطوارق بمعية

(10)العربي، المرجع السابق ، ص110

(11) مزيان سعيدي،من مظالم السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر 1830 - 1870،جوليات ، العدد03 ، ماي 2011،ص36

الاب "كرمبون Karamabon " لكنهما لقيا نفس مصير من سبقوهم من المبشرين هناك[12] و هو الموت.

و يظهر لنا بذلك ان مخطط التبشير في الصحراء الذي اشرفت عليه الكنيسة الكاثوليكية بمعية الحكومة العامة بالجزائركان يدخل ضمن استراتجية سير الكنيسة في مقدمة ويموازاة الزحف الاستعماري في الشمال، والصحراء ايضا وان الهدف منه كذلك اعادة تنشيط و بعث الكنيسة الافريقية الرومانية على كامل التراب الجزائري[13]

و لم تكن حدود سياسة التنصير التي اعدت للشعب الجزائري تتوقف عندمجرد اخراجه،من دينه وفصله عن قيمه الروحية والحضارية بل ان حدودها تعدت ذلك الى محاولة سلخ ومسخ كل ما له صلة بالحفاظ على مكونات شخصيته الوطنية عن طريق ازالة وقطع نسيج الحصانة والاصالة التي كان و ما يزال سكان الصحراء يتمتعون بها بحكم بعدهم والى غاية ذلك الزمان عن التاثيرات الاوروبية التي اتي بها الكولون للشمال . ولم تكن قد تسربت بعد اليهم ودمجهم ضمن هذا المشروع الداعي للتحرر من

(12) l'hote :op.cit :p282

(13) ابو القاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ، دار الغرب الاسلامي، ط 2،ج3 ص111 انظر ايضا: مزيان سعيدي،مرجع سابق،ص34.

جميع قيود العقيدة الاسلامية المتزمتة والتي اعتبروها تكبل افراد الشعب وتحرمهم من الانفتاح على مظاهر الحضارة الغربية و التقدم[14].

التمهيد لها بارسال مجموعة من المستكشفين، ياتي في مقدمتهم الجنرال كافيناك[15] الذي قام بحملة في الصحراء خلال عقد الاربعينات من القرن التاسع عشر والتي استطاع ان يجمع من خلالها معلومات معتبرة عن بعض الواحات الصحراوية (بوابات الصحراء)كبسكرة وتقرت والوادي وورقلة وغرداية والاغواط...الخ لكن نظرا لان حملته لم تدم الافترة قصيرة (ما بين شهر افريل و ماي1847) لم تكن المعلومات التي تضمنتها كافية لترضي فضولهم وتحقق لهم كل ما كانوا يحتاجونه لان كافينياك وان كان قد سجل في حملته معلومات تخص السكان

(14) تركي،مرجع سابق، ص13

) كافينياك،شارك هذا الضابط قبل ان يرقي الى رتبة جنرال (1848)الى جانب 15(الجنرال كلوزيل في حصار مدينة تلمسان سنة 1835،ولما انتصر الامير عبد القادرعلى كلوزيل ا نسحب هذا الاخير الى الجزائر ،لينتقل الى فرنسا طالبا النجدة فترك وراءه كافينياك "على راس حامية عسكرية في الثلمة لحماية تلمسان ومراقبة تحركات الامير وهو الابن الرابع عشر عند Gourdon وقد ولد كافينياك في عام 1762في مدينة جوردن والديه ،ولما اصبح كافينياك شابا اصبحت له مكانة مميزة في مجتمع بلدته الصغيرة التي لم يعد اليها الا نادرا منذ ان انخرط في الجندية .انظر:

-Le Général Cavaignac : un Dictateur Republicain ,par Jegénéral IBos,librairie Hachete ,79boulevard st Germain,paris,p62

ومظاهر السطح واشكال الحكم ونشاط التجارة الصحراوية بين التل والصحراء والسودان الانه اعتمد فيها على كتابات الرحالة الذين سبقوه ومنهم: النقيب" كاريت Carette" صاحب كتاب (ابحاث في جغرافية وتجارة الجزائر الجنوبية) والرحلة "زيتشاردصون James Richardson"ويقول كافينياك مشيرا الى ذلك "ومن المعلوم ان طوابيرنا لم تصل ابدا الى الفلات ولكن حدود الفلات هذا لم يمنعنامن التلذ ذ من منظرشبيه تماما بالصحراءالكبرى" [16] ثم قام من بعده برحلة مماثلة الى الواحات الصحراوية كل من الباحث اندريان بربروجار Adrien BERBRUGGER [17] و والضابط براكس Praxوقد جمعا هما ايضا معلومات تخص جوانب مختلفة حول الصحراء وسكانها ، ثم يأتي من بعدهم في عقد الخمسينات من القرن التاسع عشرالحاكم العام للجزائر(راندون) و الذي سعي الى محاولة الدخول في علاقات مع سكان اقصي الجنوب الشرقي استدعي "حمزة بن بوبكر" [18] من قبيلة اولاد سيدي الشيخ الذي كان احد

(16) فليكس جاكو حملة الجنرال كافينياك في الصحراءالجزائرية ، ترجمة حليمة بابوش،دار الراند ،الجزائر ،2013، ص190

(17) ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية1837 -1934، دار هومة ،الجزائر 2005، ص171

(18)حمزة بن بوبكر: ينحدر اصلة حسب اغلب الروايات التاريخية من عائلة ابو بكر الصديق خليفة الرسول (ص) وقد كان لأجداده الرئاسة على قبيلة اولادسيدي الشيخ

اعيان الصحراءالطامحين والمتحمسين لخدمة الفرنسيين فتوسط بين الفرنسيين و الطوارق عن طريق الشيخ عثمان بن الحاج البكري الذي نجح في ربط الصلة بين الطرفين بعدها قام اسماعيل بوضربة برحلة الى اغدامس 1858 وقدم تقريرا حول الطرق المؤدية الهذه المدينة كما اتصل بالشيخ اخنوخن امتوكال ازجر الذي ابدي له استعداده للسماح للفرنسيين بالانضمام لنشاط التجارة الصحراوية وكانت خاتمة هذه الاتصالات رحلة "هنري دوفيري" الذي استطاع هو الاخر القيام برحلة استكشافية الى منطقة ازجر وكان دليله هو الاخر الصحراء الشيخ عثمان بن الشيخ البكري وقد توجت رحلة "هنري دوفيري" الاستكشافية بدراسة شاملة حول طوارق ازجر اما معلوماته عن الهقارفلم تكن ثمرة ابحاث قام بها في عين المكان بل كان مصدره فيها بعض اعيان منطقة ازجر وبعض التجار الذين ينشطون في ميدان التجارة الصحراوية بين المنطقتين.

و قد جمع دوفيري نتائج ابحاثه في كتاب سماه "الطوارق الشماليين les Touargs du nord"كما كانت من اكبر نتائج الرحلة

الذين كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة عند سكان الصحراء وقبيلة اولاد سيدي الشيخ تنقسم الى فرعين ،اولاد سيدي الشيخ الشرافه واولاد سيدي الشيخ الغرابة ومقرهم مدينة ليبض سيدي الشيخ انظر

-TRumelet(c) :**les Français dans le désert,journal d'un expédition,aux limites du Sahara Algérien**,paris ;1863 .p68

الاكتشافية لدوفيري هي ربط علاقات اقتصادية مع طوارق ازجر تمثلت في معاهدة اغدامس 1862[19] بين الشيخ اخنوخن وممثلي الحكومة الفرنسية باسم راندون والتي بموجبها اصبحت فرنسا طرفا في التجارة الصحراوية.

و قد فتحت هذه العلاقات الاقتصادية للفرنسيين ابواب الصحراء على مصراعيها ليس لتحقيق الارباح فقط ومنافسة الطوارق و نظرائهم الانجليز الذين كانوا اعضاء في نشاط التجارة الصحراوية قبل مجيء الفرنسيين.

لكن الملاحظة التي يجب ذكرها هي ان الفرنسيين قد استخد مواهذه العضوية في اعمال التجسس وخدمة مخططاتهم التوسعية في الصحراء سعيا منهم للسيطرة عليها وايضا استعمالها كجسرلربط مستعمراتهم في شمال القارة وغربه

أما منطقة الهقار التي اوقف الفرنسيون محاولات توغلهم فيها بعد القضاء على بعثة فلاتير 1881 فإن تكرار محاولتهم لم يكن إلا بعد مرور عشرين سنة عن طريق بعثة فيرو لامي.

حيث ايقن فيرو إن احسن حل يمكن ان يساعد الفرنسيين للتوغل في منطقة الهقار هو اعتماد مخطط عسكري محكم ،

(19) l'hote :op.cit,p379

فشرع في اعداده مع صديقة لامي Lamy قائد المنيعة الذي رحب بالفكرة ، خصوصا بعدما وصلته معلومات مفادها ان القوات الفرنسية في افريقيا الاستوائية التي تواصل زحفها نحو تشاد اصبحت على مشارف هذا البلد مما يعني ان ربط مستعمرات فرنسا في شمال القارة مع مستعمراتها الغربيه اصبح امرا واجبا[20]

و تشكلت البعثة من 10 ضباط فرنسيين و 286 جندي من المهاريست و 13 صبايحي على الاحصنه ، وانطلقت من مدينة ورقلة يوم 2 اكتوبر 1898 وعند وصولها الى عين الحجاج شرعت البعثة في اختراق الطاسيلي و منذ ذلك الحين اصبحت تحركاتها و تقدمها تحت انظار طوارق الهقار و قد ادرك الأمنوكال أهيتاغل " ان البعثة مسلحة تسليحا عسكريا يستحيل على الطوارق ان يدخلوا معها في مواجهة[21] من خلال اتباعه الذين كانوا يراقبونها ،فرد على رسالة لامي lamy التي وصلت اليه بانه يمنح الترخيص للبعثة بعبور ارضي الهقار[22] نحو السودان وكانت فرحة الفرنسيين بهذا الانجاز كبيرة لا توصف ، فقد كسرت بعثة فورولامي عقدة الخوف من الطوارق واعتبر الفرنسيون ان قوة الطوارق وجبروتهم التي كانت تؤرقهم امر مبالغ فيه وقد وفرت هذه البعثة للفرنسيين

(20) ibid, p 390
(21) ibid,p390
(22) Cauvet (G): le rid du lieutenant Cottnest au Hoggar, préface du colonel Peitier , Marseille, 1945 , p 14
: بوعزيز : ، مرجع سابق ، ص 56 انظر ايضا

من المعلومات و الملاحظات و الاجوبة عن كل الاسئلة التي كانوا في حاجة الى معرفة اجوبتها عن طبيعة ، وتضاريس ، وسكان ، الهقار ما اشفى غليلهم هذا فضلا عن معلومات علمية وسياسية لا تقدر بثمن[23] ، و بنجاح بعثة "فورولامي" في عبور منطقة الهقار نحو السودان بسلام يكون الفرنسيون احلوا لغزا من اكبر الغاز الصحراء ، بل ان انتصارهم هذا جعلهم لا يصدقون ما حصل ، وما كانوا ينتظرون ان تمر بعثتهم تلك دون ان تتعرض لردة فعل قوية و عنيفة من طرف الطوارق و ما كان يخطر على بال احد منهم ان يمنح الأمنوكال "أهيتاغل" ترخيصا بالمرور لها ردا على طلب "لامي" كيف يصدقون ذلك وهذا الاخير هو من ظل يتوعد بالقضاء على كل مسيحي تسول له نفسه القدوم الى منطقة الهقار منذ قضائه مع جنوده على بعثة فلاتيرز 1881 وقد دفع هذا التصرف "أهيتاغل" الفرنسيين للاعتقاد ان طوارق الهقار أصيبوا بالذهول و الانهيار و الرعب الشديد لما شاهدوا جنود البعثة المدججين بالأسلحة و اعتبروا ان اثار الحرب النفسية التي ظلوا يعانون منها مدة 20 سنة قد تمكنت هذه البعثة الصغيرة من ان تنقل عدوي اعراضها الى سكان الهقار لكن هل كان اعتقاد الفرنسيين وتخميناتهم في محلها ؟

(23) Le Hureux (c) , Les Français au Saharu , Preface de M.aug. Bernard , Editions Les territoire du sud Alger , p 85.

و من جهة ثانية ان المساعدة التي طلبها "أهيتاغل" لإنجاح الحرب المقدسة ضد الكفار من السلطان العثماني بعد انتصاره على حملة فلاتيرز لم يصل منها شيء للهقار[24] ، كما ان طلب المساعدة من طوارق الجنوب الشرقي اصبح شبه مستحيل من خلال الاجراءات و العمليات التي شرع الفرنسيون في اتخاذها لمنع التنسيق بين سكان ازجر و الهقار ضدهم وقد سبقت الاشارة اليها.

يضاف إلى ذلك الاستعانة بسكان تيديكلت في هذه الفترة ايضا لم يكن ممكنا لان الفرنسيون وجهوا اليها والى توات العديد من البعثات التي مكنتهم من اخضاعها و اخضاع توات ايضا[25] من بينها بعثة فلاموند flamand و اذا ما نظرنا الى جنوب منطقة الهقار فنجد كذلك ان الفرنسيون حسب الاخبار التي وردت اليهم تفيد ان قواتهم اصبحت على مشارف بحيرة تشاد وحدود المالي و النيجر

اوضاع منطقتي ازجر والهقار قبل الحرب العالمية الاولي:

1 -**منطقة ازجر:**

الحرب الايطالية التركية في ليبيا: قبل ان تندلع هذه الحرب حصل تغير مفاجئ على مستوى هرم السلطة في الدولة العثمانية سنة 1908 هذا التغير يتعلق بثورة الشباب التركي (جماعة الا تحاد والترقي)

(24) l'hote :op.cit, p 397
(25) l'hote :op.cit , p391

التي اطاحت بعرش السلطان العثماني عبد الحميد الثاني[26]، و أدت هذه الثورة الى تولي جماعة الا تحاد والترقي مقاليد الحكم في القسطنطينية و بدون شك إن هذا التغيير ادى الى حدوث تحولات كبير في السياسة التركية تجاه ليبيا كما كان له انعكاساته الواضحة على الوضع في منطقة ازجر ويتضح ذلك من خلال الاجراءات التي اقدمت عليها جماعة الاتحاد والترقي بشان المنطقة و منها:

(26) السلطان عبد الحميد الثاني ولد عام 1842 وتوفي سنة1918 اصبح سلطانا على الدولة العثمانية من 1876الى غاية 1909 كان حزب الشباب التركي "حركة تركيا الفتاة" قد خلعوا السلطان عبد العزيز واجلسوا على عرش الدولة اخاه عبد الحميد لكن هناك مؤامرة حيكت ضده وانزل على اثرها من العرش بحجة انه مجنون فاعتلي عبد الحميد الثاني العرش مكانه ،وحكم البلاد حكما استبداديا حيث احاط نفسه بمجموعة من رجال الاستخبارات اشتهر عهده بالحروب فحارب صربيا 1876 ،وروسيا (1877 -1878) وانتهى هذا السجال بعقد معاهدة سان ستيفانون التي عدلت اثناء مؤتمربرلين 1878 حارب اليونانيين وحدثت مذابح الارمن بعدها ما بين (1894 - 1896) قتل خلالها عدد كبير من الارمن.بسبب التدهور الذي كانت تعيشه المؤسسة العسكرية حصل تقارب بنية وبين المانياتوج بتعين العديد من الضباط الالمان لتدريب الجيش العثماني وحصل الالمان مقابل ذلك على امتياز انشاء سكة حديد برلين بغداد ثارعليه سنة 1908 الضابط الشبان المنتمون الى حزب تركيا الفتاة واجبروه على منح دستور للبلاد ثم خلعوه سنة 1909 وسجن في صالونيك ثم ازميرانظر: شفيق غربال **الموسوعة العربية الميسرة** ، دار احياء التراث العربي،ط 1965،المجلد 2 ،ص1180

- بعد الاطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني تم استدعاء الحاكم العالم العثماني في طرابلس (رجب باشا) الى الاستانة ليتولى منصب وزارة الحرب التركية لكن من مساوئ الصدف انه وفاه الاجل في نفس اليوم الذي وصل فيه الى اسطنبول.

- تبعه إجراء مماثل حيث تم استدعاء (جامي باي) قايم مقام مدينة غات الى الاستانة، و أدات هذه الاجراءات الى احداث فراغ سياسي و إستراتيجي في المنطقة ليس لصالح الفرنسيين الذين سوف يستغلونه كما سوف نوضح فيما يأتي من اجل السيطرة على جانت، و لكن لصالح الايطاليين ايضا الذين وجدو فيه فرصة سانحة لطالما انتظرها الايطاليون، الذين لم يفوتوا هذه الفرصة لتحويل اتفاقهم السري مع الفرنسيين سنة 1902ايشان ليبيا الى واقع مغتنمين فرصة انشغال العثمانيين بمشاكلهم الداخلية و انشغال الدول الاوروبية بالأزمة المراكشية (ازمة اغادير) 1911[27] هذه الازمة التي تشابكت خيوطها بعد فشل مؤتمر الجزيرة الخضراء1906[28] في تحقيق تسوية مقنعة للألمان بشان المغرب امام استفحال النفوذ الفرنسي المدعم من القوى الاوروبية لتعلن ايطاليا ودون سابق انذار الحرب علي العثمانيين في طرابلس[29] و تقوم

(27)يحي جلال: **المغرب الكبير العصور الحديث وهجوم الا ستعمار** ، دار النهضة العربية، بيروت ،1981، ج3، ص670

(28) نفسه ،ص 596

(29) Gardel(G) :**les touareg Ajjer** ,éditons baconnier ,p315

قواتها بغزو كل من مدن : (درنة ،طرابلس ،طبرق ، وبنغازي) ابتداء من 29 سبتمبر1911

و نظرا لضعف الدولة العثمانية كان يبدو من الواضح و منذ بداية هذه الحرب ان نتيجتها ستكون محسومة لصالح الايطاليين حيث اضطرت الدولة العثمانية بسبب ما كانت تعيشه من اضطرابات و صراع داخلي حول السلطة و بسبب حركا ت التمرد الخارجي للتنازل عن ليبيا لإيطاليا ،و جزر الديكوكانيز في بحر ايجة وهذا بعد التوقيع على معاهدة اوشي لوزان في اكتوبر 1912[30].

هذا وقد عبر الجزائريون عن حزنهم وحيرتهم و تضامنهم مع اخوانهم الليبين على لسان الصحفي "عمر بن قدور" بعد تفريط العثمانيين في هذا القطر الشقيق وابرامهم للصلح مع الايطاليين

(30)معاهدة اوشي لوزان: ابرمت بين كلا من ايطاليا والدولة العثمانية اثناء تولي جماعة الاتحاد و الترقي السلطة في تركيا واوشي هي ضاحية من ضوا حي مدينة لوزان السويسرية وقد تولي توقيعها ممثلا عن الدولة العثمانية (محمد نبيه بيك،وفخرالدين بيك) اما الجانب الايطالي فقد مثلهم كلا منزليتري،وفوسيناتو ،وجوزيبي فولبي ،انظر: www.marefa.org/index.php

انظر ايضا عن معاهدة اوشي لوزان كارل بروكلمان.تاريخ الشعوب الاسلامية.نقله الى العربية نبيه امين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1984 ص601

- La Guerre Sainte des senoussiya dans l'Afrique française(1915-1918) ,Revue africain ,publier par la société historique Algerienne,1939,p229

حيث كان يعتبر الجزائريون ليبيا ملجا ومعبرا لهم نحو الشرق فقال:"كل احد يعلم ان ضياع طرابلس الغرب وبرقة اذا مضي عليه في عقد الصلح ولوتنويها اوتلويحا ،فان الشرق يضيع اليته،وتضحي ابواب الرجاءوقد ارتجت ،فليتق الله ارباب الامر في طرابلس الغرب وبرقة[31].

في ذات الشهر الذي دخلت فيه الدولة العثمانية في مواجهة اخرى من خلال الحرب التي اعلنتها عليها في منطقة البلقان كل من اليونان ، والبلغار،وصربيا،وسكان الجبل الاسود بدعم روسي ودامت المواجهة من 1912 -1913 ومن جانبهم الفرنسيون لم يفوتوافرصة هذه المشاكل التي حلت بالاتراك ليقوموا بتسريع عملية استكمال مخططهم الهادف للسيطرة على جانت ومن خلالها كامل الصحراء خصوصا اثناءهذه الفترة التي كان فيها قادة منطقة ازجر (انقدازن والشيخ امود) غائبان عن جانت بسبب مشاركتهم في الحرب الايطالية التركية الى جانب الاتراك[32]فيعلن الفرنسيون سيطرتهم

(31) ناصرالدين سعيدوني دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، المؤسسه الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1988 ،ج2، ص265.

(32) Gardel (G) : op.cit ,p.320

-انظر ايضا: يحي بوعزيز.الاستعمارالحديث في افريقيا ،مجلة المؤرخ العربي مجلةفصلية تاريخية محكمة تعني بشؤون التراث والتاريخ العربي والعالمي تصدرعن

على واحة جانت بطريقة سليمة ودون مقاومة سنة 1911 لتصبح نهائيا جزء نفوذهم .

انعكاسات الحرب الايطالية التركية على منطقة ازجر: ادت هذه الحرب الى خلط جميع الاوراق في المنطقة وافرزت واقعا جديدا تميز بـ:

- انقلاب الموازين لصالح الايطاليين والفرنسيين.

-انسحاب الاتراك من ليبيا جعل قادة المقاومة في ازجر(السلطان امودوانقدازن)المعتصمين بمدينة غات في وضع لايحسدون عليه .

- والوضع العام في الصحراء الجزائرية او حتي علي مستوى تونس لم يكن يسمح باجراء اتصالات من اجل الحصول على الذخيرة والسلاح لمواصلة مقارعة الايطاليين،فالمنفذ البحري الوحيد الذي كان يمكن ان يعتمدوا عليه في هذا الشأن ميناء طرابلس قد سده الايطاليون عليهم هذا من جهة ومن جهة ثانية في كامل الصحراء الجزائري اغلقت عليهم كل ابواب الاتصال لطلب الامدادات و المساعدات من اخوانهم في هذه المناطق لسيطرة الفرنسيين على

الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب -العدد31 -السنة الثانية عشر 1987 ص35.

و كارل بروكلمان مرجع سابق ،ص6.

كل من واحات توات ،وتيديكلت و منطقة الهقار مع مطلع القرن العشرين .

وبالتالي فان الورقة الوحيدة التى اصبح بإمكانهم توظيفها ميدانيا هي جمع ما تبقى لهم من امكانيات حربية ساندو بها الاتراك في مواجهتهم للايطاليين والرمي بكل ثقلهم في هذه المرحلة من اجل استرجاع عاصمة اقليمهم (جانت) من ايدي الفرنسيين فاسحين المجال امام الحركة السنوسية لتتحمل عبء الجهاد ضد الايطاليين في ليبيا بزعامة الشريف احمد السنوسي و بدا المجاهدون تحت قيادة الأمنوكال انقد ازن والسلطان امود بإتمام التحضيرات لبداية الهجوم.

معركة ايسين افريل1913: لقد كانت هذه المعركة اخر مظهر من مظاهر المواجهة بين الفرنسيين و رجال المقاومة في منطقة ازجر قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى 1914 و رغم ان المدة الزمنية لهذه المعركة لم تدم الايومين الا انها كانت من اعنف و اشد ردود الافعال التي رمي فيها المجاهدون كل ثقلهم وحشدوا فيها كل لديهم من محاربين و عتاد و ذخير. و قد كانت المعركة بالنظر الى الظروف التاريخية التي وقعت فيها بمثابة انتحار حقيقي للمجاهدين لأنهم في هذه المرحلة بعد استسلام الاتراك حلفائهم الذين تخندقوا معهم وحاربوا الى جانبهم ضد الايطاليين كان من

المفروض عليهم الاستسلام هم ايضا او ينسحبوا من حلبة المواجهة كما فعل الاتراك.

و بسقوط ليبيا بيد الايطاليين خسر المجاهدون آخر المعاقل التي كانوا يعتصمون بها و يلجئون اليها عندما تضيق بهم السبل و آخر قواعدهم الخلفية التي تحمي ظهرهم ويعتمدون عليها في الاسناد والإمداد والتنسيق والحصول على السلاح و الذخير و وجد المجاهدون أنفسهم ، في هذه المرحلة بين مطرقة الايطاليين في ليبيا و سندان الفرنسيين في جانت و لم يعد أمامهم من ملجا يلجئون إليه أو منطقة يتخذنها قاعدة خلفية يعتصمون بها الا مدينة غات كما اصبح المجاهدون في غات يدركون ان بقائهم في مدينة غات لم يعد امنا لأنها ستكون هدف الايطاليين المقبل لأنها كانت احد المراكز الرئيسية في دعم الاتراك ضدهم .

وفي هذه الاثناء بات واضحا للإيطاليين ان تأخرهم في السيطرة عليها سيمنح الفرنسيين ذريعة الزحف عليها بحجة ملاحقة قادة ازجر من المعتصمين بها و هذا سيسمح لهم بتوسيع دائرة نفوذهم الى ليبيا على حساب المجال الحيوي للإيطاليين .

و خلال الاشهر التي بدا فيها المجاهدون في غات يعدون العدة لمخطط الهجوم على جانت بقيادة الشيخ امود انقدازن و القبائل الموالية لهم قام الفرنسيون با تخاذ تدابير امنية احترازية التالية :

- تعيين الملازم قاردل[33] الذي اصبح يتمتع بخبرة كبير بأمور الصحراء قائد للوحدات العسكرية المتنقلة بأزجر (مهاريست) من اجل :
- حماية القبائل الخاضعة بالمنطقة للفرنسيين و منع المتمردين من التصدي لهم
- تحضير مشروع الربط النهائي بين الوحدات الفرنسية المتنقلة بأزجر ونظيرتها في بيلما.

و من منطقة فزان توجه قاردل "مطلع شهر افريل 1913 لتنفيذ المهمة الجديدة التي كلف بها بمعية 50 جندي من المهاريست نحو منطقة ازجر عند بلوغه منطقة " تين الكوم" في 7 افريل 1913 طلب منه " النقيب شارلبية " عبر بريقة أرسلها له من جانت بالعودة الى جانت ويحذر فيها من مغبة الاصطدام بالهجوم الكبير الذي يعده المتمردون الزاحفين من غات من اجل استرجاع مدين جانت لكن الملازم قاردل وضع في حسابه قبل الالتحاق بجانت مسالة اجراء بعض التحريات و جمع بعض المعلومات عن عدد المهاجمين وعن القبائل المساندة لهم و هذا حتى يتسنى له طلب التعزيزات الكافية لمواجهتهم[34] .

(33) Gardel(G) :op.cit,p131.

(34) ابراهيم مياسي الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية **1837 -1934** ، دار هومة ، الجزائر ، 2005 ، ص537.

ايضا وضع مخطط دقيق لوقف زحفهم وافشال هجومهم قبل أن يبلغ مشارف المدينة ويربكوا الفرنسيين ويكلفونهم خسارة المدينة و فعلا عند ما تقدم قاردل الى منطقة "تين الكوم" يوم 10 أفريل نحو منطقة ايسين وصلته الاخبار عن تعداد المهاجمين الذين يفوق 300 محارب ومتطوع وبعد دخوله منطقة ايسين وقبل ان يبدا في التراجع نحو جانت تفاجا بمحاصرة المجاهدين له مع دوريته واشتبك معهم في معركة كبير .

اسفرت نتائجها بناء على التقارير الفرنسية عن مقتل جند بين فرنسيين وجرح 11اخر في الجانب الفرنسي بينما بالنسبة للجانب الجزائري فتشير ذات التقارير التي تعترف بان عددا المهاجمين كان يفوق 250 محارب فقدا سفرت الحصيلة الميدانية عن استشهاد مابين ستين وسجعين مجاهد وفرار الباقي بعد يومين من المواجهة المستمر[35]

لكن بالنظر إلى طبيعة الفرقة الفرنسية المتنقلة (مهارسيت) و إلى عدم اشارة التقارير الفرنسية إلى وصول تعزيزات عسكرية

-انظر ايضا:

Eruynand lacroze :Meharistes au combat ,editions ,France, empure ,paris, p68

(35) مياسي،مرجع سابق ،ص537

انظر أيضا:

le combat d'ensseyn :in ,Bll.COM.Afr.frs ,n°23(1913)

لميدان المعركة تشد من ازر الملازم قاردل و جنود تجعلنا نطرح العديد من التساولات حول حصيلة هذه المعركة اذ كيف يعقل ان يصمد 50 جندي فرنسي امام اكثر من 250 مجاهد و لمدة يومين و لم يقتل منهم سوى جنديين دون أن تكون لهم أسلحة متطورة أو مدافع لأن المعلومات التي ساقتها التقارير الفرنسية عن معركة ايسين 1913 تبقى في حاجة الى تدقيق و تمحيص كبيرين .

و مهما يكن من امر فإن هذه المعركة بالنسبة للمجاهدين كانت نقلة نوعية في اسلوب وطريق المواجهة ضد الفرنسيين في المنطقة قياسا بردود الافعال التي سبقتها التي كانت تتخذ من حرب الكر والفر ومظهرا لها وكانت تقصر في مجملها على قتل المبعوثين والمستكشفين او على عمليات السطو على القوافل التجارية الفرنسية اوتلك التابعة للسكان المحليين المتعاونين معهم او الاستيلاء علي ابلهم و مواشيهم فإن مواجهة المجاهدين الفرنسيين لاول مرة في ميدان مكشوف وصمودهم مدة يومين كاملين تؤكد هذه الحقيقة و اذا اخذنا بعين الاعتبار الزخم والصيت الاعلامي الكبير التي اخذته هذه المعركة والذي من خلالها ضخمت الصحافة الفرنسية الملازم قاردل وجنوده واشادة بصمودهم امام المقاومين والاكثر من ذلك قيام السلطة الفرنسية بتوشيح قاردل بصليب الحصان الشرفي دون ان تتحدث الصحافة الفرنسية عن بطولة وسبالة المجاهدين او تعترف على الاقل ان هذه

المعركة كانت من اكثر التهديدات التي واجهها الفرنسيون في الصحراء خصوصا في الظروف التاريخية الذي جرت فيه عشية اندلاع الحرب العالمية الاولى كلها اشارت او توحي بان معركة ايسين 1913 كانت من اكبر المعارك التي واجه من خلالها الفرنسيون تهديد حقيقي ليس لوحدهم في جانت فحسب بل في الصحراء كلها لواخذت نتائجها منحا اخر.

منطقة ازجر اثناء الحرب العالمية الاولى:

هناك خمسة ملاحظات لابد من الاشارة اليها عند اندلاع الحرب بالنسبة الي منطقة ازجروهي:

1/ تحول ليبيا الى جبهة من جبهات الحرب العالمية الاولي وهذا بحكم استمرار المواجهة بين الايطاليين والحركة السنوسية منذ انسحاب الاتراك من ليبيا 1912 وهذا سيكون له انعكاسه المباشر على منطقة ازجر التي كان قادتها (السلطان امود و ابوبكر اق لقوي) يحاربون الى جانب السنوسيين

2/ في سنة 1914 تمكن السنوسيون من اجبار الايطاليين للانسحاب من محيط مدينة غات و غدامس نحو الاراضي الجزائرية طلبين المساعدة من الفرنسيين كما تمكنوا من الاستيلاء على المدافع و الرشاشات و البنادق و الذخيرة التي خلفها الايطاليون ورآهم في ساحات المعارك وبانسحاب الايطاليين اصبحت الجبهة الجنوبية(الحدود الجنوبية الغربية لليبيا) مفتوحة

امام الحركة السنوسية وقادة اجر) لكن الايطاليين مكنتهم مساعدات الفرنسيين لهم من العودة للأراضي الليبية لسد الطريق امام زحف السنوسيين نحو جانت[36].

3/ في صيف سنة 1915 تستفيد الحركة السنوسية من تعزيزات عسكرية ومعدات حربية مختلفة من طرف الالمان والأتراك لمساعدتها للوقوف في وجه الفرنسيين بحكم انتمائهم للحلفاء ضد دول المحور[37].

4/ الى غاية سنة 1915 كانت ايطاليا تلتزم الحياد في الحرب فلم تنظم لا الى دول المحور و لا الى دول الحلفاء فاضطر الحلفاء الى ان يوقعوا معها معاهدة سنة لندن 1915[38] من اجل الانضمام اليهم مقابل بعض الامتيازات ومنها:

منحها جزر الديكوكانيز في البحر المتوسط و منحها جميع الحقوق العائدة للسلطان العثماني في ليبيا بمقتضي معاهدة اوشي لوزان1912 وايضا في حالة تقسيم الجزء الجزء الأسيوي من تركيا تحصل ايطاليا على حصة عادلة من منطقة "اداليا" في البحر

(36) Général Meynier :Revue Africain, publier par la société Historique Algérienne ;1939,p231

(37) luciani(D) :un document sur la guerre, lettre du sultan au grand maitre de la confrérie des senoussia,in Revue africain,1925N°322,p77

(38) عمر الديراوي الحرب العالمية الاولى، بيروت ، 1979 ،ص52

المتوسط وبعد حصول ايطاليا على هذه الضمانات والامتيازات اعلنت الحرب على تركيا يوم 20اوت 1915

5/ اعلنت الحركة السنوسية عن الحرب المقدسة في شمال افريقيا وكامل الصحراء وهذا العامل سيدفع سكان منطقتي ازجر و الهقار على الغليان والثورة تحت تأثير الدعاية السنوسية مما سوف يؤدي الى تولد ردود الفعل في المنطقتين خلال سنة 1916 خصوصا بعد الاستجابة الكبيرة التي لقيتها الدعاية السنوسية من طرف القبائل في المنطقتين.

اهم المعارك من اجل استرجاع واحة جانت: لقد كانت سنة 1916 سنة حاسمة بالنسبة لردود فعل سكان منطقة ازجر والهقار وهذا في اطار الحرب المقدسة للسنوسية ضد خصومها الفرنسيين فالغليان الثوري والنشاط المتواصل للعمليات العسكرية ضد الفرنسيين بلغ ذروته القصوى في الاشهر الاولى لمطلع هذه السنة والنتائج الميدانية المحققة كانت اكثر من مطمئنة للقادة السنوسيين وهذا ماسوف يكون عاملا يدفعهم الى توسيع عملياتهم العسكرية الى اقصى حدود الصحراء (منطقة النيجر ، و الاير)

و اذا كانت معدات ربط الاتصال بين جنود الحركة السنوسية على جبهات القتال المختلفة لا ترقى الى مستوى ما كان لدى

اعدائهم الا ان معاركهم السابقة و ما غنمه المجاهدون من اسلحة من الايطاليين و التهديد الخطير الذي سببوه للفرنسيين في الجبهة الغربية لليبيا مكنتهم من تغطية هذا الجانب كما بينت لهم انهم قادرون على الذهاب بعيدا في الحرب ، ويمكن ان نرجع عامل الثقة وقدرة القادة السنوسيين على التحكم في سير المعارك بهذه الكيفية الى عاملين:

1 - الإمدادات المتواصلة التي كانت تصلهم من طرف الالمان و الاتراك وهذا العامل قوي من قدرتهم على مواصلة الحرب و توسيع عملياتهم ومشاركة الجنود الالمان الى جانبهم في الحرب.

2 - الثمار الايجابية و المفرحة للدعاية للحرب المقدسة التى وجدت استجابة واسعه في منطقة الاير و النيجر حيث اعلنت الكثير من القبائل هناك ومن بينها منطقة قبائل الهقار ايضا التي ابدت استعدادها للانخراط في الجهاد المقدس من اجل دحر اعداء الله وقد عزز من موقف السنوسية في هذه المناطق الدور الكبير للتعبئة الذي قام به رجال الدين و المرابطون خاصة من قبائل كيل اسوك وقبائل كنته كذلك[39]

اما اذا ما عدنا الى اهم المعارك من اجل استرجاع جانت التي احتلها الفرنسيون سنة 1911 فعمليات الاستعداد لها قد بدات نهاية شهر جانفي 1916 في مدينة غات الليبية وانطلقت معاركها في

(39) محمد سعيد القشاط **الطوارق عرب الصحراء الكبرى**، ص342.

ربيع 1916 حيث قامت الحركة السنوسية بالتنسيق مع السلطان امود بن المختار والامنوكال بوبكر لقوي بالتخطيط للعمليات وذلك بحشد وتعبئة مجموعة كبيرة من الجنود والقبائل المتمردة على الفرنسيين كما اشرفوا ايضا على توفيرلها كل ما تحتاجه من اسلحة مختلفة ،رشاشات مدافع حديثة تم غنمها من الايطاليين و اعداد معتبره من الذخيرة و اوكلت مهمة قيادة هذه القوات الى السلطان امود بمعية عبد السلام النهوني والسي العابد السنوسي و توجهوا بها نحو مدينة جانت[40] و لما اصبحت هذه المجوعة على مشارف واحة جانت يوم 4 مارس 1916 الاستخبارات الفرنسية ابلغت قائد الحامية العسكرية الفرنسية في جانت "لوران لا بيير" laureent lapierre بوصول اكثر من 400 جندي مسلح بالبنادق والرشاشات بالإضافة الى بعض المدافع قد تجمعوا حول محيط جانت فقام لابيرين بتنظيم عناصر حاميته استعدادا للدفاع وفي اليوم الموالي بدأت المواجهة صباحا بإطلاق نيران مدافع المجاهدين من عيار 65 ملم على منطقة تمركز الفرنسيين داخل المدنية ليقوم لابيرين بالرد عليهم بمدفع من عيار 80 ملم واستمر الحصار على واحة جانت من طرف المجاهدين من 05 مارس الى 13 من نفس الشهر قدر خلالها لابيرين ان استمراره في مواجهة المجاهدين لن تسفر في النهاية الاعلى القضاء عليهم او تدفعه

(40) يحي بوعزيز مرجع سابق ،ص58

للاستسلام لهم وكلا الامرين لا يحبذهما فارسل حينها مبعوثين من الشعانبه المجندين في حاميته اللذين استطاعا التسلل ليلا لطلب المساعدة و النجدة من الكتيبة الفرنسية المتمركزة في سهول واد تارت ليصلوا الى الكباتان ديكلو المتمركز في برج بولينياك (باليزي) الذي ارسل على الفور 120 جندي من المهارسيت الى جانت لإنقاذ الحامية الفرنسية[41].

و قبل وصول النجدات الى الواحة كانت كميات المؤونه لحامية لابيير قد اشرفت على النفاد و كميات الماء التي لم يعد باستطاعتهم التزود بها من المنبع الذي كانوا يستغلونه بسبب حمايته من بنيران المجاهدين بالإضافة الى انقطاع الاتصال الخارجي عنه ففكر "لوران لابيير" بالفرار مع جنوده من الواحة خفية ليلة 24 مارس وبعد وصول ديكلو الى المدينة اعطى الاوامر بمواجهة السنوسيين من الجهة الغربية للمدينة ليتفاجأ ديكلو Duclo بوجود مدفعين للمجاهدين في هذه الجهة ففتحت النار بهما على مجوعته الذين سقط منهم العديد بينما لاذ هو و من بقي معه على قيد الحياة بالفرار و بذلك تم تحرير المدينة واستعادتها من طرف السنوسيين ورفع العلم التركي على زاويتها عن جديد، اما بالنسبة "للوران لابيير" الذين فر من قبل من الواحة مع من بقي معه من حاميته فقد تعقبت اثره مجموعة من المجاهدين بأمر من

(41) Meynier :op.cit ,p 236

السلطان أمود و نظرا لنقص المياه و المؤونة لديهم استطاع المجاهدين القاء القبض عليه في منطقة ادمر واقتيادهم الى واحة الكفرة التي ظل مسجونا بها الى غاية 1919[42].

استرجاع الفرنسيين لواحة جانت: بعد انهزام ديكلو بالقرب من واحة جانت و تراجعه نحو فور بولينياك سارع لطلب الدعم من برج فلاتيرس و ورقلة وهذا الانكسار الذي حصل للفرنسيين بسبب انتزاع واحة جانت منهم دفعهم الى استنفار كل قواعدهم الخلفية في الوادي و ورقلة و تماسينين من اجل انقاذ الموقف لان الامر يتعلق بانفتاح جبهة للهقار و بالتالي تسرب الثورة الى هناك و لمعالجة الموقف قام الفرنسيون بوضع مخطط اخر استعجالي لاسترجاع المدينة وفي نفس الوقت الذي دعا فيه الفرنسيون حلفائهم الايطاليين للسيطرة على مدينة غات معقل المجاهدين و نقل الحرب و المواجهة اليها لإجبارهم على الانسحاب من جانت لكن المجاهدون تمكنوا من التغلب على الايطاليين في تلك الاثناء.

في 18 أفريل اعطيت الاوامر لاستقدام قوات من ورقلة للتقدم نحو المنطقة الغربية لواحة جانت و محاصرتها كما طلب الكابتان "lemouland" السيطرة على الجانب الشرقي للمدينة اي جهة حي "الميهان" و تمركز هو في الجهة الغربية لواد جانت بالقرب من حي "اجاهيل" و تدعم بمجموعة ، مدعمة بمدفع عيار 65 ملم اما

(42) Meynier :op.cit ,p 236

منطقة الشمال لحي " ازلواز " فهي الاخرى تمت محاصرتها لتبدا المعركة بين المجاهدين والفرنسيين باستخدام المدافع و الرشاشات و ابدي المجاهدون مقاومة كبيرة لكنها انتهت في الاخيرب انسحابهم نحو مدينة غات و استرجاع المدينة من طرف الفرنسيين في 16 ماي سنة 1916 وابقى ديكلو ،على150 جندي فرنسي لضمان حمايتها[43] ، لكن انسحاب المجاهدين من واحة جانت لم يكن الغرض منه الاستسلام و التفريط في هذه الواحة و انما لتنظيم الصفوف حيث نظم المجاهدون ما بين شهر ماي الى شهر اوت 1916 العديد من العمليات الصغيرة استهدفت فور بولينياك وانزلوا خسائر كبيرة بالمهارسيت الذين يحمون البرج ثم وجهوا عملية اخرى استهدفت حاملي البريد من المهارسيت المجندين وقضت عليهم.

لتتعزز تلك العمليات الصغيرة بالهجوم الذي شنة الضابط " كاوسن khaoucen" بأمر من السي العابد السنوسي حيث كان عدد المهاجمون يتكون من 200 جندي من خيرة جنود الحركة السنوسية مع العديد من الرشاشات و توجه بهم نحو جانت وهذا بعد ان قطع عن الحامية الفرنسية بجانت كل اشكال الامدادات بفضل القبائل المحلية التي دعمتهم و اسفر الهجوم عل اخلاء جانت و جميع الاجزاء الجنوبية للطاسيلي حيث حققت هذه العمليات

(43) مياسي : مرجع سابق ص 541،542

الصغيرة نتائج هامة خسر على اثرها الفرنسيون العديد من الاسلحة و الرجال وذلك اصبح الطريق مفتوحا اما السنوسيون نحو الهقار[44]

-منطقة الهقار: اوضاع منطقة الهقار قبل الحرب العالمية الأولى تميزت باحتلال الفرنسيين لمنطقة تيدكلت القصورة المجاورة لها سنة 1900 ومكن هذا الاحتلال من جعل الفرنسيين على مرمي حجر من الهقارولم يبق لهم سوى ايجاد الذريعة التي تبرر لهم توغلهم فيه وقد اتخذوا من تعرض احدى النساء التارقيات النبيلات (فاطمة ولت مسيس)الموالية للفرنسيين للاساءة من طرف"بابه اق تمكلوست"حينما استولى على ابلها وبضاعتها في عمق الصحراء ذريعة (حادثة المروحة الثانية) لملاحقتة بعد فراره الى داخل الهقار ومحاولة القاء القبض عليه و محاكمته .

معركة تيت 7 ماي 1902: لقد جهز الفرنسيون حملة الى الهقار يقودها "الكولونيل كوتنيست" بحجة ملاحقة بابه اق تمكلوست والتي كانت تضم ايضا مجموعة من المجندين من الشعانبة وبعض المحاربين من سكان تيدكلت وعندما وصلت الحملة الى منطقة تاطروك شن كوتنيست اكتشف وجود بعض الا دوات الخا صة بالكولونيل فلاتيرس عند بعض الاهالي فاقدم على شن حرب الابادة ضد سكانها وقبل وصول الحملة الى تامنراست طبق قائدها

(44) Meynier :ibid ,p254

سياسة الارض المحروقة ضد كلالقري والمداشر التي شملها خط سير الحملة ومن تامنراست غادر اعضاء الحملة المدينةصباح يوم 07ماي باتجاه قرية تيت الواقعةعلى بعد40كلم غرب تمنراست اين جرت المعركة بين قبائل الهقارومجموعة كوتنيست دامت ما يزيد عن الساعتين وانتهت بانتصار كوتنست ومجموعته على قبائل الطوارق الهقار رغم المقاومة والصمود في المعركة الذي ابداه المقاومون[45] و كان ذلك نتيجة لعدم التوازن في نوعية السلاح ،و غياب الخبرة في ادارة المعارك والتخطيط المحكم لهاعند طوارق الهقار ، يضاف الى ذلك اجراء المعركة في ميدان مكشوف و اغلب المقاومون كانوا يركبون الجمال مما سمح لبنادق الفرنسيين بالانتصار و حسب التقارير الفرنسية كانت حصيلتها مقتل اكثر من 100شهيد[46] من قبيلة دق اغالي لوحدها بالاضافة الى اعداد كبيرة من القتلي و الجرحي من القبائل الاخرى و كانت هذه الهزيمة اضافة وفاة الامنكال اهيتاغل سنة1900[47] و شغور منصبه

(45)مياسي،مرجع سابق ص524

(46) LE Hureaux(C) :**les français au sahara**,édition les teritoires du sud alger1937,p131

(47) l'hote :op.cit,392

وكان ذا خبرة بسبب ارتباطه بخاله لمدة طويلة وقد سلرك معه في القضاء على بعثة فلاتير 1881بمنطقة اهقير.

،هذه الظروف ادخلت منطقة الهقار في مرحلة جديدة من تاريخها اهم ما ميزها حصول فراغ سياسي في هرم السلطة التقلدية بالهقار حيث لم يوصي اهيتاغل لأحد ليتولي المنصب ولذلك لجات قبائل الهقار الى محاولة ملء هذا الفراغ عن طريق اختيار امنوكال اخر عن طريق الخط الامومي.

و كان من المفروض في هذه الوضعية أن يتولي المنصب "محمد اق اورزيق "ابن الاخت الكبرى للأمنوكال المتوفي لكن نظرا لتقدم سنه تنازل عن المنصب و كان المرشح الثاني الذي يجب ان تؤول له السلطة التقليدية هو "اتسي اق املال"ابن الاخت الصغري لأهيتاغل ، و قد عزز من موقفه بين القبائل لتولي المنصب كونه رفض الخضوع للفرنسيين بعد معركة تيت وقد تبني خط المقاومة[48]

و قد هيأت هذه الاجواء للفرنسيين المجال لكي يتحكموا في مصير البلد عن طريق:

(48) حسن مرموري: الطوارق بين السلطة التقليدية و الادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين مطبعة مزوار، الوادي ، 2010 ،ص273

1 -ضرب وحدة قبائل كنفيدرالية الهقار باستخدام سياسة فرق تسد فقاموا باقصاء "اتسي" و ترشيح موسي اق امستان الذي قبل بالخضوع لهم من خلال توقيعه لمعاهدة عين صالح سنة 1904[49]

2 -تطبيق سياسة الحصار الاقتصادي: و ذلك بغلق اسواق تيديكلت وتوات و اسواق السودان امام سكان الهقار و منعهم من التموين بحاجياتهم منها و مراقبة تحركاتهم و غلق المراعي امام مواشيهم و منع الاتصال مع كل المناطق المجاورة لهم.

استقدام الاب دوفوكولد للهقار:حيث تطلبت استراتيجية "هنري لابيرين"H.lappirin "جلب دوفوكولد للمنطقة اولا لاتمام مهمة التنصير التي بداها في منطقة بني عباس سنة 1901 وثانيا بخدمة المخطط العسكري الذي اعده لابرين لمنطقة الهقار والذي كان يحتاج فيه الى رجل يثق فيه ثقة عمياء وهذا بحكم الصداقة التي كانت تربطهما من ايام الدراسة حيث اخذه معه في زيارته الى الهقار 1904 ليستقر بها نهائيا سنة 1905 .

(49) Paul pandolfi :**in salah 1904/Tamenrasset1905 les deux soumission des touaregs kel Ahaggar**,in cahiers d'étude africain,1998,p51

لقد قام دوفوكو بتغطية الاحداث الدائرة في الهقار من وصول خبر اندلاع الحرب للمنطقة في 03ديسمبر 1914 الى غاية مقتله في ديسمبر 1916 ، سواء كانت لها علاقة بالسكان وتحركاتهم او بتطورات الحرب ومجريتها على جميعا الجبهات[50] و لكي لا ينشغل الناس بأحداث الحرب فقد قام بتعتيم كبير حولها حتى لا تدفعهم للثورة او التمرد او متابعة اخبار الدعاية السنوسية، ومما قال في هذا الشان لما سئل عنها : " شعبين كبيرين اراد اكل شعبين صغرين واربعة شعوب في المواجهة(فرنسا – انجلترا في مواجهة روسيا واليابان " كما قزم من دور تركيا في الحرب وصورها بانها دويلة صغيرة كصربيا ، وبلغاريا ، وبلجيكا[51] ومن بين الامثلة التي يمكن ان نسوقها كدليل على دوره في خدمة الاستراتجية الحربية لبلاده .

ارساله لواحد و اربعين رسالة[52] الى قائد الاقاليم الصحراوية لابيرين يطلعه فيها على مختلف اوضاع منطقة الهقار وتطورات

(50) Gorrèe(G) :**sur les traces de charles de Foucauld** , les éditions la plus rancgrand Fe, paris,1936,p288

(51) ibid,p298

(52)كنته عابدين ، من سلالة عرب كنته كان لاجئا في الهقار بعد موقعة تمبكتو وتزوج من امرءا من كيل اهنت ورزق منها بطفل وبذلك اصبحت له سلطة روحية في توجه

الحرب بالجبهات المحيطة بها ، و ايضا حديثه عن تحمل الفرنسيين عبء انسحاب الايطاليين من مدينة غات و اغدامس سنة 1914 مما اضطرهم لجلب قوات كبير لسد الثغرات التي احدثها ذلك الانسحاب لدرجة لم يبق في" فورموتيلنسكي" إلا ظابط فرنسي واحد بمعية 06 او07 من الاهالي وهذا جعل منطقة الهقار مكشوفة و بامكان السنوسين الوصول اليها .

و مما يدل على ان تخلي دوفوكولد عن بزته العسكرية و ارتداته عباءة التدين لم تنسه خبرته العسكرية التي تلقها في مدرسة سان سير الحربية ، تحليله لإحداث الحرب على جبهات الحرب المختلف (حيث يقول عن الحدود الغربية لليبيا ان الهجوم الذي قام به "خليفة بن عسكر" على مراكز الدهيبات وام السويقات ادى الى الحاق خسائر كبيرة في صفوف الكولونيل ترستورنيل trestournelوالكوموندان ابانتAbat مما استدعى جلب قوات كبيرة الى هذه الجبهة من ورقلة واد سوف وهذا اعتبره خطا استراتجيا اخر ارتكبه الفرنسيون لانه تسبب في التقليل من تامين

امور الهقار منذ سنة 1903 فاصبح من اكبر المعارضين للتواجد الفرنسي في الهقار ، ثم انتقل الى رقان واقام بزاوية كنته باحثا عن الاسلحة والبارود ومن هناك انسحب الى بربر الصحراء وواد الذهب انظر: Henri lhote :op.cit,p39

هذه المناطق التي اصبحت مفتوحة اما هجومات الموالين للحركة السنوسية والتي قد تكلف الفرنسيين الكثير.

ونفس الملاحظ يذكرها دوفوكولد والتي تخص الاحداث الدائرة في منطقة (ادرارنفوغاس) حيث كان يتواجد حليفهم موسى اق ا مستان هذا الاخير الذي تعرضت خيامه لهجوم كاسح من طرف "كنته عبدين " ❖ الذي انزل خسائر فادحة بموسى اق ا مستان واتباعه نتيجة قلة الاسلحة والذخيرة وعدم قيام القوات الفرنسية القريبة من المنطقة من نجدته مما دفعه لطلب المساعدة من الفرنسيين المتواجدين بالهقار

مظاهر ردود فعل سكان الهقار اثناء الحرب العالمية الاولى: سبقت الاشارة الى ان بداية الحرب العالمية الاولى شهدت سنة 1914 طرد الاطاليين من واحة الغدامس وغات وسمحت تلك العمليات للحركة السنوسية التي قادها الضابط كاوسن من الاستلاء على العديد من الاسلحة والمدافع والذخيرة الحربية ، هذه المعدات العسكرية التي اغتنمها كاوسن شجعته خصوصا بعد انتصار الحركة السنوسية على الفرنسيين في 4 مارس 1916 واسترجاع واحة جانت التي تمكن الفرنسيون من اعادة السيطرعليها ،على توسيع استراتجية الحرب لتشمل منطقة الاير والهقار وفتح جبهات اخري لمواجهة الفرنسيين ،و هذا من خلال النداء الذي وجهه كاوسن عبر الرسالة التي ارسلها الى سلطان اقدز عبد الرحمان تيقاما Tegam اعلن له فيها

"انه مكلف من طرف السي العابد السنوسي بدفع المسلمين وتحريضهم على المشاركة في الحرب المقدسة للسنوسية ضد الكفار داعيا اياه ان يرتقب وصوله الغير بعيد الى منطقة الاير من اجل تحرير اخوانه من سيطرة الفرنسيين[53].

و بعد وصول هذه الرسالة الى منطقة الاير لا نستبعد وصول اخبار هذا نداء كاوسن الى منطقة الهقار بحكم تواجد العديد من قبائله هناك وهذا العمل مزق سياسة الحصار والتعتيم التي مورست على الهقار لمدة سنتين من مجريا الحرب لتشهد منطقة الهقار في خريف 1916 تصعيدا خطيرا تمكن من خلاله سكانها ان يصبحوا طرفا في مواجهة الفرنسيين و فتحوا هم ايضا جبهة للتواجه مع الفرنسيين وكان من نتائج ذلك التصعيد والغليان قتل الاب دوفوكو من طرف مجموعة من رجال المقاومة القادمين من منطقة ا زجر يقودهم : ابه اق غبلي في 01 ديسمبر 1916 وكان هذا الحادث بداية مباشرة لتولد ردود افعال سكان الهقار بالرغم من التعزيزات العسكرية المكثفة التي جلبها الفرنسيون للهقار تحت قيادة كل من النقيب Dépommier والملازم الاول لوهيرو le Huraux وقد تمثلت مظاهر ردود الفعل تلك في تجمع اغلب قبائل الهقار (قبيلة دق اغلى - قبيلة اقوا انتهلى - قبيلة تقهى نفيس - قبيلة اوليمدين) نواحي

(53) chateland :op. cit,p 130

انظر ايضا: بوعزيز مرجع سابق ص 57

منطقة اسكرم بالاضافة الى قبائل اخرى ، بدات تتجمع في منطقة ادلس وتاظروك للاستعداد للهجوم على القوات الفرنسية[54] و من اهم المعارك التي جسدت ردود الفعل تلك :

-معركة ايلامانIlaman افريل 1917 بمنطقة ايلامان التي اطلق اسم المعركة عليها هي واد ضيق يقع بين مرتفعات جبلية كبيرة وهذا الوادي لايبعد بمسافة كبيرة عن مدينة تمنراست اما عن المعركة فيمكن ان نقول بناء على المكان الذي جرت فية والمدة الزمنية التي استغرقتها وهي حتى الساعة الثامنة ليلا ونظرا لتموقع المجاهدين بين الجبال والذي كان افضل من قوات النقيب "ماصو" الذي كان مكلف من طرف دي بوميبه Depommier بحماية وحراسة مدينة تمنراست انها كانت من اعنف واكثر المعارك التي جسدت رد فعل سكان الهقار ضد الفرنسيين وسياستهم في المنطقة خلال الحرب العالمية الاولى حيث استطاعت القبائل المتمردة ان تقوم بتعبئة 150 مجاهد لهذه المعركة ، رغم ان التقارير الفرنسية قللت من الخسائر التي مني بها الجانب الفرنسي وحصرتها ف 11 قتيلا و09 جرحى من بينهم النقيب ماصو[55] الذي جرح في جانبه الايمن و10 مفقودين وللعلم ان ماصو Masson كان مكلف من طرف النقيب Depommier لحماية وحراسة مدينة تمنراست .

(54) Meynier , op.cit,p330
(55) meynier: opcit ,p,348

و من الاسباب الدافعة لثورة قبائل الهقار و قيامهم بهذه المعركة :

1 -الرد على اكاذيب الفرنسيين بان قبائل الهقار لن تثور ضدهم مادام الامنوكال موسى اق امستان قد وضع يده في ايدهم وان ما تعاهد به معهم هو شان يخص قبيلته وبعض القبائل فقط ولا يعنيهم لا من قريب او بعيد .

2 -ان معركة جاءت استجابة للداعية السنوسية الرامية الى طرد الكفار من اراضي المسلمين .

-المعركة كانت دليل على قدرة قبائل الهقار على كسر الحصار والعزلة التي فرضها الفرنسيون على منطقتهم لتضل بعيدة عن احداث الحرب العالمية الاولى.

-اظهرت هذه المعركة ان قبائل الهقار كان لديهم استعداد دائم للقيام بعملية التنسيق مع جهود المقاومين في منطقة ازجر و الاير و ما كان ينقصهم هو وجود قيادة تحركهم وتدفعهم للمقاومة والجهاد وان ولاءهم لموسى اق امستان والفرنسيين لم يكن حقيقة وانما الظروف التي عاشو في ظلها منذ 1904 هي التي اجبرتهم على الهدوء والاستقرار.

5 -كما اراد المقاومون من هذه المعركة الانتقام من الفرنسيين الذين ضيقوا عليهم الخناق وفرضو على القبائل سلطتهم ومراقبة تحركاتهم وقطعو عنهم التموين بغلقهم اسواق تيديكلت وتوات والسودان بحجة ان ظروف الحرب لاتسمح .

واذا كان تقرير النقيب دي بوميه Depommierحول الوضعية السياسية للهقار التي عقبت هذه المعركة والذي كتبه بحصن موتلينسكي في 30افريل 1917 قد حملت معلومات مطمئنة للفرنسيين بان حالة الاستقرار والهدوء قد عادة للهقار وان الوضع متحكم فيه.

خصوصا بعدان استجابة بعض القبائل الموالية لموسى اق امستان لندائه بالتزام الهدوء وعدم القيام باي عمل عدائي ضد الفرنسيين حيث ابدت احترامها لاوامر السلطات الفرنسية وتعليماتها ومنها (اكلان تويست،وقبيلة ابطاناتن ،و ارقناتن وقسم من اسقمارن جهت تيفدست(كيل اداغاغ وامقيد) إلا أن نفس التقرير لم يخفى تخوف دي بوميه من تكرر ردات فعل القبائل المنشقةعلى موسى اق امستان والتي يتزعمها "انامبا سورى اق شيخات صهر انا ميا والمودن ولد اكلسو بخة ثمنه ولد بخة –احمد الشريف وحمه ولد دوا [1] وهي (قبيلة دق اغالي –ايت لوين –اجوه –نتهلى –اسمعارن)واغلبيتهم كانوا مصرون على الاستمرار في القتال .

2 -معركة تهراق باينكر In-Eker في15جوان 1917: ان توقع الفرنسيين حصول تمرداخر ضدهم وضد قوافلهم التجارية التي تستخدم الطريق بين عين صالح والهقار لم تمضي الامدة شهرين على معركة ايلامان ليقوم سكان الهقار بالتواجه مرة ثانية مع الفرنسيين في واد تهراق الواقع بالقرب من منطقة اينكر شمال

مدينة عين امقل ، وقعت هذه المعركة عندما قام المجاهدون بالتصدي لدورية فرنسية كانت مكلفة بمهمة ارجاع البريد الذي وصل الي عين صالح الي اليونتو لوهيرو le hureaux الذي كان متواجدا بمنطقة "تين فلكي tin felki" فلما وصلت الدورية الى منطقة اينكر وجدت الجمل الذي كان يحمل البريد لكنها لم تجد حامل البريد ولا الحقيبة التي كانت معه واثناء تعقب الدورية اثار الرجل لمعرفة ماذا حصل له فوجئت بمجموعة من المقاومين الطوارق راكبي الجمال يتراوح عددهم مابين 200الى300رجل تقوم بالهجوم على الدورية الفرنسية فاضطروا للاحتماء بالجبل وشرع قائد الدورية " دي اوجي بيتري Des logis pietri"بتنظيم فرقته للتصدي لهجوم المقاومين في الوقت الذي احاط فيه المقاومون بالدورية واشتبك الفريقان في معركة كبيرة دامت لعدة ساعات واسفرت نتيجتها عن قتل العديد من جنود الدورية واصابة قائد الدورية بيتري[56] و فرار من بقي منهم على قيد الحياة .

وقد اجبرت هذه المعركة وما تمخض عنها من ضحايا الفرنسيين على اعادة حساباتهم والتفكير في تغييرطريقة تعملهم مع القبائل الثائرة وذلك بالاكتفاء بالدفاع عن مواقعهم التي يتمركزون بها للتقليل من الخسائر التي لحقت بهم واستبدال

(56) عبد الحميد زوزو**نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 - 1900**،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984، ص .131 -132

المواجهة بالمفاوضات وتطبيق سياسة الحصار الاقتصادي ضد القبائل المتمردة والثائرة على امل دفعها الى الخضوع والاستسلام مقابل حصولها على حاجياتها من المواد الغذائية والسلع من الاسواق المعتادة التي كانت تتمول منها من قبل ،خصوصا ان زعيم المتمردين " ابه اق غبلي Abeuh ag Gabli " في هذه الفترة وفي ظروف غامضة نجهل اسبابها غادر منطقة الهقار عائدا الى منطقة ازجر ربما ذلك يعود الى تخلي القبائل الثائرة التي كان يتزعمها عنه بسبب ما لحق افرادها من معانات من جراء الحصار الاقتصادي الذي فرضة الفرنسيون عليها ؟ كذلك اقدم القا ئدين :(انامبا وسوغي اق شيخات) على طلب الامان من الفرنسيين ولسنا ندري هل كان ذلك نتيجة خلافهما مع ابه اق غبلي او نتيجة سخط القبائل التي يتزعمانها لعدم قدرتها على الصمود ومواصلة المقاومة او ربما يعود ذلك الى سماع هولاء المقاومون جميعا بالقضاء على الضابط كاوسن في ليبيا[57] و بداية تراجع وانحصارنفوذ السنوسيين في ليبيا سنة 1917امام مجموعات قوات الانجليز التي كان يقودها الجيترال" ماكس ويلMaxwell "[58] نحو واحة سيوة Siaoua ثم نحو جغبوب كما تراجع احمد الشريف السنوسي نحو جيالو وزيلة .

(57) Ihote :ibid,p418
(58)Meynier(G) :**laGurre saint de la senoussya**,in cahiers charles deFoucould,1947,1ér-2ém,3ém trim,4értrim,1949,p79

اسئلة تحتاج الى اجوبة كثيرة؟ و لكن مهما كانت الاجابة عن هذه الاسئلة الان مايجب التنويه به والاشادة بذكره ان انخراط سكان الهقار في مقاومة الفرنسيين وتدعيمهم للجهاد المقدس الذي دعت اليه الحركة السنوسية اثناء الحرب العالمية الاولي بين ان الفرنسيين واجهوا من خلال هذه المقاومة خصما عنيدا خلق لهم صعوبات كثيرة وتكبدة قواتهم امام سكان المنطقة خسائركبيرة ولولا اتساع الحدود الجغرافية للمنطقة وقلة وسائل الاتصال التي اثرت تاثيرا مباشرا على ضعف التنسيق بين اجنحة المقاومة الثلاثة (ازجر،الهقار ،الاير) وعلى نوعية وفعالية المعارك التي اتخذت طابع حرب الكر والفر يضاف لها قلة العدة والعتاد الحربي لكان للمقاومة كلمتها التي تكلف الفرنسيين من المعانات والخسائر اضعاف ما تكبدوه ولكن بالرغم من ذلك تبقي المقاومة في الهقار ملحمة من اهم ملاحم كفاح الشعب الجزائري التي عبر من خلالها عن رفضه للاستعمار الفرنسي وتمسك سكان المنطقة بانتمائهم لهذا الوطن واستعدادهم للدفاع عنه بكل ما يملكون مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

ملتقى المقـاومة الوطنية والثورة التحريرية وبعدهـا الإفريقي

المقـاومة الشعـبية في تيـدكـلت

الأستاذ : عبد القـادر بويه

مقـدمة

1 ـ الاهتمامات الفرنسية بمنطقة تيدكلت

2 ـ الصدام المسلح بإن صـالح :

أ ـ ملحمة الفقيقيرة ديسمبر 1899

ب ـ معركة الدغـامشة جـانفي 1900

3 ـ مقـاومة إينغر

أ ـ المواجـهة الأولى جـانفي 1900

ب ـ المواجـهة الثانية (المجزرة) مـارس 1900

مـقدمة :

الحمـد لله الـذي بفضـله تـتم الصـالحات وبمنـه تتنـزل الرحمـات ويبلـغ ذو القـصد تمـام الغايات والصـلاة والسـلام أتمان أكملان على الرحمة المهداة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأخيار ومن تبعهم بإحسان الى يوم الممات. أمـا بعد :

السـادة الملتقون

من أخطر ما تبلى به الشعوب في تاريخها هو تشويه مبادئها النضالية، وطمس مظاهر توحدها ووحدة أهدافها وآمالها وتطلعاتها. وإذا كان دعاة الاستعمار والهيمنة، قد بذلوا أكبر الجهود الفكرية والمادية، لزرع أسباب الفرقة بين عناصر الشعب الواحد، ليسهل عليهم التغلب انسجاما مع الموجة الاستعمارية التي كانت تتحكم فيها آليات التوسع الإمبريالي، فإن الشعب الجزائري كان في مقدمة الشعوب التي تعرضت للتفتيت والتمزيق بهدف التغلب على صموده ومقاومته. فعزلت الأمير عبد القادر في جهاده غربا ولاحقا كان الدور على أولاد سيدي الشيخ وهو الأمر ذاته

الذي حاولت فعله جنوباً فمقاومة الأغواط ثم ورقلة ثم في مقاومتي تيدكلت والهقار واعتبارهما منفصلتان لا رباط بينهما وهو الأمر الذي قد يفرغ المقاومة من صبغتها الجهادية ويجعلها حربا جهوية بلا تواصل أو رباط . ونحن هنا لنسلط الضوء على عمل جهادي اتسع زماننا لنصف قرن . كما اتسعت مكانا لتشمل أغلب أرجاء الجزائر على يد رجال شرفوا هذه الديار عندما وطئت أقدامهم أديمها.

فبحلول 1870 تحولت تيديكلت الى نقطة ارتكاز للمقاومة الشعبية فاحتضنت الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر والناصر بن شهرة وكذا الشريف بوشوشة والسي الزوبير من أولاد سيد الشيخ والشيخ أمود من الهقار وقد جندت هذه القيادة أهالي توات والتوارق لينضم الكل لحركة المقاومة الجهادية في أرجاء الصحراء . فغدت تيديكلت مصدر قلق دائم أقرت به فرنسا على لسان الحاكم العام جيل كامبونjules Cambon حين قال " إنها ـ تيدكلت ـ ملجأ الثوار لتأليب القبائل ضدنا " وبالسيطرة عليها يتحقق لفرنسا العديد من الأهداف . فكان التفكير الجدي من

السلطة الاستعمارية الزحف نحو تيدكلت واحتلالها . لتبدأ صفحة جديدة مشرقة من تاريخ الجزائر في هذه الأرجاء .

فرنسا و تيدكلت

أولا : الاهتمامات المبكرة والمغامرات الأوربية

تحتل تيدكلت موقعا إستراتيجيا وسطا إذ أنها نقطة التقاء القوافل التجارية ومعبرا هاما نحو الصحراء الإفريقية ومركزا تجمع ركب الحجيج لأجل ذلك انصب عليها اهتمام الأوربيين مبكرا وجاءتها حملات استكشافية من جهات مختلفة فبعد النقيب الإنجليزي قوردن لينغ Gordon Laing جانفي 1825 كان الدور على فرنسا التي سعت إلى توسيع رقعتها الاستعمارية في إفريقيا وتعويض ما خسرته في العالم الجديد فكشفت من بعثاتها الاستكشافية في الصحراءو كان الدور هذه المرة على واحة تيدكلت التي تقاطرت عليها هذه الحملات ومنها :

- بعثة هنري بارث Henri Parth الذي قام برحلتين الأولى عام 1849 والثانية عام 1855 من طرابلس عبر غدامس وغات بفزّان، وإلى تشاد وتمبكتوعبر قورارة وتوات وتيدكلت

وكان برفقته : ريتشاردسون وأوفريج اللذين فقدهما في هذه المغامرة .

- بعثة دي كولومب De Colombe جانفي 1857 : والذي زار قورارة وتوات وتيدكلت وقدم معلومات هامة عن المنطقة .

- بعثة دوفيرييه H Duveyrier ربيع 1860 : إلى توارق الهقار من أجل توطيد علاقات تجارية .

- رحلة الألماني جراررولف Gérard Rohlfs : والذي وصل إن صالح في 17 سبتمبر 1864 متنكرا في زيي طبيب تركي.

- رحلة بول سوليية Paul Soleillet 06 مارس 1875 والذي وصل قصر مليانة (20 كلم شمال إن صالح) لكنه منع من دخول المدينة .

- محاولة فيكتورلارقو Victor Largou عام 1877 والذي لم يسمح له أيضا بدخول المدينة.

- بعثة بول فلاتيرس Paul Flatters الذي إغتاله التوارق بمنطقة حاسي غرامة بتين تاريين في 16 فيفري 1881

- حملة ضابط الخيالة مارسل بلاط Marcel Palat سنة 1886 والذي لقي حتفه بتادمايت شمال إن صالح

- رحلة المستكشف كاميل دولي Camile Doulé والذي إغتاله التوارق عند حاسي إيليغن (زاوية الشيخ بونعامة بأقبلي) سنة 1888 .

- بعثة فورو - لامي Foureau . Lamy فيما بين 1890 - 1892 .[1]

قدمت هذه البعثات كما معرفيا هائلا عن المسالك الصحراوية والتجمعات السكانية وكذا مناطق المياه والشخصيات النافذة في الصحراء ومزاجها. وفي 05 أوت 1890 وقعت فرنسا وبريطانيا اتفاقية لندن التي قسمت مناطق النفوذ في إفريقيا و أعطت لفرنسا حق التوسع في الصحراء الإفريقية غرباً [2].

ورغم النهاية الكارثية لعديد الحملات إلا أن دوافع فرنسا في السيطرة على هذه الأقاليم كانت أكبر من حجم الفواجع . فعمدت إلى طريقة أخرى تمثلت في تشييد الحصون والقلاع على مسلك المنيعة - تيدكلت. ففي 1891 أصبح في المنيعة مركز عسكري دائم . وفي 1893 شيدت حصن ميريبل Fort Miribel في الشبابة على طريق تيدكلت ثم

حصن مكماهون Mac - Mahon بوادي مقيدان على طريق فورارة . وللاقتراب أكثر من تيدكلت وتوات نقلت فرنسا مركز الجنوب من غرداية الى المنيعة سنة 1897 .

استثمر الأستاذ فلامون Flamand تقارير البعثات السابقة وحماس الحاكم العام الجديد للجزائر السيد لافريار La ferriere للقيام بمهمة جديدة تخدم فكرة ترويض واحات تيدكلت وبسط النفوذ الفرنسي عليها . تسترت الحملة بغطاء علمي تحت إشراف وزارة المعارف لكنها لم تلبث ان تحولت حملة عسكرية فأشرفت عليها أيضا وزارة المستعمرات التي عينت لحماتها فرقة عسكرية بقيادة النقيب بان Peiné ثم دعم لاحقا بالنقيب جرمان Germain ورصدت للحملة ميزانية خاصة .

غادرت البعثة مدينة ورقلة يوم 28 نوفمبر 1899 بتعداد قوامه 700 جندي مقتفية أولا مسلك فلاتير والى 15 ديسمبر كانت الحملة قد اجتازت حاسي إينفل ثم واد ان سوكي ومنهما إلى حاسي المنقر. بعد ثلاثة أيام وعبر وادي مسين وصلت الحملة فقارة الزواى في 26 ديسمبر 1899 وفي اليوم الموالي حطت رحالها قرب فقيقيرة الحاج عبد القادر شرق

قرية إيقسطن [3] بنحو 05 كلم . وصلت أخبار الحملة ونواياها مسامع أهالي إن صالح فتجهزوا لصدها .

ثانيا : الصدام المسلح

01 - ملحمة الفقيقيرة

أدرك سكان واحة إن صالح أن الحملة الجديدة تختلف كثيرا عن البعثات السابقة إذ أنها اليوم حملة صليبية مدججة فكان الإعداد للمقاومة تحت لواء الجهاد. خرج رجال المقاومة . وقد تجاوز تعدادهم 1200 مقاتل - في أبهى حلة (ملابس العيد) وعسكروا غير بعيد عن قوات الحملة و بسبب طبيعة الأسلحة البسيطة - التي تفقد فعاليتها كلما ابتعدت - فقد حاول رجال المقاومة الإقترب أكثر من معسكر الفرنسيين في صبيحة الخميس 28 ديسمبر 1899 م الموافق لـ 26 شعبان 1317 هـ (ذكرى الولي الصالح سيد الحاج بلقاسم بالزاوية فلم تجصص قبته تلك السنة) [4].

كان شعار المقاومين "على الأغراب العودة من حيث أتوا وبدون مهلة "سقط في يد قيادة الحملة حيث تباينت المواقف بين النقيب "بان" الذي لا يملك سوى 140 بندقية و" فلامون" الذي يريد المهمة سلمية لطابع البعثة العلمي . حول الرد

الرافض والذي لم يخطر لهما ببال . اندفع رجال المقاومة تعلوا صيحاتهم بالنصر الأكيد والغنائم أو الشهادة . وبكل حماسة تقدموا نحو معسكر الحملة الذي لم تتطل عليه المناوشات الأولية أشتبك الطرفان في معركة هي بلا فخر ملحمة بطولية وحلقة في سلسة الملاحم الخالدة للشعب الجزائري.

01	الحاج المهدي باجودة	02	سيدي ابابه بن الحاج أحمد	03	المختار باجودا
04	الحاج بوعمامة باجودة	05	الحاج علي حفاوي	06	احمد ديملي
07	الحاج محمد بن الشيخ	08	محمد بن بوعمامة باجودة	09	محمد الشيخ باسه
10	الحاج الشيخ بن الطيب	11	بوحفص بن الحاج عبدالقادر	12	محمد بن الشيخ
13	محمد الديخن	14	المختار بن أحمد بن زميت	15	محمد بوحفرا
16	الحاج الشيخ بن الطالب	17	بونعامة بن الصديق سوغي	18	الحاج علي سوغي
19	سيدي علي بن احمد	20	الحاج محمد بن سوكنة	21	احمد بن بوحامص
22	محمد جلول سويغ	23	محمد بن بوبكر البربار	24	الحاج مسعود
25	بوعمامة بن محمد	26	اقويدر بن محمد برانيص	27	صالح قوة
28	محمد بن عبد السلام	29	محمد بن الحاج الشيخ	30	محمد فراجي
31	الحاج امبارك امباركي	32	محمد باهدي بن دحمان	33	الضفير ضفيرات
34	محمد بن بوعمامة	35	الشيخ بن المختار بد حان	36	محمد بن الشيخ
37	هادي بن الشيخ نعيمي	38	محمد لقراري بن يعيش	39	بوجمعة ناربي
40	أحمد بن أبابه فوتي	41	محمد بن أحمد بن عليلي	42	مختار بن بابه
43	مولاي علي خنوسي	44	باعمر بن الحاج أحمد بن زميت	45	احمد بن بوحامص

46	عبد الله طالب علي	47	محمد المربي ديدي (ايتفر)	48	محمد بن عبد الله باعيو
48	عبد القادر بن ابابه	49	محمد الدهنا أولاد ايشير(إيتفر)	50	محمد بيتور

ولعدم تكافؤقوات الطرفيـن وبدائيـة أسلحة المقـاومة ـ (أسطنبولية وذخيرتها 24 خرطوشة. سطعشية وذخيرتها 16 خرطوشـة. أتسـيعية 09 خرطوشـات ثـم إزويجـات البـارود والبوشـفرو مكحلة البارود العادي والسيوف والخناجر) ـ فقد انقشعت سحابة المعركة وانجلى غبارها بعد ساعتين من الاقتتال على نتيجة كـارثية في صـفوف المقاومة ، إذ سـقط خلالهـا نحـو 56 شـهيدا [5] وجـرح أزيـد مـن 150 مقاتل تمكن 50 منهم من الفرار، وأسر نحو 64 مقاوما من بينهم 11 من أعيان المدينة ومن شهداء الفقيقيرة نذكر:

ويضاف لهذه الخسائر البشرية خسائرمادية هائلة تمثلت في 500 قطعـة سـلاح ، وكـذا 99 جمـل و12 حـصانا في حـين تضاربت أرقام الخسائر الفرنسية التي لم تذكر سوى قتيل واحد (01) وجرح 14 اخر ـ يبدوا أنها لم تحسب الضحايا من الجنود العرب الذين كانوا مع الحملة ـ وفي صبيحة اليوم

الموالي 29 ديسمبر 1899 دخلت قوات الحملة الفرنسية القصرالكبير (قصر باجودة) وفرضت على السكان دفع فدية مقابل إطلاق سراح الأسرى فجمعت في يومين 10 الآف فرنك وزعت على القومية الذين كانوا بصحبتها . ولتبسط بعد ذلك نفوذها على باقي القصور المجاورة . وليرفرف العلم الفرنسي لأول مرة في هذه الفيافي .

لكن القوات الفرنسية لم تهنأ بالذي ظفرت فقد كانت في انتظارها مواجهة جديدة ومنازلة أخرى بالدغامشة

02 ـ **ملحمة الدغامشة:** كان لانتكاسة الفقيقيرة وسقوط كبرى حواضر تيدكلت مدينة إن صالح وقع الصاعقة في الأقاليم المجاورة التي هبت لنصرة المقاومة واسترداد المدينة من أيدي الغزاة فتقاطر المتطوعون من كل توات (بودة الهبلة تسابيت سالي رقان) وبقية تجمعات تيدكلت (إينغر ، تيط . أقيلي ، أولف) حتى بلغ تعدادهم نحو 1300 مقاتل تحت قيادة الشيخ مولاي عبد الله بن مولاي العباس الرقاني تزينوا بالملابس المزركشة وتخضبوا بالحناء (عادة العرسان). وصلت النجدات إن صالح يوم 04 جانفي 1900

وعسكرت بقرية البركة (على بعد 05 كلم غرب إن صالح) من أجل إستراتيجية أمثل لمهاجمة الفرنسيين حاول البعض إقناعهم بالاستسلام والتخلي عن مواجهة الفرنسيين فخلد ذالك شاعرالمقاومة الشعبية الشيخ عبد النبي بوتقي بقوله

نصحتونا صحيح ونصيحتكم عار *** وعيب ايلو طكان من البركة وليا

نجح الفرنسيون عن طريق جواسيسهم في مغالطة رجالات النجدة حين أقنعوهم أن الابتعاد عن مسلك البساتين ومباغتة الفرنسيين من الخلف أنجع . انطل الأمر على معسكر النجدة وزحفوا ليلا بعد ساهل الى جهة الدغامشة (على بعد 02 كلم جنوب مدينة إن صالح) .

وفي فجر 05 جانفي 1900 الموافق لـ 02 رمضان 1317 هـ فوجئ رجال النجدة بالتحصينات الفرنسية المستعدة لملاقاتهم عند موضع زاوية الماء وهي منطقة مستوية جرداء حينها أدرك المجاهدون الكمين الذي فيه قد وقعوا. لكنهم لم يولوا الأدبار وعولوا على منازلة الفرنسيين ويجلي هذا الأمر أيضا شاعر المقاومة عبد النبي بوتقي بقوله :

الغلبة ماهيش عيب عيب الاستدبار

هذه خلقت في عهد النبي حرك أحنا

لكن المكتوب وين نهرب من القدر

لا بد نصرفو هذا الشي داركنا

التحم الجيشان ودارت معركة حمي وطيسها ولتفوق الأسلحة الفرنسية رجحت كفتهم إذ لم يكن بحوزة رجال النجدة سوى بنادق البوشفر وزاد الوضع كارثية إنفجار برميل البارود الذي كان ذخيرة المقاومة فمالت كفة الغزاة الفرنسيين الذين كسبوا جولة ثانية تمخض عن ملحمة الدغامشة استشهاد أزيد من 150 مقاتل نذكر منهم :

من أهاب أولف:

01	مولاي عبد الله بن مولاي العباس الرقاني	02	الحاج احمد بن الحاج امحمد
03	مولاي عبد القادربن مولاي سعيد هيباوي	04	احمد بن عبد القادر
05	مولاي الشريف بن مولاي العربي هيباوي	06	امحيمد ولد حميدة
07	مولاي أحمد بن مولاي عبد الرحمان	08	أحمد بن عبد الله ابابه
09	مولاي عبد الرحمان بن مولاي السعيد	10	محمد بن الحاج عبد القادر بن سعد
11	أحمد بن احميدة صفرا	12	الحاج عبد القادر بن سعد
13	عبد الرحمان بن امحمد	14	ابا رضوان
15	عبد الرحمان ولد أحميدة بوبكار	16	مولاي احمد بن السعيد
17	مولاي عمار (دهين البريكة)	18	عبدالله ابا موسى

من أهالي اينعر

01	عبد الصادق بن عبد الكريم عزي	02	العربي حمودة
03	محمد بن الحاج جلول عزي	04	موسى حمودة
05	محمد الطيب بن سيدي علي حادقي	06	قدور الشاهد
07	محمد بن الحاج عبد القادر عسالي	08	العربي بن عبد الله
09	الخير (من عائلة عزي)	10	عبد القادر بن سيدي
11	ممدو (من عائلة بن بركة)	12	جلول بن جلول
13	سويلم بن محمد الهاشمي		

ومن أهالي أقبلي

01	العابد بن سيدي لحبيب (بابا الصغير)	02	محمد بن أحمد الطلحاوي
03	العالم بن سيدي العابد بن عزيزي	04	علواته بن محمد ككنده
05	عزيزي بن سيدي العابد بن عزيزي	07	زيدان بن مولاي هيبة بن مولاي عبد الله (من أهالي تيط)
06	حمة لمين بن محمد ككنده بن سيدي لحبيب		

خلفت معركة الدغامشة الى جانب الشهداء أزيد من 200 جريح وأسر خلق كثير وفر الناجون صوب إينغر التي ستشهد ملحمة أخرى [5].

ركزت تقارير النقيب بان والقائد فلامون على حال الإنهاك الذي أضحت عليه القوات الفرنسية بعد معركة الدغامشة إذ باتوا يعدون الساعات أملا في وصول المدد قبل أن تهاجمهم نجدة أخرى يجمعها الآن باشا تيمي في آولف . وبأسرع مما توقعوا وصلت سرية القناصة الصحراوية وعلى رأسها قائد مركز المنيعة بومقارتن Boumgartin في 18جانفي 1900 [6].

ثالثا : مقاومة إينغر

لايختلف عاقلان اليوم في أن ما قدمه أهالي اينغر من بطولات وصمود إبان المقاومة الشعبية قل مثيله ولذلك دفعوا ثمنا غاليا من فلذات الأكباد فرملت النساء ويتم الأطفال وخربت الديار حين نسفت القصبة على من فيها. بدأت عيون

فرنسا تترصد إينغر في 03 جانفي 1900. وبعد أن فر الناجون من معركة الدغامشة صوبها وطلبوا نجدات أخرى من توات أدرك حينها قادة الحملة الفرنسية أهمية السيطرة على واحة إينغر الإستراتيجية في الطريق إلى توات .

أ ـ **المواجهة الأولى** : ما إن وصل بومقرتن إن صالح حتى أعطى أوامره للملازم كلوسترClaustre بالزحف نحو إينغر على راس كتيبة من مائة (100) فارس وماكاد يصل بلدة إينغر حتى لحق به بومقرتن على راس قوات إضافية أغلبهم من الصبايحية والقومية .

حاول إقناع الأهالي الخضوع للفرنسيين وتسليم مقاليد البلدة التي رفض سكانها الطلب وأصروا على المقاومة قال في ذلك الشاعر بوتقي :

أبعث بوشاطو ا يدور فالتسيار

وأحلفنا بلامان لاصارت منا

حينها عمدت الحملة الفرنسية إلى استخدام القوة لاقتحام القصبتين من ليلة 24 جانفي الى عشية الغد بالمقابل استبسل الأهالي صمودا ومقاومة وأجبروه على التقهقر والتراجع خلد الشاعر بوتقي هذا الموقف حين قال :

أضربناه من البعد وارجع على الأدبار

وامشى غضبان مسود المغبنا

وفي 27 جانفي 1900 عاد بومقرتن الى إن صالح يجر أذيال الخيبة في أول إمتحان له بتيدكلت وتوات إذ تلقى أوامر وزارية تطالبه التريث وانتظار المزيد من المدد وعدم الاندفاع. حاول القائد بومقرتن التخفيف من وقع الفشل وإقناع أهالي إينغر الخضوع سلما فعمد الى الوسطاء عبر المترجم مارتنMartin الذي دفع بعض أعيان إن صالح وأولاد سيدي الشيخ إلى مراسلة أعيان إينغر وحثهم على تجنب مواجهة القوات الفرنسيين التي تملك أسلحة فتاكة يفضي استخدامها إلى ما لاتحمد عواقبه كتبت الرسالة بتاريخ 29

رمضان 1317 هـ الموافق لـ 31 جانفي 1900 على أن يأتي الرد مباشرة بعد العيد .

رفض أهالي إينغر الطلب وعمدوا إلى الاستعداد الجيد لملاقاة الفرنسيين فأرسلوا في طلب النجدات من تيط وأقبلي أولف . رقان ، سالي ، تيمي، تسابيت . الهبلة، تيميمون وحث الخطباء في قصور قورارة وتسوات على النفير ونصرة إينغر وسعيا إلى جمع المال فرضت على المتخلفين غرامة مالية بقيمة (مائة دورو) . جمع باشا تيمي إدريس بن الكوري زهاء 1300 مقاتل زحف بهم نحو إينغر ليصلها في 17 شوال 1371 الموافق لـ 14 فيفري 1900[7] .

ب ـ **المواجهة الثانية (المجزرة):** وصلت الإمدادات للقوات الفرنسية بإن صالح فتحركت يوم 14 مارس 1900 صوب إينغر بتعداد 900 مقاتل تحت قيادة العقيد " دولوك Deleuk " مدججة بمدفعين استقدما لأول مرة خصيصا للمهمة و 1000

بندقية و150 سيف باشرت إطلاق النار قبيل الوصول لإدخال الرعب في نفوس المقاومين والأهالي قال عنها الشاعر بوتقي :

وأرسل بوشطاتوا لسيدو جنينار

وأجمع له القومان وجاء مفزعها لينا

من قسنطينة الى تلمسان واتزابر

وحشدهم كاملين وأتى بهم لينا

حتى البقور والغنم واحمير أكبار

وتسمع حس الزهير عند الحنانا

وفي ليلة 18 مارس 1900 وبعد فشل كل وسائل الترغيب والترهيب نصبت القوات الفرنسية المدفعين على الكثبان (العرق) وشرعت في دك أسوار القصبتين اللتين إحتمى بهما

الأهالي وبعض رجال المقاومة بينما تمركز البعض الآخر في البساتين

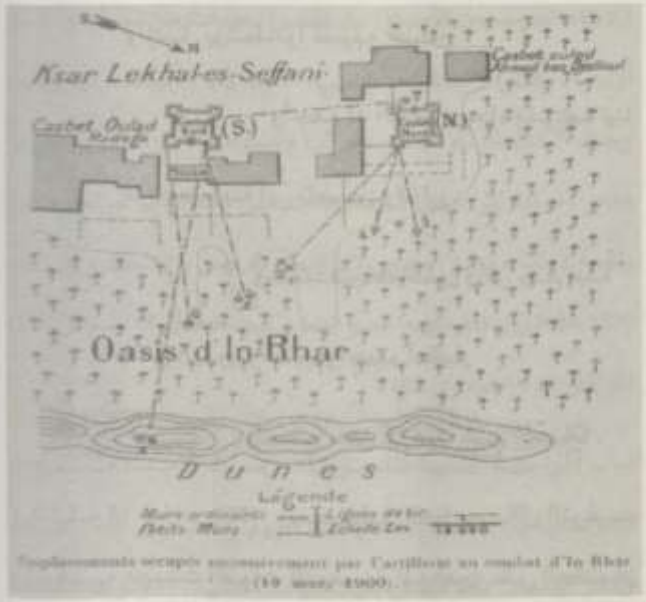

مخطط معركة إينغر[8]

استمر القتال عنيفا طيلة الليل ورغم الصمود والاستبسال إلا أن الأسلحة المتطورة لدى الفرنسيين رجحت كفتهم فحطموا القصبة الشمالية (قصبة العرب) وصبوا جام الغضب على قصبة المرابطين ولحرج الموقف وتلافيا لمزيد سفك الدماء طلب الباشا إدريس من زعيم المقاومة الحاج أمحمد عزي بن جلول الاستسلام وهو الأمر الذي رفضه وبالقطع الزعيم وأصر على المقاومة حتى الاستشهاد أو هزم الفرنسيين قائلا " والله لوما توا أكبارها وطيحوا أسوارها وتخلط أنساها مع أصغارها لن نستسلم ". استشهد زعيم المقاومة فرفع الباشا إدريس راية الاستسلام لكن القوات الفرنسية أسرفت في استخدام القوة فهدمت قصبة المرابطين على من فيها، أما رجال المقاومة الذين احتموا بالبساتين فقد استبسلوا قتالا وكلفوا القوات الفرنسية خسائر في الأرواح إذ فقدت 11مقاتل في حين جرح نيف عن 44 آخر دفنت بعضهم في موضع سقوطهم جنان تورفين (حملت رفاتهم الى

فرنسا سنة 1968) في حين حملت الجرحى الى إن صالح كما تكبدت خسائر طائلة في العتاد .

خلفت مجزرة إينغر المئات من الشهداء خاصة النساء والأطفال والشيوخ (أحصى أهل الإختصاص أكثر من 500 شهيد.) وفر بعض الناجين الى قصور توات القريبة. أما من سقطوا في الأسر فقد عزمت القوات الفرنسية على تنفيذ حكم الإعدام الجماعي بحقهم حرقا بالنار. غير أنها عدلت عن ذالك وأطلقت سراح الأطفال والنساء منهم في حين نقل الرجال أسرى الى مركز المنيعة . خلد تفاصيل مجزرة إينغر ونتائجها الشاعر بوتقي قائلا :

وأطلع فوق العروق وأنصب الآت الدمار

ودقدق البروج تحت منها خرجنا

من البكرة الى غدا في شو النهار

هو القرطاس بينا عامل مأزنا

ماتت الأطفال مع النساء وشيوخ أكبار

بالجملة في احفير رآها مردوما

طاحت الأسوار كلها وتهدمت الديار

وعادت هذه البلاد خربة بين جيرانا

وين جوامع وين خمسات التكرار

وين قصابي وآش فيهم من خزنة

عادوا كاملين في يد الإستعمار

وهداك اللي أكتب أعلينا مولانا

أما عن خسائر الفرنسين فيقول عنها :

أقتلنا من العدو ثمانين أخيار

وعسكر وسويرجان شي ما سولنا

وأرفد موتا توا فوق بيبان النجار

وادفنـهم قبلة عين صالح جبـانا

وأي يكـن فـإن مجـزرة إينعـر جريمـة بجميـع المقـايس وشـنيعة لاتقرهـا المواثيـق والأعـراف الدوليـة الـتي تجـرم إستخدام القوة ضد العزل الأبرياء . وقد فضح فعلتها الشنيعة أحد جنود سلاح المدفعية حين قال : " وهناك تمكننا من إدراك قوة تحطيم مدافعنا فقد رأيت الجثث متراكمة فوق بعضها البعض حيث هناك موتى بدون رؤوس أو بدون أطراف ومنهم من كانت بطونهم مبقورة والرجال والنساء والأطفال إختلطوا مع بعضهم البعض طريحي الأرض أمواتا ومن بين 1200 ساكن لم يعثر الى على 162 سجينا أما الباقون فقد قتلوا جميعا . "[9] ومن ضحايا مجزرة إينغر نذكر :

ـ من أهـالي إينغر

01	عزي الحاج أمحمد بن جلول	02	بن خليفة محمد بن سيد أحمد
03	بوتقي محمد بن موسى	04	بن مسعود مبارك
05	العماري حمد بن سيدي علي	06	باحمو محمد بن سيد أحمد
07	الساهلي علال بن محمد	08	بن حمد الحاج عبد الله
09	بن عليوة قدور	10	باخمد محمد بن محمد اباخويا

11	محمد بن أحمد جلول	12	محمد بن مومش
13	بن عبد العالي مولاي أحمد	14	عنبي أحمد بن موسى
15	عزي عدي سيدي علي	16	بن جلول عبد القادر بن محمد
17	بن خليفة سويلم الشنة	18	لمعصب مسعود

19	بن جلول السنوسي	20	العماري الشيخ
21	الساهلي الشيخ	22	عسالي الحاج عبد القادر
23	بن الشيخ سيدي علال بن موسى	24	بن جلول الصديق
25	أولاد البشير الصديق	26	بن خليفات بريكة
27	بن خلفاوي أحمد	28	بن خليفة عبد القادر
29	العماري صالح بن عبد القادر	30	بن خليفة عبد السلام
31	بن خلفاوي الصديق	32	بن خلفاوي جلول
33	بن خليفات سليمان	34	علـو الشيخ
35	العماري عبد الرحمان	36	بن يزيد عبد السلام
37	بن يزيد الشيخ	38	عبد الله بن محمد بن أحمد جلول
39	الساهلي قويدرين الحاج محمد	40	بن الخليفة سويلم الشنه
41	دحه دحه	42	بخباده بن أبيك

ومن النساء والعيال خلق كثير رفاة بعضهم الى اليوم تحت أنقاض القصبتين .

ـ من أهالي أولف :

01	مـولاي عبـد الرحمـان بـن عبـد الواحد	02	مولاي مبارك بن مولاي عبد الله
03	ابابه لبيض	04	علوانة بن سيدي محمد

05	ابابه عبد القادر	06	محمود عبد الرحمان
07	رقاني مولاي مبارك	08	مولودي مولود
09	الزناتي لحبيب	10	عماتي أمحمد بن عبد الرحمان
11	محمد اباقادي	12	محمد الحاج أحمد
13	علوانة سيدي لمين	14	مولاي عبد القادر بن مولاي السعيد

- من أهـالي سالي :

01	الجديد مولاي أحمد	02	سيدي مولاي المهدي
03	مومن عبد الرحمان	04	صاليحي عبد الرزاق
05	سويلم مبارك	06	سيدي هيبة بن محمد ديدي
07	باحمو بن احمد الشريف	08	مولاي عبد الجبار
09	حنطاوي اباعلي بن قدور	10	مولاي أحمد
11	بابا اباعلال الشريف	12	ابا باه بن محمد بابا
13	بن الشريف عبد بن أحمد	14	دادة قدور بن مبارك
15	دحاوي عبد الفضيل	16	القايمي اباباه سيدي عبد الرحمان
17	دحاوي قدور بن الحاج أحمد	18	حمو علال بن أمحمد البركة
19	القايمي ابا ديدي بن عبد الرحمان	20	كندا الحاج عثمان
21	مولاي أحمدين ابا هدي	22	باعمار اباهدي
23	القايمي عمار ابا ديدي	24	ديدي عبد الكريم بن محمد
25	باسيدي محمد الشريف	26	لكبير ابا كريم بن عمار
27	حمو علال محمد بن علال	28	أبا حسين بن عمار
29	مولاي أحمد الساهلي اباخويا	30	حمو علال عمار سيدي البركة
31	هيبه بن امحمد ديدي	32	محمد بن الحسان ديدي
33	عبد الله بن الحسان ديدي	34	مولاي بن الغيث بن أمحمد ديدي
35	عبد القادر بن البركة	36	محمد بن علال لكبير
37	قائمي العربي بن محمد عمار	38	المهدي بن علال ديدي

- من أهالي تسابيت :

01	يوسفات محمد بن الحسن	02	خيي علي بن عبد الله
03	خيضاوي علال بن الشريف	04	حسناوي العربي بن الحسن
05	دليل محمد بن الحسين	06	يوسفات علال بن أحمد
07	قشيب مكروم بن البدوي		

- من أهـالي أقبلي عرق شاش :

01	محمد بن عبد السلام	02	عبد القادر بن سيدي علي
03	ذو الكفل عابدين	04	ولد سيدي محمد لمرابط

- من أهـالي رقان والساورة :

01	قدور بن علي	02	الحاج محمد

- من أهـالي بودة وبريش :

01	غانمي أحمد بن عبد الكريم	02	مولاي عبد الواحد بن سيدي البركة
03	سيدي محمد بن مولاي التهامي		

مجـد بطـولات أهـل إينغـر الأشـاوس عـدد مـن المشـايخ المعاصرين ومن ذلك قصيدة للشيخ حمزة بن الحاج أحمد بن مالك القبلاوي جـاء فيها :

يا أثبت الناس إسلاما وإيمانا ***

وأرجح الناس في الفخر ميزانا

وأصبر الناس في اللقاء يوم الو

غى وأحرز الناس للخصال ميدانا

وأحلم الناس بالمسكين أيا بدا

وأسمع الناس للقراء قرآنا

أعني بهم حي إينغر العلي المدى

طرا ولست أحاشى منه إنسانا

كما أشاد بخصالهم وبطولاتهم الشيخ الحاج محمد عبد الرحمان السكوتي القبلاوي دفين البقاع المقدسة

فقال :

يا أهل إينغر للسماء مجدكم *** سما سيتكم يعلوا وينتشر

لله دركم بعتم نفوسكم *** من الإله بجنة لها خضر

فحبذا ذاك من بيع وعاقده *** وحبذا ثمن قد ساقه القدر

جاهدتم بنفوسكم وأموالكم *** في الله لا أسمع هذا ولا أضرر

الخاتمة :

استهلت فرنسا القرن التاسع عشر (1800) بهزيمة نكراء في موقعة أبي قير البحرية وباندحار حملة نابليون على مصر. لكنها استهلت القرن العشرين (1900) باحتلال منطقة تيدكلت ذات الموقع الإستراتيجي الهام كونها تتوسط الأبعاد المختلفة في عمق الصحراء الإفريقية الكبرى فهي نقطة عبور أساسية للقوافل التجارية المختلفة ويمر بها ركب الحجيج .

أجرمت السلطات الفرنسية في حق الشهداء بمنطقتي الفقيقيرة والدغامشة حين منعت أهلهم وذويهم من دفنهم أو حتى الاقتراب من رفاتهم فتركتهم عرضة للجوارح واللواحم الضارية ولعوامل التعرية حتى يكونوا - في إعتقادها - عبرة لمن يتطاول على مقارعة الفرنسيين أو يخرج عن طوعهم ظل

هذا الوضع لأزيد من ستين(60) عاما وتكفلت العناية الإلهية بحماية رفات الشهداء من كل سوء وظلت أجسادهم الطاهرة في موضع سقوطها سالمة من الأذى ولم يستطع الدهر وتقلباته التأثير ولو حتى على ما عليها من لباس. لتكون المعجزة الربانية الخالدة .

جاء الاستقلال وجاءت التفاتة الدولة لصناع مجدها ومن وهبوها أنفسهم الزكية لتحيا في كنف العزة والكرامة. فنقلت رفات العديد من الشهداء لتدفن بمقابر خاصة وعلمت مقابر أخرى للشهداء يهتدي إليها القاصي قبل الداني. في حين ظل شهداء منطقة تيدكلت ردحا من الزمان طي النسيان والإهمال لنحو ربع قرن و بعد أن عانت رفاتهم الطيبة جور السلطات الفرنسية وقساوة الظروف الطبيعة (الرياح العاتية) التي تحت الصخر الصلب. تحولت بعدها إلى مجرد متحف مفتوح على الطبيعة يقصده هواة التنزه التصوير لالتقاط صور تذكارية مع بقايا كائن بشري (عظم ساعد قدم ، بقايا جمجمة ... الخ) ناسين أو متناسين أنه بالأمس

القريب وهب حياته رخيصة في سبيل الله وجاء من بعيد للذود عن العرض والدين وأنه عند ربه حي يرزق .

أقدمت السلطات البلدية وقبل عقدين من الزمن على إحاطة رفاة شهداء الدغامشة بصناديق إسمنتية وتسييج نحو 77 رفات للشهداء وظل الكثير إلى اليوم خارج السياج أما بالفقيقيرة فلم تُقم غير صناديق من قوالب البناء حول الرفات ولما كانت الصناديق الإسمنتية مفتوحة فقد تجمعت بها الرمال التي تشكل مع قطرات المطر عاملا إضافيا من عوامل التحلل. كما لم تُعلم جهة الفقيقيرة ليجهل الكثير من الأهالي - إن لم نقل أحفاد الشهداء أنفسهم - موضعها وليضاف ذلك لسلسل النكران والجحود الذي نقابل به حسن صنيع من وهبوا أنفسهم قربانا وجاءوا من بعيد تلبية لنداء الجهاد وتخليص المدينة من ربق الفرنسيين وجورهم

وفي هذه السنة الجارية (2014) أقدمت جمعية ولائية وبدعم مادي من وزارة المجاهدين مشكورة بستر القبور وتغطيتها بشكل نهائي وكذا تسييج مقبرة الشهداء بالفقيقيرة . رحم الله شهداء المقاومة الشعبية وجميع شهداء الجزائر الأبية وأسكنهم فسيح الجنان آمين .

الهوامش

1 ـ د. محمد حوتيه : محاضرة الرحالة الأوربيون في إقليم توات ص 3 الملتقى 2 للمقاومة الشعبية إن صالح 2010

2-le Commandant H Bissuel : 2-+ le sahara francais p 06

3 ـ د . إبراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر ص 169

4 ـ الشيخ محمد باي بلعالم : الرحلة العلية الى منطقة توات ج 2 ص 312

5 ـ أ. عبد القادر باقلاب المقاومة الشعبية في تيدكلت الملتقى الثلث للمقاومة الشعبية ان صالح 2011

6 ـ د. ابراهيم مياسي: نفسه ص 174

7 ـ د. ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ص 471

8- Colonel D'EU : In Salah et le Tidikelt p45

9 ـ د. ابراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ص 476

محاولات الولاية السادسة نشر ثورة التحرير في أقصى الجنوب الجزائري

الأستاذ محمد مبارك كديده

أستاذ التاريخ المركز الجامعي تامنغست

أصبح التاريخ من أهم و أبرز التخصصات التي تجلب الإهتمام خاصة لما تحسن المستوى الثقافي و العلمي و باتت الدول تسعى لكتابته و الإهتمام بتاريخها في عصر سرعة تناقل المعلومة ، فالفرد لم يعد مقيدا في الإطلاع على نوع معين من المعلومات و من مصدر واحد بل تعددت مشاربه في عصر المعلوماتية ، ما حتم على العديد من الدول تكثيف البحث في هذا المجال أي التاريخ حتى لا يدون بشكل خاطئ أو موه أو بعيد عن الحقيقة التاريخية، و الجزائر ليست ببعيدة عن فلك هذه القضية ، فعبارة لم يحن الوقت لكتابة تاريخ الثورة الجزائرية لم تعد مقبولة في ظل الفراغ الذي يجب أن لا يظل كذلك فمواضيع تاريخ الجزائر بصفة عامة و فترة ثورة التحرير بالذات لازالت الشغل الشاغل لتفكير المتخصصين ،فإن كان و إلى وقت ما من الصعب تناول المواضيع التي تحصر الحيز الجغرافي الصحراوي لأسباب موضوعية فما بالك تناول مواضيع تخص ثورة التحرير الجزائرية التي ترهن الباحث لقلة مادتها العلمية و

تشعب مواضيعها و خصوصيات المجتمعات ، إلا أن ما يعبر عن خُطُو الجزائر خطوة كبيرة في مجال كتابة تاريخها الوطني و خاصة تاريخ ثورتها ، إنها اليوم استطاعت تكوين نخبة من الباحثين في هذا المجال بل و جامعات و مراكز بحث تحتضن و تؤطر مبادرات فعالة في طريق تدوين التاريخ بأساليب علمية تعطيه مكانته المنوطة به كتاريخ حافل بالأحداث و المحطات التي تتطلب مزيدا من الدراسة و العناية و التحليل ، و نظرا لطبيعة المنطقة التي تحتضن ملتقانا هذا كواحدة من مناطق أقصى الجنوب الجزائري و هي منطقة إليزي فإن موضوع الورقة العلمية سيكون حول جهود الولاية السادسة في نشر الثورة التحريرية في مناطق أقصى الجنوب .

مؤتمر الصومام و أنشاء الولاية السادسة التاريخية:

رسم مؤتمر الصومام و حدد المناطق التابعة للولايات الست تأتمر بأمر قادتها و أهم ما يلاحظ على هذه القرارات هو استكمال تغطية الثورة لكامل التراب الوطني حيث لم تقتصر على خمس مناطق كما حدث عندما اجتمعت مجموعة الستة أي أنه لم تعد هذه المنطقة مهملة إن صح

التعبيرت[1] ، و كلف المؤتمر علي ملاح المدعو "سي شريف " بتأسيس الولاية السادسة و الإشراف على قيادتها فمهمته ليست بالسهلة أبدا أن أهمية المؤتمر تكمن في كونه تمخضت عن قراراته ميلاد و نشأة الولاية السادسة أي ما معناه أن تواجد التنظيم الثوري رسميا بالصحراء لم يكن إلا بعد سنة 1956 و بالتحديد بعد مؤتمر الصومام فما أسباب ذلك يا ترى[2] وقد نظم المؤتمر أيضا الولايات داخليا و قسمها إلى مناطق و المناطق إلى نواحي و النواحي مقسمة بدورها إلى قسمات[3] ، كما اعتمد المؤتمر نظام الرتب و ثبته و كرس مبدأ القيادة الجماعية حيث يشرف على قيادة الولاية قائد برتبة عقيد يحمل شارة بثلاثة نجوم حمراء اللون بمساعدة ثلاثة نواب يشرفون على القطاعات السياسية و العسكرية و الإتصال و يحمل هؤلاء شارة بنجمتين حمراويتين و ثالثة بيضاء[4] كما تم تنظيم الرتب كاملة من الصاغ الأول إلى غاية الجندي و هيكلت و قسمت الوحدات القتالية لجيش التحرير تقسيما محكما و ضبطت لكل منها مهامه بدقة[5] .

قدمت كل المناطق - سابقا - تقاريرها لتقييم الوضع و لكن المنطقة التي تقرر أن تكون الحيز الجغرافي للولاية السادسة قدم تقريرها أوعمران و تقول بعض المراجع عن هذا التقرير أنه كان بعيدا عن الواقع و من بين الذين ذهبوا إلى هذا الرأي الهادي درواز في كتابه " العقيد محمد شعباني الأمل و الألم " حيث يبرز أن هذا التقرير لا يمس بصلة إلى ما يوجد على أرض الواقع[6]، و إن نظرنا بتمعن في أوضاع المنطقة التي كانت بعض تخومها الشمالية تابعة للمنطقة الأولى و البعض للخامسة و تشتت القوى في المناطق الوسطى و انعدام الإتصال بعد بأقاصي الجنوب زائد شاسعة المساحة كلها مجتمعة إضافة إلى ظروف أخرى تجعل من مهمة مقدم التقرير صعبة بسبب هذه الظروف من جهة و بسبب عدم تمكنه من الإطلاع على أوضاع ذلك الحيز الجغرافي ميدانيا فإن الحكم الذي أطلق على التقرير يأخذ جانبا كبير من الصحة و هو ما يقودنا إلى السؤال الذي مفاده ما مكانة هذه المنطقة بالنسبة للثورة ؟ واذا أردنا ان نجيب على هذا السؤال فعلينا أن نستشف ذلك من مؤتمر الصومام.

اهتم المحضرون لمؤتمر الصومام بالولاية السادسة مبكرا و أولوها اهتماما كبيرا و يرجع سبب هذا الاهتمام إلى عدم إحاطة لجنة التحضير للمؤتمر بأوضاع الكفاح المسلح في هذه المنطقة و مما يدل على هذا الاهتمام و المكانة ما ذكره " محمد عباس " في كتابه " نصر بلا ثمن " أن " كريم بالقاسم " وجه دعوة لأحد المسؤولين بالناحية الصحراوية حسب تعبيره و ذلك قبل انعقاد مؤتمر الصومام و لكن جهل هذا الرجل حسبه هو ما جعله لا يتكلف عناء السفر إلى المنطقة الثالثة مكان انعقاد المؤتمر ما يعني أنه لم يحضر و لا شخص على دراية بما يجرى في الميادين الصحراوية[7]، و بالتالي فلا غرابة في أن يكون التقرير المقدم باسم الولاية غير عاكس لوقعها وهو التقرير الذي قدمه أوعمران نيابة عن علي ملاح و نص على ما يلي :

- عدد المنخرطين في جبهة التحرير بلغ خمسة آلاف (5000)منخرط .

- عدد المجاهدين ألفين (2000) مجاهد .

-عدد المسبلين مائة (100)مسبل .

- الأسلحة: خمسون (50)مسدس ، مائة (100) بندقية صيد ، عشر (10) رشاشات ، بندقية رشاشة واحدة .

- الأموال الموجودة بالصندوق عشرة ملايين (10000000) فرنك قديم وقد خص هذا التقرير جهات سور الغزلان و سيدي عيسى وعين بوسيف و الشلالة و خص أيضا جهات وادي ميزاب و الجلفة و الأغواط و مناطق أقصى الجنوب[8]

فالولاية السادسة حاضرة ميدانيا و غائبة جسديا عن المؤتمر و هو الذي أقرها ووضع حدودها الجغرافية رغم أن المسؤولين الميدانيين في الصحراء آنذاك لم يكونوا راضين عن التقرير المقدم باسم ولايتهم واعتبروه بعيدا عن الحقيقة في جميع الجوانب التنظيمية و العسكرية و حتى المالية[9] .

مما سبق نستنتج أن المؤتمر أقر الولاية فكل المصادر رغم اختلافها لم تختلف في هذه النقطة وهذا يعني أن القيادة أدركت الأهمية الإستراتجية للمناطق المشكلة للولاية السادسة و ردت لها الاعتبار ، و بعد نهاية المؤتمر وصل العقيد أوعمران إلى الولاية الرابعة و عقد اجتماعا بمعية علي ملاح و مجموعة من الإطارات أطلعهم فيها على

كامل مقررات مؤتمر الصومام ، و بعدها باشر ملاح عمله و كان هذا الإجتماع من 22إلى 24 أكتوبر 1956 فانطلق ملاح صوب الصحراء لتشكيل الولاية الحديثة النشأة[10] بعد ما دعم من طرف الولاية الرابعة بفرقتين إضافة إلى الإطارات التي جاءت معه إلى الولاية السادسة حيث كان عددهم 35 كما أمدته الولاية الثالثة بفرقة يقودها المدعو الروجي و هكذا يبدو أن قائد الولاية سيعتمد في تنظيمها على عناصر أجنبية عنها فإن كانت لجنة التحضير لمؤتمر الصومام لم تعتمد في تقريرها المقدم باسم الولاية على القادة الميدانيين في الصحراء فلماذا لم تتصل بهؤلاء القادة ؟، الذين كان لهم تنسيق مع مصطفى بن بو لعيد أمثال زيان عاشور و الحواس و الحسين بن عبد الباقي و هذا التساؤل الذي طرحه المجاهد عمر صخري في مداخلة له[11] ؛ ما يعني أنه رغم إقرار مؤتمر الصومام لوجود الولاية و إنشاءها فإن التنسيق الذي ظهر لا يبدو أنه بذلك العمق الذي ينبغي أن يكون عليه فهناك قادة فاعلون في الصحراء و انضموا طواعية إلى الثورة و لم يأخذ برأيهم و عين المؤتمر" علي ملاح " قائدا لتعميم الثورة في الجنوب.

إستراتيجية عمل الولاية السادسة :

إن الحديث عن استراتيجية نشر ثورة التحرير في الحيز الصحراوي بداية من عام ست و خمسين تسع مائة و ألف مرده إلى أنها السنة التي عقد فيها مؤتمر الصومام ، و هو اللقاء التاريخي الذي أنشأت بموجب قراراته الولاية السادسة و بالتالي جسدت استراتيجية نشر الثورة جنوبا ، لأن المفجرين الأوائل قسموا الجزائر إلى خمسة مناطق و لم تكن من ضمنها المناطق الصحراوية[13] ، و وضعت مناطقها خارج مخطط العمليات العسكرية لتجسد مخطط آخر و هو الدعم و الاسناد و تزويد الثورة بالسلاح القادم من الحدود خاصة الحدود الشرقية في المرحلة الأولى و هي الحدود الملامسة لكل من ليبيا و تونس .

و بعد مؤتمر الصومام أنشأت الولاية السادسة التي كانت تغطي مساحة شاسعة من مناطق الصحراء الجزائرية الوسطى و الشرقية أما المناطق الغربية فكانت ضمن إطار الولاية الخامسة[14] ، هذا لا يعني أنها كانت بمعزل عن ما حصل في غرة نوفمبر أربع و خمسين تسع مائة و ألف خاصة المناطق الشمالية من الصحراء فمناطق بسكرة و وادي

سوف التي كانت قريبة من المنطقة الأولى (أوراس النمامشة) عرفت عمليات في شهر نوفمبر من نفس السنة[15] إلا أن التجسيد العملي جاء بعد نشأة الولاية السادسة التي تعاقب على قيادتها كل من علي ملاح(المدعو سي الشريف) ما بين عامي 1956 -1957 و أحمد بن عبد الرزاق (المدعو سي الحواس) ما بين عامي 1958 -1959 و محمد شعباني ما بين عامي 1959 -1962[16] ، و قد عرفت الولاية السادسة تطورا كبيرا في عهد قائديها سي الحواس و شعباني و تجسدت فكرة تعميم الثورة نحو أعماق الجنوب الجزائري في عهديهما عمليا، و لا غرابة في ذلك لأن شعباني عمل تحت قيادة سي الحواس قبل أن يستشهد هذا الأخير و يخلفه الأول في قيادة الولاية و قد كان حاضرا معه في تسطير الاستراتيجية و هذا ما عبر عنه جغابة محمد المكلف شخصيا بالمهمة قائلا: «... حين فرغ سي الحواس من تقديم عرضه قال لي (ربما كخلاصة لكلامه ؟) ما يلي: « لقد كلفتك بإنجاز مهمة مع بعض الجنود ، في جنوب الوطن و ذلك بهدف جمع الأسلحة و الأموال ، و تنصيب خلايا جديدة وسط السكان عبر كافة أرجاء

المناطق الصحراوية من مدينة "بريان" إلى تمنراست ثم لاذ بالصمت فجأة ليطلب من محمد "شعباني" تسليمي جميع التعليمات كتابيا و تعريفي بالدليلين اللذين يرافقاني نحو الجنوب... »[17].

من خلال هذه الشهادة نعرف سر استمرار توغل الثورة جنوبا رغم ما استشهاد قائد الولاية السادسة و رغم الظروف التي مرت بها الولاية الصحراوية ، و التي لم تؤثر على صاحب المهمة لأنها جرت في خضم توغله في أعماق الصحراء من متليلي إلى غرداية إلى المنيعة إلى عين صالح إلى تامنغست في ظروف صعبة و حصار محكم لقوات الإحتلال لمناطق الصحراء متباعدة الأوصال و منخفضة الكثافة السكانية[18].

و قد سارت الأمور وفق مخطط قيادة الولاية السادسة في نشر خلايا الثورة إلى غاية مناطق هقار في سنة 1956م ، و اشتغلت الخلايا في هذه المرحلة بسرية تامة و أدت مهامها المسطرة لها ، و نظرا لطبيعة المناطق و تباعدها كانت الأولوية في هذه المرحلة التعبئة و التكوين ، و بدخول الولاية السادسة مرحلة القلاقل و الحل من قبل هيأة الأركان

تغيرت الاستراتيجية نوعا ما و تأثرت رغم أن بعض المناضلين على الأرض لم يدركوا ماذا كان يحدث و استمروا في تنفيذ الأوامر المعطاة لهم سابقا[19].

و نفس الشيء لاحظناه على أجوبة المجاهدين الذين تحدثنا معهم حول قضية تداخل قيادة الولاية السادسة و الخامسة ما دام جغابة محمد و هو الذي قام بكل هذه المهمة الجليلة و الصعبة و هو الذي خاض كل المخاطر و نجح في تنصيب كل تلك الخلايا لم يجد تفسيرات لذلك حين أدلى بشهاداته ، و هو الذي كان أعلى رتبة منهم فلماذا هذا التحول و لماذا؟ و هل يعني هذا تغيرا في الاستراتيجية ؟

إستراتيجية نشر ثورة التحرير في الصحراء بعد عام 1960 :

بعد عام ستين تسع مائة و ألف ظهرت تطورات جديدة على الساحة حيث أظهر الإحتلال الفرنسي تركيزه على الحيز الجغرافي الصحراوي بإجراءات سياسية و عسكرية سببها الأول عدم تمكنه من القضاء على الثورة و لا حصارها و لا وقف انتشارها، يضاف إليها اكتشاف

الثروات الباطنية و استخراجها خاصة المحروقات فأهمية البترول آخذة في الازدياد[20].

بل ظهرت المشاريع الفرنسية الهادفة لفصل الصحراء علنا، و أخذت فرنسا تطور من مشاريعها واحدا تلو الآخر كلما بدا أن هذا المشروع لم يحقق المرجو منه يتم استبداله بآخر و غالبا ليست هذه هي القاعدة الأساس و انما نستنتج كذلك أن الاحتلال إنما كان يطور من مشاريعه فبداية بالمنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية ثم وزارة الصحراء ، و إزدادت عمقا و وضوحا و خطورة بمحاولة إغراء أعيان ميزاب و أعيان التوارق إلى مشروع الجمهورية الصحراوية[21]، و بطبيعة الحال تغيرت الإستراتيجية المنتهجة في هذا الحيز الجغرافي و أيضا نفس الشيء يمكن أن يقال عن الأهداف المبتغات من هذه الإستراتيجية الجديدة فيما تمثلت وإلى أي مدى نجحت في تحقيق ما هو مسطر لها؟.

1) - **على الصعيد السياسي** : فيما يخص المجال السياسي وضعت جبهة التحرير الوطني في حسابها كل ما يمكنها من دحر استراتيجية الاحتلال منتهجة الخطوات التالية:

01 -السعي و العمل على تحقيق مقاطعة الشعب للإدارة الفرنسية و هذا ما من شأنه إضعاف و إفشال مخططات الإحتلال المبنية على أساس عزل الشعب عن الثورة و ذلك بتشكيل تنظيمات سرية داخل المدن و القرى و المداشر تعمل على حل النزاعات والتكفل بمختلف المشاكل التي كانت تظهر على الساحة المحلية من حين لآخر، و تدعيم الإتصال بالشعب و نشر اليقظة و التوعية و دعوته إلى الاستقالة من كافة هياكل الإدارة الإستعمارية و التعبير عن دعمهم للثورة و جبهة التحرير الوطني[22] ، و قد إستعملت عدة طرق منها المناشير التي كان تداولها مؤثرا ثم تجاوزته الجبهة إلى إجراء آخر أكثر تأثيرا و ذلك بالإعتماد على مجاهدين لهم قدرات سياسية و بإمكانهم القيام بالدعاية[23].

02 - الدعوة لمقاطعة الانتخابات والنشاطات السياسية التي ترعاها أو تتبناها سلطات الإحتلال الفرنسي ، و منع النواب من حضور إجتماعات حمزة بو بكر[24] المروجة لمشروع الجمهورية الصحراوية الفرنسي و تحذيره من مغبة

المضي في تلك المخططات التي يدعمها الإحتلال الفرنسي بكل الامكانيات المادية و المعنوية[25].

03 - ضرب استقرار الشركات البترولية الأجنبية التي منحتها فرنسا امتيازات و حوافز للإستثمار في مجال التنقيب و استخراج الثروات في الصحراء الجزائرية ، يضاف إليه سعي الحكومة المؤقتة لإبلاغ دول هذه الشركات بعدم جدوى و فعالية الصفقات المبرمة مع الحكومة الفرنسية سنة 1959 كونها لا تملك حق عقد إي صفقة تخص إستغلال الثروات الجزائرية لأنها ليست الجهة المالكة لها[26].

04 - إبراز تضامن الشعب مع ثورة التحرير و احتضانه لها لإثبات بطلان النعوت التي كان الإحتلال يطلقها على المجاهدين و مثال ذلك اتخاذ يوم 05 جويلية 1961 يوما وطنيا ضد سياسة التقسيم ، فبرغم حشد قوات كبيرة لكسر الإضراب العام و الشامل تمسك الشعب باليوم و خرجوا في مظاهرات ضد التقسيم في كل من بسكرة و الجلفة و الأغواط و في غرداية عام 1960 و في مدينة توقرت سنة 1961 و في ورقلة 1962[27].

05 - سعي الإحتلال الفرنسي للإستفادة إقتصاديا و الحصول على أكبر قدر من الإمتيازات و هذا ما قابلته خطة محكمة من قبل جبهة التحرير الوطني مثل تصورا جزائريا مبكرا لإستغلال الثروات أحسن إستغلال من أجل تنمية إقتصاده المستقبلي و إنعكاسه إيجابا على المجتمع الجزائري بالأرقام و في مختلف القطاعات فعلى سبيل المثال النفط و الغاز الطبيعي فإذا كانت فرنسا فكرت في خطة تجعل من إقتصادها واحد من أعظم إقتصاديات العالم فإن جبهة التحرير الوطني فكرت أيضا في إقتصاد جزائري مزدهر و لكي لا نقول انه كان لديها نفس الطموح يمكن القول أنه كان لديها طموح و إستراتيجية واضحة[28].

06 - أما على الصعيد الديبلوماسي فلم تفوت جبهة التحرير الوطني أية فرصة تتاح لها على الصعيد الديبلوماسي فعلى سبيل المثال لا الحصر إستغلال التفجيرات النووية الفرنسية لتثبت للجميع خطورة الإحتلال الفرنسي على الجزائريين ، فمن خلال منبر الجامعة العربية دعت إلى ضرورة القيام بإجراءات عملية منها قيام الدول العربية بالمقاطعة السياسية و الإقتصادية للحكومة الفرنسية ، و السعي على نفس

المنحى لدى الدول الإفريقية و الآسيوية و دعوتها لدعم الثورة الجزائرية بالسلاح والمال[29]، فقد دعى توفيق المدني و من منبر الجامعة العربية الدول الإفريقية و الآسيوية إلى مزيد من الإعترافات ردا على السياسة الفرنسية في الجزائر[30]، كما إستغلت التجمعات الإفريقية لكسب المزيد من الدعم و التأييد للقضية الجزائرية و فيما يخص الصحراء فإن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية قامت بإرسال مذكرة خاصة بشأنها إلى الدول الإفريقية تبرز من خلالها أهداف الإحتلال الفرنسي في هذا الحيز الجغرافي[31]

ب) - **على الصعيد العسكري:** نفس الشيء يقال عن الإستراتيجية العسكرية التي إختلفت عن تلك المنتهجة في المرحلة الأولى حيث شملت التنظيم العسكري المناطق الصحراوية التي لم يتمكن من أن يضع فيها خلاياه في المرحلة السابقة و يمكن تلخيصها في ما يلي:

01 - نشر الثورة في الصحراء مهما كانت الصعوبات التي تعترض ذلك ففي الجزء الشرقي الذي وضعت مناطقه تحت قيادة الولاية السادسة المنشأة فقط بعد مؤتمر الصومام كما أسلف ذكره و الذي أعاد الإعتبار لمناطق كانت

خارج حسابات مفجري الثورة التحريرية لعدة أسباب، و بهذا تكون الثورة قد حققت هدف الشمولية رغم أنها لم تتمكن من جمع كل المسؤولين و الممثلين في هذا المؤتمر التاريخي إلا أنها تمكنت من وضع أرضية تمكنها من إعادة الإعتبار لهذه المناطق[32]، و من أجل سياسة أخرى في المناطق الجنوبية البعيدة تم إنشاء منطقة خامسة مشكلة من غرداية و متليلي و ورقلة و تامنغست و تأطيرها لتصبح مناطق إنطلاق و هو ما يسمح بالتوغل جنوبا لإستقطاب وجهاء و أعيان القبائل و تجنيدهم لخدمة الثورة و إطفاء نار الفتن التي كان يبثها المحتل الفرنسي من حين لآخر ، و مد شبكات الثورة التحريرية إلى غاية مناطق أقصى الجنوب .أما الجهة الغربية من الصحراء فكانت تابعة للولاية الخامسة التي كانت مساحتها هي الأخرى شاسعة و التي تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الحدود المالية جنوبا و يحدها شرقا كل من الولاية الرابعة و الولاية السادسة و غربا الحدود المغربية و الموريتانية و لم تكن كل مناطقها صحراوية كما هو الشأن بالنسبة للولاية السادسة[33].

02 -محاربة الإستراتيجية العسكرية الفرنسية التي تهدف إلى إبقاء الصحراء الجزائرية أرضا هادئة دون أن تتضمن ميادين للحرب ، و كانت لا ترغب أبدا في قيام جيش التحرير و لا تواجده بها[34] ، و لم توفق في ذلك فكما أسلفنا قامت جبهة التحرير بوضع خطة لمد الثورة جنوبا إلى غاية مناطق أقصى الجنوب[35] و لما شددت قوات الإحتلال الفرنسي على الصحراء و كثفت من تواجدها العسكري كان رد فعل الثورة أن أقدمت على إجراء آخر من شأنه إثبات تواجد جيش التحرير الوطني بالصحراء و ذلك بإنشاء منطقة أقصى الجنوب سنة 1960[36] إنطلاقا من الحدود المالية دخل مجندوها التراب الجزائري بعد إتمام تدريبهم و جاهزيتهم[37] و هو ما سنتحدث عنه لما نتحدث عن دور الجبهة الجنوبية و منطقة الهقار في استراتيجية الثورة في المرحلة الأخيرة من معركة التحرير.

03-القيام بتجنيد عدد كبير من الشباب و في شتى المجالات مثقفين و أدلاء و ميكانيكيين لإستخدامهم في زرع الألغام و تنظيم مكاتب سرية هدفها جمع المعلومات عن قوات الإحتلال و الشركات البترولية و الجالية الأوروبية و

المناوئين للثورة و رصد تحركاتهم و مخططاتهم و إبلاغها للمجاهدين، و قد كان المجندون في جيش التحرير الوطني رغم صعوبة الظروف يدفعون الإشتراكات دوريا و هو ما من شأنه أن يدعم الجيش بمبالغ مالية و حاجيات من ألبسة و أغذية و أدوية و ذخيرة[38].

04 - إستهداف المنشآت البترولية التي لم يخفي دوغول رغبته في إستغلالها و إستغلال البنى التحتية التي أنشأها في الصحراء الجزائرية[39] فقد عمل جيش التحرير على إستهداف مصالح هذه الشركات المتواجدة بمناطق الصحراء و خاصة البترولية منها[40] و مثال ذلك العمليات التي قامت بها وحدات من جيش التحرير في 21 سبتمبر 1957 و التي إستهدفت إثنتين من ناقلات البترول على الحدود الجزائرية الليبية و بسببها أصبحت الطريق بين غات و جانت تحت مراقبة جيش التحرير الذي قام بعدة عمليات ونصب عدة كمائن[41].

05 -توسيع رقعة المعارك العسكرية للقضاء على الهدوء الذي تحاول سلطات الإحتلال الفرنسي رسمه على المناطق الصحراوية فقد بلغت التي قام بها جيش التحرير المناطق

البعيد كعين صالح و تمنراست و تيميون و أدرار[42] أمام الرغبة الفرنسية في السيطرة على كامل الصحراء و لكنها لم تتمكن من تحقيق ذلك رغم ما جندته من إمكانيات ووسائل[43].

منطقة الهقار في استراتيجية جبهة الثورة الجزائرية (السبل و المناهج):

نظرا لموقع منطقة الهقار في أقاصي الجنوب الجزائري و ظهور أهمية استغلال الحدود الجنوبية الجزائرية مع دول الجوار لفك الحصار الذي بدأ يخنق الثورة الجزائرية بسبب تأثر الحدود الشرقية و الغربية بمخطط الأسلاك الشائكة المكهربة و حقول الألغام التي وضعت للحد من نشاط شبكات الدعم ، هذا عن الإستراتيجية العامة و التي من أجلها أنشأت المنطقة الجنوبية الصحراوية التي تعمل على طول الحدود الجنوبية ، أما عن منطقة الهقار فقد عرفت مناهج و سبل يمكن حصرها تتماشى و طبيعة المنطقة و التطورات السياسية المتعلقة بها في هذه الفترة .

لم يكن من السهل على محمد جغابة الوصول إلى منطقة الهقار كطريق أولا و هو الذي اكتسب خبرة في التعامل مع

المجتمعات التي مازالت تقيم وزنا للنظام القبلي في الصحراء ، و هو ما كان إذ كان سعيه الحثيث للقاء زعيم التوارق الذي يسمى عندهم أمنوكال و شعر بأن السكان لا يعانون القهر الواضح -حسب ما عبر - و مرد ذلك إلى تمتع السلطة التقليدية القبلية بقيمتها[44] ، و هو ما ساعده على تنظيم اللقاء في سرية تامة لأن أمنوكال كان بإمكانه رعاية مثل هذا اللقاء الذي شكلت فيه الخلايا و حسب ما استنتجت من شهادات جغابة أن موسى أخاموك هو أمنوكال و هذا ليس صحيح و انما التبس عليه الأمر للمدة القصيرة التي أقام فيها في منطقة الهقار بل كان شقيقه الأكبر باي هو أمنوكال ، و لم يكن من السهل الاتصال به و لكنه كان يدرك أهمية الموضوع فرعاه و تبناه و قدم أخاه موسى فهو لم يكن يريد أن يخذل الثورة و لا يريد أن يمنح الإحتلال فرصة شغور منصب أمنوكال بسبب انزعاجهم من مواقفه ما سيسمح لهم بالسيطرة و تحقيق أهدافه[45] ، و هو ما سيظهر حين سيكون باي في واجهة أفشال مشاريع الإحتلال الفرنسي لفصل الصحراء الجزائرية التي تحاول إيجاد الداعم لها و ما يدل على إصرار الإحتلال هو

المحاولات الثلاث التي قام بها محاولا إغراءه أظهرت تفطن هذا الرجل و ذكاءه[46].

و ما يمكن أن يقال عن منهج الثورة أنها سارت مع نظام المجتمع و تجسيد جيد من قبل صاحب المهمة يؤكد ما ذكرناه آنفا حول إستغلال أعيان القائل لخدمة القضية الوطنية ، و نظرا لظروف المنطقة استنتجت من كلام جغابة أنه استنتج ضرورة أن تتم عملية توعية و تحسيس أولا في المنطقة و هي مهمة الخلية التي شكلها[47] ، التي شرعت في جمع الإشتراكات و التجنيد سريا حيث كان المجندون يحتفظون بسر الثورة و يلتزمون بدفع الاشتراكات و تنام الوعي الذي كانت تستهدفه الثورة في المنطقة[48] ، و في مرحلة الستينات لما قررت قيادات الثورة فتح جبهة أقصى الجنوب تغيرت الإستراتيجية في منطقة الهقار نوعا ما في ظل اعتماد القيادة الجديدة على نفس المكلفين بالعملية سابقا للاستفادة من خبرتهم فاصبح المجندون ينتقلون إلى المعسكرات التي أعدت لهذا الغرض في المناطق الحدودية المالية و هناك يتلقون تدريبا عسكريا يجعلهم أكثر جاهزية للقتال[49] ، ثم عاد هؤلاء المجندون سرا لمناطقهم

كما غادروها سرا بعد انهائهم مدة التدريب و رغم أن الأوامر المعطاة لعمل هذه الجبهة في مرحلتها الأولى كانت تقضي بعدم القيام بأية عمليات عسكرية حتى و لو كانت نتائجها مضمونة حتى لا يكشف مخطط الثورة ثم الانتقال إلى الهجوم بعد تهيأة الظروف الملائمة و هو بالفعل ما بدأ تجسيده حين أخذت القوات الجديدة في التنقل من مراكزها في مالي إلى معسكراتها السرية في الجزائر ، و حتى في هذه المرحلة لم تهمل الثورة العامل المحلي و نظام المجتمع في اختيار اماكن المعسكرات الاستراتيجية فعلى سبيل المثال لا الحصر معسكر تاهرت في منطقة الهقار[50].

و قد كان التنقل و اختراق الحدود صعبا و ما سهل مهمة القيادة الجديدة في المنطقة هو معرفة و تمرس قيادات القاعدة الشرقية مع النظام القبلي و خبرتهم في التجنيد و التعبئة و اختيار مساعديهم ، فقد كان المتنقل يحتاج إلى تبرير تنقله للحصول على رخصة المرور من قوات الاحتلال التي تحكم قبضتها على المخارج و المداخل ، و قد صرح عدد من الذين عايشوا الأحداث عن صعوبة ذلك خاصة أنهم كانوا شبابا و كانت شديدي الحماس للإلتحاق بصفوف

الثورة التي سمعوا عن أخبارها و التي كانت تصلهم متقطعة و على فترات بسبب بعد المسافة و عزلة المنطقة فإذا بالثورة تأتيهم جنوبا و هي المناطق التي كان سكان المنطقة أكثر تنقلا إليها(مالي و النيجر) بسبب التجارة و المبادلات أو صلات القرابة ، و هو ما أخذته القيادة بعين الاعتبار حين فتحت الجبهة و التجنيد للجزائريين حتى يسهل عليها تجسيد استراتيجية المرحلة الموالية بنجاح.

الهـوامش :

(1) - لخضر بورقعة ،**شاهد على اغتيال الثورة**، ط2، دار الأمة ،الجزائر 2002، ص14.

(2) - محمد عباس ، **دوغول والجزائر** ، دار هومة ،الجزائر، 2007 ،ص53.

(3) -Mahfoud kadache,**Et l'Algérie se libera1954-1962** ,Paris ; edition méditerranée ,France,2003,p50

(4) - محمد العربي الزبيري ،**تاريخ الجزائر المعاصر** ،وزارة الثقافة ،الجزائر 2007، ص80.

(5) - علي زغدود ، **ذاكرة ثورة التحرير الوطني** ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ،الجزائر، 2004،ص16،17.

(6) - نفسه ، ص53.

(7) - محمد عباس ،**نصر بلا ثمن** ،دار القصبة ، الجزائر، 2007 ، ص190،191.

(8) -Mohamed Harbi ,**les archeves de révolution algérienne**, les édition jeune afrique, paris, 1981,p162.

(9) -الهادي أحمد درواز ،**من تراث الولاية السادسة التاريخية** ، دار هومة ، الجزائر، 2006،ص76.

(10) - مبروك بالحسين ،**المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر ،القاهرة) 1954 -1962**، دار القصبة ،الجزائر،2007،ص73.

(11) - الهادي أحمد درواز ،**الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع 1954 -1962**، دار هومة ،الجزائر ،2007)،ص 114.

(12) - بورقعة ، المدر السابق ، ص14.

(13) محمد عباس ، **ديغول و الجزائر** ، دار هومة ،الجزائر ، 2007 ، ص52.

(14) محمد مبارك كديده ، **الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية و طاولة المفاوضات النهائية** ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2014، ص29 -33.

(15) الهادي درواز ، **الولاية السادسة التاريخية تنظيم و وقائع** ، دار هومة ، الجزائر ،2007، ص113.

(16) في هذا المجال أنظر بحثا المقدم لجائزة الدكتور بن شنب لأحسن بحث تاريخي المدية 2012 و المعنون بـ: **دور الولاية السادسة في نشر الثورة في الصحراء** ، حيث حللنا فيه مميزات كل فترة و التطورات التي عرفتها تحت قيادة كل من قادتها الثلاث.

(17) محمد جغابة ، **حوار مع الذات و مع الغير – تحديات الفضاء الفسيح و الأزمنة المفتوحة** ، دار هومة ، الجزائر ، 2007، ج2، ص71.

(18) محمد جغابة ، **حوار مع الذات و مع الغير مد و جزر و تطلعات** ، ج3، ص45 -47.

(19) نفسه ، ص45.

(20) كديده ، **الصحراء الجزائرية** ، مرجع سابق ، ص37 -42.

(21) نفسه ، ص63 -78.

(22) المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية ،**فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية** ، منشورات المركز ، الجزائر ، د.ت ، ص92 -93.

(23) شهادة عبد الرحمان شنوفي (ضابط الولاية السادسة) ، جزء الشهادات المركز الوطني ، المرجع السابق ،ص 327 -328.

(24)**حمزة بوبكر** ولد بتاريخ 15جوان 1912ببرزينة بالميض،تحصل على البكالوريا من ثانوية وهران ،و دخل كلية الآداب بجامعة الجزائر و تحصل على شهادة الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي ،عين مكلفا برئاسة لزاوية سيدي الشيخ سنة 1949 ،كان أستاذا مكلفا بالدروس و أستاذ جامعي ،نائب و رئيس المجلس العام للواحات عين بتاريخ 18ماي 1957مديرا لمسجد باريس إلى غاية سنة 1982رغم قرار تنحيته قبل هذا التاريخ إلا أنه ظل عميدا لهذا المسجد .أنظر عاشور شرفي ،**قاموس الثورة الجزائرية 1954 – 1962**،دار القصبة،الجزائر ،2007 ،ص82 -83.

(25) المركز الوطني للدراسات و البحث ، المرجع السابق ، ص92 -93.

(26)عبد الحميد نجاح ، **منطقة ورقلة وتوقرت من مقاومة الإحتلال إلى الإستقلال** ، الأمل للطباعة ، الجزائر، 2003 ، ص 229.

(27) درواز ، **الولاية السادسة تنظيم ووقائع**،المصدر السابق، ص136– 137.

(28) كديده ، المرجع السابق ، ص49.

(29)إسماعيل دبش ،**السياسة العربية و المواقف الدولية إتجاه الثورة الجزائرية 1954 - 1962**،دار هومة ،الجزائر، 2007،ص254.

(30) أحمد توفيق المدني،**حياة كفاح مذكرات – مع ركب الثورة** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1988،ج3،ص505 -506.

(31) رضا مالك، **الجزائر في إيفيان**، المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، دار الغرابي ،بيروت ،2003 ، ص387 -391.

(32) بوزقعة ، المصدر السابق ، ص14.

(33) مبروك بالحسين، **المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر -القاهرة)1954 - 1962** ،دار القصبة ،الجزائر ،2007 ،ص73.

(34) كديده ، دور الولاية السادسة في نشر الثورة في الصحراء ، مرجع سابق

(35) شهادة لحبيب جراية (ضابط الولاية السادسة)،المركز الوطني ، المرجع السابق،ص365.

(36)شهادة عبد الغني عقبي (ضابط الولاية الخامسة)،نفسه،ص332 -333.

(37) شهادة عمر صخري ،(ضابط الولاية السادسة)،نفسه،ص347.

(38)شهادة الشيخ بدة ،حاوره كديدة محمد مبارك بتاريخ 2010/09/10بتمنراست.

(39) حاجي رمضان وكديده محمد مبارك ، **أوراق من خريف الثوار بمنطقة الهقار** ، بحث غير منشور يعنى بدراسة تفاصيل التجنيد و جمع الإشتراكات من خلال وثائق المكلف بالعملية بالمنطقة.

(40) Charles De Gaulle ,**Mémoires d'espoir-(Le Renouveau1958-1962)**, Librairie Plon ,Paris,1970,p130.

(41)شهادة لحبيب جراية ، في جزء الشهادات المركزالوطني ،المرجع السابق، ص364.

(42) المركز الوطني ، المرجع نفسه ،ص269 -270.

(43)شهادة محمد جبريط (ضابط الولاية الخامسة)، ،ص325 وشهادة عبد الغني عقبي نفس المرجع،ص232.

(44) شهادة الطاهر لعجال(ضابط الولاية الخامسة) ،نفس المرجع،ص338.

(45) حفاية ، المصدر السابق ، ص204 -214.

(46)خاجي ، المرجع السابق ، بحث غير منشور.

(47) كديده ، المرجع السابق ، ص70 -74.

(48) حفاية ، المصدر السابق ، ص204 -214.

(49) دفتر التجنيد لصاحبه المكلف بذلك باحي مولود.

(50) مراسلات بروابحي مولاي احمد مع قيادات الجبهة الجنوبية.

للمزيد أنظر بحثنا المعنون بـ**دور ضباط القاعدة الشرقية في نشر الثورة في أقصى الجنوب الجزائري** ، المقدم للملتقى الوطني سوق أهراس عاصمة القاعدة الشرقية ،جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس 13 -14 ماي.

الجزء الثاني

السياسة الفرنسية لفصل
الصحراء وردود الفعل الوطنية

الفهرس

مظاهرات 27 فبراير 1962 بورقلة ودروها في تعزيز الوحدة الوطنية.....7

د. رضوان شافو

- الصحراء الجزائرية في مواجهة مشروع الفصل الاستعماري الفرنسي.....43

د. الحاج موسى بن عمر

- فصل الصحراء الجزائرية ردودالفعل المحلية 1957- 1962.....87

أ. قن محمد

- مظاهرات 27 فبراير 1962بورقلة وتداعياتها المحلية والوطنية 123

أ. ذكار احمد

مظاهرات 27 فبراير بورقلة ودورها في تعزيز الوحدة الوطنية

د. رضوان شافو

جامعة الوادي

مقدمة

بعد سقوط مدينة الجزائر في يد القوات الفرنسية سنة 1830م سعت فرنسا الاستعمارية بكل ما تملك من وسائل وإمكانيات بشرية ومادية لتمديد عملية التوسع والتغلغل نحو المناطق الصحراوية، وتعتبر سنة 1844م البداية الفعلية لتمديد العمليات العسكرية نحو الصحراء الجزائرية، وذلك بناء على القرار الذي أصدره البرلمان الفرنسي يقضي بتقدم قواته نحو الجنوب، وإنشاء مراكز عسكرية خاصة في المناطق الاستراتيجية الرئيسية، تتحكم في مرور القوافل التجارية من جهة، وتضمن لهم الأمن للمعمرين وتسمح لهم بالتصدي لمقاومة سكان الصحراء من جهة ثانية، ومنه بسط نفوذه على الشريط الواقع ما وراء الأطلس الصحراوي. وعليه فقد تم احتلال ما بين 1844و 1908م بسكرة والجلفة والأغواط وعين الصفراء وجبال القصور وعمُّور، وورقلة وتقرت ووادي سوف، وعين صالح وقورارة وتوات، وغيرها من المناطق الصحراوية.

وفي ذات السياق ازداد الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية، وهذا بعد مشاورات حثيثة بين أفراد الحكومة

الفرنسية، حيث أصدرت السلطة الاستعمارية يوم 24 ديسمبر 1902م قانون تضمن تنظيم أقاليم الجنوب الجزائري، وإنشاء ميزانية خاصة ومستقلة بها، وقد أخذ تقسيم هذه الأقاليم شكلين حسب مرسوم 12 ديسمبر 1905م: فالشكل الأول قسم إلى دوائر وملحقات ومراكز، والشكل الثاني قسم إلى بلديات مختلطة وأخرى أهلية، وقد شملت هذه الأقاليم العمالات التالية: (عمالة تقرت وعاصمتها تقرت، عمالة الواحات وعاصمتها ورقلة، عمالة عين الصفراء وعاصمتها كولومب (بشار)، عمالة غرداية وعاصمتها الأغواط).[1]

وفي منتصف الخمسينات بدأ يتبلور في الفكر السياسي الاستعماري مصطلحات تنادي بتثمين واستغلال ثروات الصحراء الجزائرية، خاصة بعد اكتشاف البترول والغز ومناجم الذهب والنحاس، ولذلك سعت الإدارة الاستعمارية لتحقيق هذا الحلم الاقتصادي إلى اختراع فكرة فصل الصحراء عن الشمال، وانطلاقا من هذا الطرح وضعنا

1 R.Estoublon et A.Lefebure, Code de L'Algérie annoté, Alger, imp.Adolphe Jordan, 1907, 1902, p82.

أسئلة محورية لدراستنا أبرزها: وما هي أهم الخطوات العملية لتحقيق مشروع الانفصال؟ وكيف كان موقف الأعيان والزعامات المحلية من مؤامرة الانفصال؟ وكيف كانت ردود الفعل الشعبية ضد مؤامرة الانفصال؟

ثانيا: خطوات تجسيد مشروع الفصل:

1 -إنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية: وذلك بإصدار قانون رقم 27 -57 المؤرخ في 10 جانفي 1957م، الذي ينص على إنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية، وهو مشروع يسعى إلى تحقيق تنظيم اقتصادي للصحراء، ويحتوي القانون على ثلاثة عشرة مادة. وتجدر الإشارة إلى لأن مشروع المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية كان قد اقترح من طرف السيد هوفوي بوانيي[2] Hauphouet Boigny، الذي قدمه بدوره إلى مجلس الوزراء بعدما تم عرضه على المجلس الوطني ومجلس الجمهورية، حيث تمت المصادقة عليه في 10 جانفي 1957م[3]

2 -هوفوي بوانيي Hauphouet Boigny :
الوزير المنتدب لدى رئاسة مجلس الوزراء في حكومة موليه، ورئيس جمهورية ساحل العاج فيما بعد.

3 -J.O.R.F, du 11 Janvier 1957, p578.

2 -إنشاء وزارة خاصة بالصحراء وتقسيم الصحراء إلى عمالتين:

نظرا لعدم وجود إطار إداري يُسيّر المناطق الصحراوية نتيجة لقرار إلغاء نظام الأقاليم في الجنوب الجزائري، أصدرت السلطة الاستعمارية قرار في 10 جوان 1957م يتعلق بإنشاء وزارة خاصة بالصحراء، بهدف استمرارية الحفاظ على الصحراء الفرنسية، وقد تم تعيين السيد ماكس لوجان Max lejeune وزيرا على رأس هذه الوزارة.[4] أما فيما يخص تقسيم الصحراء إلى عمالتين فقد تم تقسيمها وفقا للمرسوم رقم 57 -903 المؤرخ في 7 أوت 1957م[5]، فالعمالة الأولى هي الواحات وعاصمتها الأغواط ثم ورقلة (الجنوب الشرقي) بمساحة تقدر بـ1302000كلم^2 و348000 نسمة، والعمالة الثانية هي الساورة وعاصمتها بشار (الجنوب الغربي) بمساحة تقدر بـ80000كلم^2 و152000نسمة، خلفا لما كان يعرف سابقا بأقاليم الجنوب الجزائرية.

3 -إنشاء جمهورية صحراوية مستقلة: لقد حاولت الإدارة الاستعمارية وبمناورة سياسية خلق إطار إداري وسياسي خاص بالصحراء ومستقل عن الجزائر، وذلك منذ سنة 1957، وبدلت

4 J.O.R.F. du 14 juin 1957, p5923
5 Décret n0 57-903. Du 31 décembre 1959, J.O.R.F. du 12 Janvier 1960, p339.

مساعي حثيثة في الاتصال بالشخصيات المحلية والأعيان، وقدمت لهم الإغراءات والمساومات السياسية لقبول مشروع الجمهورية الصحراوية، غير أنه على ما يبدو أن جميع تلك العروض قد فشلت، وهذا ما سنوضحه لاحقا.

4 -تدويل الصحراء الجزائرية: في إطار المساعي الفرنسية لإنجاح مشروع الانفصال سعت فرنسا إلى تدويل الصحراء الجزائرية عن طريق طرح مناورة جديدة مفادها أن الصحراء بحر داخلي تشترك فيه جميع الدول المجاورة، زيادة على ذلك خلق شبكة من المصالح الاقتصادية والاستراتيجية لأطراف أجنبية عديدة تكون لها المرجعية بينهم، مستعملة في ذلك البترول كورقة رابحة، ورافعة في ذلك شعار "ثروات الصحراء لفائدة جميع الصحراويين".

ثالثا/ الدعاية المغرضة والحرب النفسية لتحقيق مشروع الانفصال:

لتحقيق مشروع فصل الصحراء عن الشمال عملت على خلق شبكات للدعاية والحرب النفسية لتهيئة سكان الصحراء وإعدادهم نفسيا لتقبل مشروع الفصل، وقد أسند أمر تحقيق

هذه المهمة إلى ضباط المكتب الثالث والخامس للجيش الفرنسي، وهو المكتب المكلف بالدعاية والحرب النفسية ضد سكان الصحراء.[6] ولقد استغل هذا المكتب جميع القنوات الاجتماعية التي تمكنهم من الوصول إلى مختلف فئاته، بهدف تطويقهم وربطهم عضويا بفرنسا، ثم تجنيدهم للدفاع عن سياستها ومشروعها لفصل المنطقة وذلك من خلال اتباع سياسة ذات مراحل تبدأ **أولا** فصلهم عضويا ووجدانيا عن إخوانهم بالشمال، ثم **ثانيا** إقناعهم بتبني الحلول الفرنسية حول مصير المنطقة من خلال تكوين "إنسان صحراوي فرنسي لا جنسية لا جنسية فقط بل ووجدانيا أيضا"، ليتم **في الأخير في مرحلة ثالثة** محصلة للمرحلتين السابقتين "وضع هذا الإنسان في الخندق ليدافع عن مصالحه جنبا إلى جنب مع الفرنسيين في إطار الدفاع الذاتي"7.

6El Moudjahid, femmes et enfants algériens face à l'action psychologique,n027 du 22/07/1958, vol I , pp542-543.

7 محمد بن دارة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ما بين 1952 -1962 ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ بجامعة الجزائر، 1998 -1999، ص134

وعليه فقد اعتمد نشاط الدعاية والحرب النفسية ضد سكان الصحراء في عمله على شبكة تتكون من فرعين[8]:

الفرع الأول: شبكة الاستقطاب والدعاية النفسية بين الشباب من ذكور وإناث الذين تتراوح أعمارهم ما بين 14 و20 سنة باعتبارهم فئة هامة أيضا لها وزنها حاضرا في تقرير مصير الصحراء، وهذا الفرع جسدته مراكز التنشيط الاجتماعي التي تم استحداثها بقرار في 9 جوان 1959م، حيث كان يشرف على كل مركز مشرف إداري أو ضابط من ضباط الشؤون الصحراوية، تساعده في مهامه لجنة استشارية متكونة من تسعة أعضاء تضم ممثلين عن مختلف الهيئات، تجتمع هذه اللجنة الاستشارية مرة في كل شهر لبحث القضايا والمسائل المختلفة للنوادي الاجتماعية وتوزيع الاعتمادات المالية عليها، أما على مستوى العمالة فهناك لجنة مختلطة بين الجيش ووزارة الصحراء تسهر على التنسيق بين النشاط الاجتماعي لهذه

8 - محمد بن دارة، المرجع السابق، ص135

المراكز ونشاط الدعاية والحرب النفسية الذي يقوم به الجيش في إطار حرب التهدئة.[9]

وتجدر الإشارة إلى أن ميادين التنشيط الاجتماعي قد شملت المدارس التعليمية والمراكز المهنية للتكوين، والنوادي الرياضية، وقد كانت هذه الميادين ميدان خصبا ومثاليا للممارسة الاستقطابية والحرب النفسية، ومن الأمثلة على ذلك أنه كانت تنظم دورات تنافسية في كرة القدم بين مختلف النوادي الرياضية في إطار تصفيات كأس الصحراء، حيث تم تنظيم المقابلة النهائية سنة 1961م بالملعب البلدي سانت فون Saint-Fons بليون في إطار تصفيات كأس الصحراء، وقد جمعت هذه المقابلة فريقي مدينتي بشار وورڤلة، وأسفرت النتيجة بخمسة أهداف مقابل واحد، مما دفع بالصحافة المحلية إلى وصف طريقة لعب الصحراويين مثل البرازليين[10]، بالإضافة إلى هذه الدورات الرياضية كانت تنظم مخيمات صيفية ورحلات سياحية أيضا، منها الرحلة السياحية إلى ليون في 29

9 - المرجع نفسه، ص136.

10 C.D.A.W.O, B02, Affaires diverses antérieures à l'indépendance.

جوان 1961 والتي نظمتها جمعية شباب الصحراء بالتنسيق مع وزارة الصحراء.[11]

إذن ومن خلال ميادين التنشيط الاجتماعي استطاعت السلطة الاستعمارية أن تمارس دعايتها وحربها النفسية ضد سكان الصحراء وذلك بالتأثير عليهم من خلال الاعتناء بالشباب والرياضة، والترقية الاجتماعية والاقتصادية، مسخرة في ذلك اعتمادات مالية ضخمة تصل قيمتها إلى 85200ف[12].

الفرع الثاني: شبكة الاستقطاب والدعاية النفسية بين الكبار، بعنصريهم الرجال والنساء، وبمختلف فئاتهم من أهالي أوروبيين وأفراد الجيش، وهي فئة هامة أيضا لها وزنها حاضرا في تقرير مصير الصحراء، وتتضمن هذه الشبكة مجموعة من المراكز تمثلت في مراكز الإشعاع ومهمتها إعلام وتربية وتنظيم وإحصاء السكان، ويسهر على تنشيط هذه المراكز خلية اتصال مكونة من ضباط سامون، ومترجم، ومنشطين عن النوادي الرياضية. هذا بالإضافة إلى مراكز تكوين مسؤولي الدفاع الذاتي ومهمتها

11 C.D.A.W.O, B02, Op. Cit.

12 C.D.A.W.O, B02, Projet de budget pour l'action de pacification de l'armée au sahara en 1969.

تحسين وترقية الحاجيات الأساسية للسكان، ويذكر الباحث محمد بن دارة: " أن الدور الأساسي والحقيقي لهذه المراكز هو البحث عن الزعامات محلية مستقبلية بين السكان الأهالي يمكن أن يعهد لها يوما بمهمة الأخذ بزمام الأمور واستخلاف الفرنسيين في تقرير مصير الصحراء"[13].

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الجمعيات النسوية أو ما يعرف بحركات التضامن النسوية كان لها نصيب وافر من عمليات الدعاية والحرب النفسية للجيش الفرنسي في إطار الحرب النفسية الموجهة ضد سكان الصحراء، حيث وصل عددها سنة 1964م ما يقارب 58 جمعية بمجموع 2395 منخرط[14].

وكان الدور الأساسي لهذه الحركات التضامنية النسوية الاستحواذ والسيطرة على المرأة الصحراوية وتسخيرها لخدمة السياسة الفرنسية بالصحراء[15].

13 - محمد بن دارة، المرجع السابق، ص139

14 Bulletin de liaison de comité sahara, mouvement de solidarité féminine, n06, juillet 1961.pp3-4.

15 - محمد بن دارة، المرجع نفسه، ص139

وفي محاولة لجس النبض في أوساط سكان الصحراء وفي إطار التحضير للاستفتاء حول الدستور الجديد الذي جاءت به حكومة الجنرال ديغول، سخرت الإدارة الاستعمارية كل شبكات الدعاية والاستقطاب والحرب النفسية لإنجاح الاستفتاء المزمع إجراءه في 28 سبتمبر 1958م، لكون أن نجاح هذا الاستفتاء في الصحراء سيكون طريقا معبدا ومسهلا لمشروع فصل الصحراء عن الجزائر، وضربة قاضية لنشاط جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني بالصحراء الجزائرية، وهو ما حرص عليه وزير الصحراء الفرنسي ماكس لوجون Max lejeune في رسالة إلى والي عمالة الواحات قائلاك "يجب أن تثبت هذه النتائج بأنه وبالرغم من معرضة الثوار لهذا الاستفتاء، فقد حرصت الغالبية من السكان المسلمين على

المشاركة في هذا الاستفتاء، وبأنهم قد عبروا من خلال تصويتهم بالأغلبية الساحقة على الدستور الجديد، وعلى ثقتهم في حكومة الجمهورية..."[16].

16 C.D.A.W.O, B134, Préparation du Référendum, 4 aout 1958.

وفي هذا الإطار عملت مصالح الدعاية والاستقطاب والنشاط البسيكولوجي على إنشاء ما يسمى بلجان "الإنقاذ العمومي" لإنجاح عملية الاستفتاء، ولبث الدعاية في أساط سكان الصحراء عن طريق توزيع المناشير التوعية وتعليق الشعارات مع ممارسة الدعاية المضادة ضد خلايا جبهة التحرير الوطني في الصحراء [17]، فمن الأمثلة على الشعارات نجد: "الانتخاب بنعم معناه دوام الحضور الفرنسي بالجزائر والصحراء"، "الانتخاب بنعم معناه العمل والأجر للجميع".

رابعا/ مواقف الأعيان والزعامات المحلية بين التأييد والرفض لمشروع الانفصال:

عندما شرعت فرنسا في تطبيق سياستها لفصل الصحراء ولإنجاح هذه السياسة سعت هذه الأخيرة وبشتى الوسائل الإقناع والضغط إلى جرهم للسير في هذا المشروع، واعية في كل ذلك بضرورة وأهمية انخراطهم في سياستها كشرط لا بد منه لنجاح مشروعها المعروف بالجمهورية الصحراوية، ونظرا لأهمية المشروع لدى

17 - C.D.A.W.O, B134, Note de service, de comité de salut public, 19/08/1958.

الحكومة الفرنسية، قام رئيس الحكومة الفرنسية ميشال دوبري Michel Debré وأليفي قيشار O.Guichar المندوب العام للمنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية بزيارات متعددة إلى المناطق الصحراوية من أجل إعطاء المشروع دفعا جديدا، حيث اتصل بمجموعة من الزعامات المحلية التي تتمتع بمكانة سلطوية واجتماعية في الواحات الصحراوية ومن بينهم السيد حمزة بوبكر، والشيخ إبراهيم بيوض، والحاج باي أخموخ سلطان الهقار وغيرهم، وفي هذا الصدد سنستعرض موقف كل واحد على حدا:

أ -موقف الحاج باي أخموخ (سلطان الهقار): حاولت السلطة الفرنسية مساومة الحاج باي أخموخ لقبول مشروع الانفصال، حيث تلقى أول عرض من الجنرال ديغول سنة 1958، وقد تضمن هذا العرض منح الاستقلال لمنطقة التوارق التي كانت ستشمل على ما يبدو منطقة الهقار حتى الحدود الليبية شرقا بالإضافة إلى المناطق الشمالية الأهلة بالسكان التوارق لكل من مالي والنيجر.

وتلقى الحاج باي أخموخ ثاني عرض له في الموضوع خلال زيارته لباريس على رأس وفد من التوارق بدعوة من الجنرال ديغول لحضور احتفالات العيد الوطني الفرنسي في 14 جويلية 1960، وبعد متابعة

الوفد للعروض العسكرية استقبل من طرف الوزير الأول ميشال دوبري الذي عرض عليه بلهجة تجمع بين المساومة والتهديد مقترحا فصل الصحراء عن الجزائر، وتنصيب الحاج باي اخموخ سلطانا على الهقار، فما كان من هذا الأخير إلا الإجابة التالية: " قد لا أطالب باستقلال الجزائر، لكن ما أطالب به هو عدم الاستقلال عن الجزائر"، وفي نفس السنة زار الوزير الأول ميشال دوبري تمنراست وأحضر معه توارق التشاد ومالي والنيجر، حيث جمعهم بالحاج باي اخموخ لمدة 7 أيام بفندق تنهينان، وعرض على اخموخ أن يكون سلطانا على الصحراء فرفض هذا الأخير.

ب - موقف حمزة بويكر رئيس مجلس عمالة الواحات: استطاعت السلطة الاستعمارية أن تستميل السيد حمزة بويكر إلى صفها، وكلفته للقيام بعملية التعبئة والحشد لإنجاح مشروع الفصل، حيث تمكن حمزة بويكر من جمع عدد من الزعامات الصحراوية في لقاءات بالأغواط وورقلة سنة 1960م، من أجل إدخال مشروع الفصل حيز التنفيذ، والواقع أن نشاط حمزة بو بكر في خدمة هذا المشروع يرجع إلى سنة 1959م عندما وضعت بعض الأوساط الفرنسية مشروعها لبتر الجنوب تحت –الجمهورية الصحراوية

المستقلة - وهو مشروع أقيم على نفس الأساس الذي أقام عليه الاستعمار البلجيكي مشروعه الذي أدى إلى انفصال كاتنغا[18].

بل وصل الأمر بحمزة بويكر إلى تعيين نفسه ممثلا لسكان الصحراء في زيارة إلى النيجر يوم 4 ديسمبر 1961 رفقة وزير الصحراء ماكس لوجان Max Lejeune ووالي البوليس بايلو، والمحامي بياجي، بهدف تأسيس الجمهورية الصحراوية المستقلة، وحاول التحدث مع رئيس النيجر السيد حماني ديوري واستمالته لتأييد المشروع، لكن الرئيس النيجري واجهه برفض صارم، وقال له: "لن أعين أبدا على خلق كاتنغا صحراوية"[19].

غير أن حمزة بويكر لم تخفيه انذارات ولا تعليمات جبهة التحرير الوطني، حيث تحرك مرة أخرى من أجل جمع 24 شخصية ذات

18 - المجاهد، "مناورات في الصحراء" ع133، 22 جانفي 1962، (ج4، طبعة خاصة 2007)، ص 3

انفصلت كاتنغا عن الكونغو في جوان 1960 بعد وقوع تمرد عسكري كونغولي وإعلان لويس تشومبي انفصال كاتنغا، وقيام بلجيكا بإرسال قوات للدفاع عن مصالحها لا سيما في مجال التعدين، وموافقة مجلس الأمن على إرسال قوات للمحافظة على استقرار الأوضاع في البلاد، بيد أن هذه القوات لم يسمح لها بالتدخل في الشؤون الداخلية مما أدى إلى تأكد الانفصال.

19 - المجاهد "مناورات في الصحراء" ع113، 22 جانفي 1962، (ج4، طبعة خاصة 2007)، ص5

أصول صحراوية ببيت وإلى عمالة الواحات على هامش أشغال المجلس العام لعمالة الواحات في أفريل 1961م، مع فارق واحد هذه المرة وهو أن حمزة بوبكر اضطر لجمع هذه الشخصيات مستعينا بالبوليس الفرنسي لإلزامها على الحضور، فلقد كان يعلم أنها لن تعود إلى تلبية ندائه بعدما عرفت نواياه، لكن هذا اللقاء انتهى بالفشل مثل سابقه[20]

ج - موقف الشيخ ابراهيم بيوض (من أعيان وادي ميزاب) لكن الشيخ ابراهيم بيوض عضو مجلس عمالة الواحات حاول إجهاض العملية، واتصل بالحكومة المؤقتة الجزائرية يحيطها علما بتفاصيل المشروع، ويستصدر الأوامر اللازمة لإفشال مساعي التقسيم، وبالفعل فإن جبهة التحرير الوطني قد وجهت إنذار لجميع الشخصيات المعنية وجعلتها تبدي رفضها ومعارضتها لمحاولة التجزئة وذلك عندما انعقد الاجتماع الثاني في حي سانتوجان بالجزائر العاصمة سنة 1960 م[21] وهو ما يؤكده المجاهد شنوفي في

20 -المجاهد / مناورات في الصحراء" ع 113، 22 جانفي 1962، (ج4، طبعة خاصة 2007) ص 3

21 - محمد العربي الزبيري" ديغول والصحراء" ملتقى فصل الصحراء ..ص 21

قوله: " منذ مجيء ديغول إلى الحكم كثفت الثورة وقيادة الولاية الثالثة من جهود خاصة ومعتبرة لتعبئة الشعب وتوعيته، خاصة توعية الشباب المغرر بهم في الإدارات المحلية، حيث استغلهم فرنسا في إطار المخطط الذي يعرفه الإخوان (المجاهدين)، وهذا حتى يحتاطوا من التوجيه الجهنمي الاستعماري الذي قامت به فرنسا من أجل فصل الصحراء عن الجزائر"[22]، زيادة على ذلك عملت قيادة الولاية السادسة على توزيع مجموعة من المناشير دعائية لإفشال مؤامرة الفصل، بل تعدى الأمر إلى القيام بعمليات سياسية تمثلت في الاتصال بالجماهير وتوعيتهم بضرورة مقاطعة ونبذ أولئك الذين أرادت فرنسا أن تجعلهم إما قوة ثالثة، أو هيئة تتكفل بالصحراء[23]

ومن جملة ما قام به الشيخ بيوض لإحباط مؤامرة الفصل هو القيام بجولة بين ورقلة وتقرت انطلاقا من وادي ميزاب، وفي ذلك يقول: في ربيع وصيف 1960 كثرت الاجتماعات والحديث والتناجي عن فصل الصحراء بين الحكام الإداريين عسكريين سيارة وبين

22 - شهادة المجاهد شنوفي (ضابط بالولاية السادسة التاريخية)، أعمال الملتقى الوطني الأول بورقلة حول: " فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، 1989 ص 327

- شهادة المجاهد محمد شنوفي، المصدر السابق، ص 328.23

النواب والأعيان لكنها سرية متكتمة، فاشتد خوفي من جعلنا أمام الواقع فاكتريت سيارة من القرارة... وذهبت إلى ورقلة قم إلى دار القائد العيد الذي أثق بوطنيته فوصلت الدار الثانية بعد الزوال، فقيل لي أنه نائم، فقلت أيقضوه فالأمر مستعجل، فقام إلى فحدثته عن خطورة الوضع في قضية فصل الصحراء فعاهدني على لأنه معي وبجانبي ضد الفصل وقال: قل ما شئت واكتب ما شئت فإني أمضيه بدون تردد ... فلويت عنان السيارة من ورقلة إلى زاوية تماسين فكلمت الشيخ (حفظه الله) فأجاب بما أجابه القائد العيد وتعاهدنا ثلاثتنا على التصلب في موقفنا ولو كلفنا حياتنا وعلى إفساد مناورات الانفصاليين ...[24]

وعليه وقف الأعيان الثلاثة موقف موحد في الاجتماع الذي عقده حمزة بوبكر بخصوص " قضية فصل الصحراء" في خريف 1960 م ضمن أعمال دورة مجلس عمالة الواحات في ورقلة وهم : الشيخ أحمد التجاني كممثل عن وادي ريغ، الشيخ ابراهيم بيوض ممثلا عن وادي ميزاب والقايد العيد بوسعيد ممثلا عن ورقلة، حيث تم الرد على حمزة بوبكر وبكل جرأة على لسان الشيخ ابراهيم

24 - ابراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص ص 34 24

بيوض قائلا" سيدي الرئيس إن مجلسنا مجلس اقتصادي بحت ينظر في ميزانية العمالة فاختصاصنا لا يخرج عن دائرة المكاتب والمياه والطرقات والمواصلات وما شبهها، ولا حق لنا مطلقا في التكلم باسم الأمة في أمر سياسي هام خطير، الحق فيه للأمة بأسرها، ثم من جهة أخرى سيدي الرئيس: إن فرنسا لم تستشرنا في سياستنا في هذه البلاد، فلم تستشرنا يوم قطعت الصحراء وجعلت لها نظام التراب الجنوبي، ولم تستشرنا يوم فصلت أجزاء من الشمال سمتها احوازا ممتزجة، فهي تثل وتفصل وتتحكم كما تريد بل أكثر من هذا كنا نطلب اشياء من حقنا ونرفع أصواتنا بها، فلا تسمعنا حتى في تطبيق قوانين سنتها هي، ولا يخفاكم موافقنا في المجلس الجزائري في المطالبة بتطبيق دستوره ... الخ، فإذا ارادت فرنسا اليوم أن تستشير فلتستشر صاحب الحق وهو الشعب الجزائري كله ...[25]

25 - ابراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص ص 35 -36

موقف الشيخ أحمد التجاني (شيخ الزاوية التجانية بتماسين):

على الرغم من تضارب الآراء حول موقف الزاوية التيجانية من الاستعمار الفرنسي بين التاييد وموالاة من جهة، والمعارضة والمقاومة من جهة أخرى، إلا أنه خلال الثورة الجزائرية اثبت الشهادات الحية لبعض المجاهدين، وبعض الوثائق الارشفية على أن شيخ الزاوية التجانية أحمد في تشكيل لجان شعبية سنة 1955 م لدعم وتموين الثورة، واستغلال علاقته بالسلطة الاستعمارية لخدمة أهالي المنطقة والثورة الجزائرية.

لقد لعب الثورة الجزائرية دورا كبيرا في الإطاحة بعدة حكومات فرنسية [26] ، واستطاعت أن تفلس الاقتصاد الفرنسي، مما جعل فرنسا في حالة حرجة تطلبت منها البحث عن حلول للخروج من هذا المازق السياسي والاقتصادي والعسكري، فكان التمرد والعصيان العسكري من طرف بعض جنرالات فرنسا على الحكومة العامة

26 -منديس فرانس 1954م، إيدغار فور 1955، غي موليه 1956م، بورجيس مونوري 1957م، فيليكس غايار 1958م، كلها اسقطت سبع حكام عامين ومندوبين حكوميين وهم: روجي ليونار من 4إلى 6 فيفري 1954م، وجاك سوستال في 25 جانفي 1955م، وجورج ماتارو من 4إلى 6 فيفري 1956م، وروبير لاكوست 1956م، ورؤول سالان كمندوب نوفمبر 1958م، وبول دي لوفريي 1958م، وجون موران 1960م.

في 13 ماي 1958م، وإسقاط الجمهورية الفرنسية الرابعة، والمجيء بالجنرال ديغول إلى الحكم بهدف إنقاذ فرنسا من الأزمة الناتجة عن الضربات الموجعة للثورة التحريرية قبل فوات الأوان، ولقد انتهج الجنرال ديغول في برنامجه الحكومي للقضاء على الثورة الجزائرية على سياسة عسكرية واقتصادية واجتماعية ارتكزت على ثلاثة مشاريع أساسية تمثلت في:

1/ مشروع قسنطينة: جاء بناء على تصريح من ديغول في 03 أكتوبر 1958م، حيث حاول من خلال هذا المشروع أن يبعد الجزائريين عن الثورة على أساس اعتقاده أن هذه المشاريع والإصلاحات ستمكنه من دفع جيش وجبهة التحرير إلى الاستسلام.

2/ مشروع سلم الشجعان: حيث دعا الجنرال ديغول في 23 أكتوبر 1958م الثوار إلى وضع السلاح دون شرط، وبهذه العملية أراد أن يحدث الشقاق بين أفراد جيش التحرير الوطني، وزرع الشك بينهم وعزل الداخل عن الخارج، وإرغام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (GPRA) على التفاوض مع فرنسا من موقع ضعف.

3/ مشروع شال العسكري: الذي بدأ تنفيذه منذ فيفري 1959م للقضاء على الثورة عن طريق العمليات العسكرية، فضلا عن محاولة فصل الثورة عن محيطها في الداخل بفرض المناطق المحرمة، والمعتقلات الجماعية، والسجون، ومحاولة فصلها عن الخارج بهدف عزل الوطن عن محيطه وعزل الولايات التاريخية عن بعضها البعض.

غير أن جبهة التحرير الوطني حاربت هذه المشاريع وأصدرت تعليمات صارمة ضد كل من يقبل هذه المشاريع، أما فيما يخص العمليات العسكرية فقد حاولت قيادة جيش التحرير التصدي لهذه العمليات العسكرية، الأمر الذي دفع بالجنرال ديغول إلى البحث عن وسيلة أخرى لمراوغة جبهة التحرير الوطني، فسارع في خطابه بتاريخ 16 سبتمبر 1959م إلى الإعلان عن منح الجزائريين الحق في تقرير مصيرهم، مستثنيا العمالتين الصحراويتين الواحات والساورة لما فيهما من ثروات طبيعية وطاقوية، التي ستستغل من طرف فرنسا. وهذا الاستثناء نابع من قناعة الجنرال ديغول بالمحافظة على

الصحراء خاصة بعد زيارته السرية إلى منطقة حاسي مسعود وبعض المدن الصحراوية سنة 1958م.[27]

بطبيعة الحال منح حق تقرير المصير للجزائريين هو خطوة مهمة نحو تحقيق الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية، إلا أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية قبلت به كمبدأ، غير أنها رفضت شروط تطبيقه[28]، مطالبة في ذلك بوحدة التراب الوطني. وكان الموقف الجزائري من الصحراء واضحا وصريحا قويا وهو أن

---

27 شهادة المجاهد عمر صخري (ضابط بالولاية السادسة التاريخية)، أعمال الملتقى الوطني الأول بورقلة حول: "فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية"، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 1998، ص346.

28 حق تقرير المصير الذي تكلم عنه ديغول ضمنه الشروط التالية:

1/ أن فرنسا هي التي تمنحه وفقا لمصالحها، ولن يفرض عليها من أحد على اعتبارها منهزمة "يقصد أمام الثورة" ولن تخضع لأي ضغط خارجي أو مساع حميدة أو غير ذلك وحتى من الأمم المتحدة.

2/ إن على الفرنسيين الراغبين في البقاء بالجزائر أن يقرروا ذلك وأن الجيش الفرنسي هو الذي يتكفل بأمنهم وسلامتهم.

3/ وقف العمليات العسكرية من جانب الثورة.

4/ عدم الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل للشعب الجزائري

5/ إنشاء مهاهدات بين الطرفين تمنحها امتيازات متبادلة في مختلف الميادين الاستراتيجية

6/ بقاء الجزائر فرنسية من عدة أوجه بالحفاظ على الطابع الذي اكتسبه

الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن ينفصل عنها سواء في المفاوضات أو في الواقع.[29]

وفي هذه الأثناء بقي الجنرال ديغول متشبثا بمشروع فصل الصحراء عن الجزائر، حيث أرسل العديد من المسؤولين الحكوميين والبرلمانيين في زيارات رسمية استطلاعية، من بينها الزيارة التي قام بها وزير الصحراء آنذاك إلى ورقلة وحاسي مسعود ما بين 7 -9 نوفمبر 1961م، رفقة الجنرال ميرامبوMirambu ، والعقيد باب le colonel Babe، ومندوب المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية هنري فور Henry Forouوالمدير العام للاتصالات كروزKrouz ، ومدير القضايا الإدارية والاجتماعية كاست Kast، ومن أعضاء مجلس عمالة الواحات حمزة بوبكر، ودوفيكDufek، وبودي Boudy، بالإضافة إلى 10 صحافيين من الجزائر وباريس[30] ، كما قام رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك ميشال دوبري Michel Debré بزيارة إلى هذه المناطق ما بين 23 -25 فيفري 1961م رفقة كل من

29 المجاهد: "أهداف الاستعمار في الصحراء" ع98، 19 جوان 1961، (ع4، طبعة خاصة 2007)، ص4

30 Programma de la visite ministérielle 7-9 novembre 1960, C.D.A.W.O , B65

وزير الصحراء روبرت لوكور Robert Locour، ومندوب المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية أوليفي فيشار O.Guichar زاروا خلالها كل من مدينة ورقلة وغرداية وتمنراست وبشار، ثم خلالها تقديم سلسلة من الخطب والتصريحات أمام السكان.

وفي إطار هذه الزيارات الحكومية الرامية إلى الترويج والدعاية لمشروع فصل الصحراء عن الجزائر، أرسل الجنرال ديغول مرة أخرى وفد فرنسيا إلى مدينة ورقلة، بهدف جس نبض الأهالي وتهيئتهم على قبول فكرة تأسيس جمهورية صحراوية مستقلة[31]، وفي هذا الصدد يقول المجاهد محمد شنوفي: "إن الاستعمار

31 حسب شهادة المجاهد مسعودي قويدر بن لخضر يذكر: " إنه كان عاملا في مقر عمالة الواحات بمصلحة البريد والاتصالات، حيث وصلهم تلغرام Télégramme يخبرهم بزيارة الحاكم إلى ورقلة في 27 فيفري على الساعة الثامنة صباحا ليجتمع بوالي العمالة حمزة بوبكر قادما من النيجر بعد أن يزور منطقة جانت، ثم يأتي إلى ورقلة، فسألت أحد الزملاء عن محتوى التلغرام، فأخبرني: إن فرنسا تريد أن تجعل من الجزائر دولة وحدها والصحراء دولة لوحدها، فقلت له إن هذا الأمر لا يليق بالشعب الجزائري، نحن على مقربة من تحقيق الاستقلال، وبالتالي لا يمكننا أن نقبل بهذا الأمر، فطلبت من المرحوم الحاج عمر بن لخضر نسخة من التلغرام (كان يعمل على جهاز النسخ ستانسيل) وأخذتها إلى محمد شنوفي في الرويسات وأخبرته بأمر الزيارة". شهادة حية مصورة للمجاهد مسعودي قويدر بن لخضر، متحف المجاهد بتقرت، 2005/12/10.

الفرنسي أراد بهذه العملية كآخر ورقة يلعبها للضغط على المفاوضات التي جرت في 7 مارس حتى يضمن الصحراء."[32]

غير أن قيادة جبهة التحرير الوطني أرسلت إلى مسؤولي الولاية السادسة لاتخاذ التدابير اللازمة لإفشال اجتماع الوفد الفرنسي بحمزة بويكر والي عمالة الواحات آنذاك، وعليه تم توجيه رسالة ثورية إلى من قيادة الناحية الرابعة – المنطقة الرابعة للولاية السادسة إلى مسؤولي منطقة ورقلة من أجل مقاطعة هذه الزيارة والخروج في مظاهرات شعبية تعبر عن رفض سكان الصحراء لسياسة الفصل والتأكيد على وحدة التراب الوطني، فما كان من سكان ورقلة إلا تلبية نداء جبهة التحرير الوطني وخرجوا يوم 27 فيفري 1962م في مظاهرات شعبية عارمة، يعبرون فيها عن دعمهم المطلق للحكومة المؤقتة الجزائرية وجبهة التحرير الوطني الرافضة لمؤامرة الفصل، ويبقى السبب المباشر لهذه المظاهرات هو مقاطعة زيارة الوفد الفرنسي للمنطقة بهدف جمع إمضاءات تؤكد على تمسك

32 شهادة المجاهد محمد شنوفي، المصدر السابق، ص328

سكان الصحراء بفكرة الانفصال تلبية لنداء جبهة التحرير الوطني.[33]

كانت هذه المظاهرات امتثالا لأوامر وتوجيهات قيادة الثورة بالولاية السادسة حيث وصلت التعليمات في رسالة ممضاة من طرف الملازم الثاني محمد شنوفي بيوم واحد قبل المظاهرات أي في 26 فيفري 1962 ولأهمية الرسالة يمكن عرضها كالآتي:

إلى الأخ سي المسعود بن خديجة بعد السلام الوطني ابعث إليكم هذه التعليمات يجب أن تعيروها اهتمامكم البالغ وهي تأمروا كافة المواطنين بأن يقوموا بمظاهرات يوم1962/2/27م عند الساعة 8 صباحا ليعبروا فيها على أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري، ويهتفوا بأن الصحراء جزائرية ويرفعوا العلم الجزائري، إن هذا الوقت هو الوقت المناسب والكيفية تكون كما يلي: تجنيد الشبان وتأمرهم بأن يقوموا بالمبادرة ويأتي من وراء كافة المواطنين نساء ورجالا، لأن الأمة كلها تنظر مبادرتكم بتضحياتكم ترفعون راس بلادكم عاليا، وتزيلون عنها غبار جميع الشكوك وتضحون

33 شهادة المجاهد محمد شنوفي ، المصدر السابق، ص328

المناورات الاستعمارية، وتزحزحون أركانهم التنفيذ واجب والسلام الملازم الثاني محمد" [34]

وحسب بعض الشهادات الحية لبعض المجاهدين فيما يخص التحضير للمظاهرات، فقد تكفل المناضل صديقي أحمد بتوزيع نسخ من الرسائل إلى كافة شيوخ الخلايا الثورية الأربعة عشرة المتواجدة بالمنطقة وهم كالتالي:

- خلية بني ثور: بشكي أحمد وعاصم عامر
- خلية القصر العتيق: باب حمو الحاج ابراهيم عزام، عانو ابراهيم
- خلية بوعامر احميني احميني
- خلية الرويسات: عباس العيد
- خلية عين البيضا: مسعود علي رفيق
- خلية لعجاجة: خذران الطالب حمزة
- خلية سيدي خويلد: جلول فقال
- خلية الرويسات الشعانبة: بوجمعة بالفردية

34 -انظر النسخة الأصلية في الملحق رقم

- خلية المخادمة: حمدلت احمد
- خلية سعيد عتبة، بن خديجة مسعود
- خلية انقوسة: قريشي الحاج لاسمر
- خلية اران: عمال السعيد
- خلية البور: بن زيد لخضر بن زيد

ثم اتخذت التدابير اللازمة لضمان وتكثيف المشاركة الشعبية، وعمل المنضلون الورقليون بكل سرية على عقد اجتماعات للتنسيق وتوحيد خطة، واتفقوا على كتابة اللافتات وخياطة الأعلام، وتوزيعها على الموطنين في الليل، كما تم الاتفاق على انطلاق المظاهرات بوسط المدينة بسوق الأحد.

وفي صبيحة 27 فيفري 1962م وكما هو متفق عليه، بدأت الوفد تتجمع من مختلف الفئات في انتظار ساعة الانطلاق، وفي نفس الوقت ترقب وصول الوفد الفرنسي إلى مثر عمالة الواحات للانطلاق في المظاهرة، غير أنه تم تأخير زيارة الوفد الفرنسي خوفا من حدوث انزلاقات قد تؤدي إلى فدان السيطرة على الوضع، وعليه تم تأخيرها إلى الساعة الواحدة زوالا وهي مناورة فرنسية كان الهدف إرهاق الأهالي بطول الانتظار خصوصا وأنهم في شهر

الصيام، وهو ما يؤكده المجاهد محمد عبد القادر طوهير قائلا:
قبل بدا المظاهرات اتصلنا بمقر العمالة لتجسس على ما يدور هناك، فبلغنا أن الوفد يأتي إلى ورقلة صباحا، بل سيأتي بعد الزوال وذلك بغية إفشال المظاهرات، غير أن الحشود أخذت في تزايد مما جعب المكان مكتظا عن آخره، فطلبنا من الجماهير الانسحاب من المدينة خشية حدوث شيء من طرف الفرنسيين [35]

ونظرا لتفطن المسؤولين الثوريين لحيلة التأخر، ولتمويه السلطات الفرنسية طلبوا من الشعب التزام الهدوء، ومن التجار فتح محلاتهم ودكاكينهم والعمل على ابقاء الحركة في السوق عادية حتى لا يشعر العدو بأمرهم، وبالفعل تم ذلك في سرية تامة واستمرت الحركة عادية إلى غاية الواحدة زوالا، وما إن دقت الساعة الواحدة تهيأ الجميع بعدما رأو تحليق طائرة الوفد الفرنسي تتجه نحو المطار، لتعطى بعدها إشارة إنطاق المظاهرات من نقطة الارتكاز بسوق الأحد، حيث رفعت الأعلام الوطنية، وانطلق عنان الهتفات والأناشيد الوطنية مثل " الله أكبر، تحيا الجزائر، تحيا جبهة التحرير الوطني" ورفعت بعض الشعارات المنددة للسياسة الاستعمارية منها: للتفرقة، : نعم للوحدة " الصحراء جزائرية"

35 - شهادة حية مصورة للمجاهد طواهير محمد عبد القادر، متحف المجاهد بتقرت، 2005

الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المثل الوحيد للشعب الجزائر"
لا لفصل الصحراء عن الجزائر"[36]

بعد لحظات من انطلاق حاصرت القوات الفرنسية من بوليس ورجال الدرك مختلف مداخل ومخارج وسط المدينة والمؤدية إلى مقر عمالة الواحات بالدبابات والأسلحة بأنواعها، ثم تدخلوا بعدها لتفريق المتظاهرين بالعصي والقنابل المسيلة للدموع، وبوصول المتظاهرين إلى سوق المدينة القديم (سوق القصر) اشتد الاشتباك مع القوات الفرنسية، حيث استعمل المتظاهرون وما عندهم من وسائل الدفاع الذاتي كالحجارة والعصي، مما أدى هذا الاشتباك إلى تشتت المتظاهرين بين مختلف الشوارع وسقوط الشطي الوكال في وسط السوق، حيث نقل جثمانه إلى المسجد العتيق بالإضافة إلى شخص اخر مجهول، وعدد من الجرحى[37] الذين تم نقلهم إلى المنازل المجاورة لمكان المظاهرات وتمت هناك معالجتهم[38]

أمام هذه المظاهرات ما كان على الوفد الفرنسي إلا التأكد من أن مشروع فصل الصحراء اصبح ضربا من الخيال، والرجوع من حيث أتى يجر أذيال الهزيمة، بعد أن كان يحلم

36 - شهادة حية مصورة للمجاهد طواهير محمد

37 - من الجرحى فرحات بن أحمد دقيش، بن هلال خميس بن طاهر، طواهير محمد عبد القادر، مزوار محمد، حجاج الطاهر بن الحاج صالح

38 - شهادة المجاهد طواهير محمد عبد القادر، المصدر السابق

بالعودة إلى المفاوضات حاملا ورقة ضغط[39] وعليه فإن هذه المظاهرات كانت حاسما من خلال ثلاث نواح وهي:

- الناحية الأولى: سرعت من وتيرة التسوية للقضية الجزائرية، وجعلت ديغول يجعل لإنهاء المفاوضات مع الجزائريين، وانهاء الحرب مع جيش التحرير الوطني، لأن هذه المظاهرات كانت قد صدمت السلطات الفرنسية التي كانت لا تزال متشتة بالأوهام الاستعمارية في الجزائر، حيث أصدر الجنرال ديغول تعليمات صارمة لمفاوضيه، وعدم تعقيد الأمور المتعلقة بلف الصحراء وعدم إطالة عمر المفاوضات مع المفاوضين الجزائريين.
- الناحية الثانية: إرغام الحكومة الفرنسية على التخلي عن حلم مشروع الانفصال، والمطالبة بالاستقلال في إطار وحدة الشعب والتراب الجزائريين، مع التأكيد على أن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري.
- الناحية الثالثة: تركت هذه المظاهرات صدى إعلامي كبير على الساحة المحلية والوطنية والإقليمية وهذا ما عبرت عنه جريدة المجاهد في عدد المنشور 116 والمؤرخ في 9 مارس 1962 قائلة: نظم سكان ورقلة في قلب صحرائنا المجاهدة الجبارة التي جرت في ساحة البلدية هتف الرجال والمساء

39 - شهادة المجاهد محمد شلوفي، المصدر السابق ص 329

والأطفال -وراء العلم الجزائري - بحياة الجبهة والجيش الوطني الجزائري[40]

فعلى المستوى المحلي امتدت المظاهرات الشعبية بعد مظاهرات 27 فبراير إلى مناطق أخرى مختلفة، لقد دوت صيحات الاستقلال والحرية، والوحدة الترابية للجزائر، وحولوا قراهم إلى قلاع للمقاومة الشعبية، حيث شهدت مدينة تقرت مظاهرات شعبية يوم 7 مارس 1962، متددة بسياسة التقسيم، ومؤكدة على حدة التراب الوطني، هذا بالاضافة شهدت منطقة الطيبات وخصوصا بلدية المنقر مظاهرات شعبية يوم 13 مارس 1962 والتي كانت آخر حلقة من سلسلة المظاهرات الشعبية التي دعت إليها قيادة الثورة التحريرية بالمنطقة والهدف منها هي الأخرى رفض الأطروحة الديغولية الرامية إلى فصل الصحراء وتأكيد الوحدة الوطنية، وفي نفس الوقت دعم موقف الحكومة المؤقتة الجزائرية في مفاوضاتها مع فرنسا الجارية بـ " ايفيان"

وعلى المستوى الوطني فإن مظاهرات 27 فبراير 1962 كانت شحنة إضافية لمسار الثورة التحريرية بعد سنوات من حرب ضروس خاضها الشعب الجزائري ضد الظلم والاستغلال

40 - المجاهد، نصف الشهر السياسي، ع 116، بتاريخ 9 مارس 1962 ص 2

والقهر ومشاريع الإبادة كما أكدت بأن الجماهير الشعبية في المدن الجزائرية قد وجدت في الانتفاضات الشعبية ابلغ وسيلة للتعبير عن تعلقها بالثورة.

أما على المستوى الإقليمي فقد أبطلت وفندت الأطروحة الفرنسية المتمثلة في أن الصحراء بحر داخلي وجب أن يخضع بدوره لقانون البحار، ووضع حدد للمطالب الإقليمية لكل من تونس والمغرب بعدما أدركوا الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية التي تمثلها الفضاءات الصحراوية وأما هذه الانتصارات الشعبية وجد المفاوضون الفرنسيون أنفسهم مجبرين على إيجاد حل سريع لمؤامرة الفصل، كما وجدوا انفسهم في وضع حرج،/ فإما أن يسلموا بالنتيجة الحتمية وهي الاعتراف بوحدة الجزائر ترابيا وبسيادة الدولة الجزائرية على الصحراء، وإما أن يكشفوا عن نواياهم الحقيقية ويعترفوا أن موقفهم يعني تمسكهم بخيار الحرب، وعليه فقد اختار الفرنسيون عن مضض الخيار الأول خلال مفاوضات ايفيان الثانية والتي انطلقت من 7 إلى 18 مارس 1962م، وانتهت باتفاق نهائي على وقف إطلاق النار بين الطرفين وتسوية كل القضايا التي عطلت سير المفاوضات

الصحراء الجزائرية في مواجهة مشروع الفصل الاستعماري الفرنسي

للدكتور: الحاج موسى بن عمر

الأستاذ المحاضر في قسم التاريخ والجغرافيا

بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر

لما وقعت فرنسا تحت الاحتلال الألماني خلال الحرب العالمية الثانية، ووجدت السلطات الفرنسية نفسها عاجزة، تبين لها أن البترول هو الشرط الأساسي للنهوض وإعادة الإعمار، فضلا عن ربح الحرب.

لقد أبرزت الحرب العالمية الثانية الطبيعة الاستراتيجية للبترول، وأثبتت أن امتلاك البترول يشكل الاداة الفعالة لإثبات القوة الاقتصادية والعسكرية، مما دفع السلطة الفرنسية من خلال تجربتها إلى قناعة أنها لا يمكن أن تدع ارصدتها تحت رحمة المساهمة الوحيدة للشركة الفرنسية للبترول (CFP) لاستغلال حقول الشرق الأوسط في إطار شركة بترول العراق »[1].

وبالنظر إلى الأهمية الحيوية للبترول التي برزت أثناء الحرب، ولما لم يكن في الأراضي الفرنسية ما يشير إلى وجود البترول، وجدت السلطة الفرنسية نفسها ملزمة بالبحث عنه في مستعمراتها.

وكان غلاة الاستعمار قد حضروا أنفسهم للتكيف مع المستجدات، من أجل الحصول على قدر أكبر من

1-R. Mahiout,OP .Cit.p.106

المصالح من جراء هذه الحركة الجديدة التي لا يمكن تجنبها الا وهي البحث البترولي في الجزائر.

والجزائر بحكم دلائل وجود البترول في الماضي فقد أعطت بالتالي أرضية واعدة للبحث، حيث استؤنفت الأبحاث من جديد سنة 1941م في شمال البلاد، لكن الأبحاث هذه المرة كانت منتظمة وبإرادة أقوى. وتواصلت الأبحاث والأشغال إلى سنة 1949 حيث توجت باكتشاف حقل وادي القطران، من قبل شركة البترول لـ أومال (Aumale) سور الغزلان حاليا، التي تفرعت عن المجموعة الجزائرية للبحث والاستغلال البترولي (CAREP) على عمق قريب [2] ولقد كان هذا الحقل معروفا منذ زمن طويل فكان سكان المنطقة يلاحظون بقعا من الزيت على وجه الأرض [3].

2 -عمق هذا البئر يتراوح بين 230م و 600م والنفط المستخرج منه هو من عينة ممتازة، انظر:

C.A.N, G.P.R.A. boite 30,dossier 2 **(le sahara, situation d'ensemble des hydrocarbures)** ; et direction du commissariat politique (D.C.P) de l'ANP, **pétrole et souveraineté nationale**,1972,p.81 ;et R.Mahiout,Op.cit,p.p.107-108.

3 -منذ استغلال نفط وادي القطران مدة 8 سنوات، ابتداء من 1949 وأسفرت على النتائج التالية:

1949 - - - - - - - - - 300 طن
1950 - - - - - - - - - 3700 طن
1953 - - - - - - - - - 84460 طن
1954 - - - - - - - - - 75760 طن

ومع تلك الجهود فإن النتائج لم تكن مشجعة وعند ذلك الحين ظهرت أهمية المناطق الصحراوية وبشكل فجائي في هذا المجال بالرغم من العقلية السائدة التي لا تشجع العمل والاستثمار هنالك. وظلّت فكرة فصل الصحراء عن الجزائر محور ارتكاز المخططين الفرنسيين، منذ 1946 تاريخ تاسيس شركة ريبال (REPAL) للتنقيب واستغلال البترول في الجزائر.

فكرة الجمهورية الصحراوية بديلا عن مشروع الجزائر فرنسية

وكان دعاة الفصل يجمعون على أن بني مزاب إذا لم يقبلوا انفصال الصحراء عن الجزائر، فإن شيئا من ذلك لا يتم، فهم عنصر اساسي، وقبولهم ضروري، ووجودهم ضمن ما سمي "بالجمهورية الصحراوية" هو ضمان وجودها وبقائها. وتوالت الزيارات والمحاولات في سياق فصل

1951 - - - - - - - - - 7360طن
1952 - - - - - - - - - 46030طن
1955 - - - - - - - - - 57617 طن
1956 - - - - - - - - - 33537 طن

voir : R.Mahiout Op.Cit, p.107.

الصحراء محل بديل عن مشروع "الجزائر الفرنسي"، لكن دون جدوى)[4].

ومن جهة أخرى فإن تأثير جبهة التحرير الوطني كان قويا على سكان الصحراء، يشهد بذلك تقرير لأجهزة الأمن الفرنسية صدر في أفريل 1960، وصفت فيه معنويات سكان الصحراء تجاه الإدارة الاستعمارية "بالرديئة médiocre" في منطقة ورقلة، و"بالسيئة" في منطقة وادي ريغ وتيديكلت.

وفي عمليات بوليسية قامت بها المخابرات الفرنسية كشفت أن "مزاب في حالة متردية جدا، وأن الجهاز الإداري الفرنسي مخترق بصفة كلية، ولا حاجة للثوار إلى إرساء جهازهم هناك، لأن كل السكان أصبحوا "متواطئين" مع الثوار وتحت قبضتهم. ورغم ذلك فإن السياسة الفرنسية الأهلية تحتم على الفرنسيين إبقاء علاقات متصلة مع الزعماء الروحيين في الصحراء". وتقدر المصالح الفرنسية

4 -حمو محمد عيسى النوري، نبذة من حياة الميزابين الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505 إلى 1962، ج1، دار الكروان، باريس، 1984، ص 19.

بأن ثلثي سكان الصحراء صاروا منضوين تحت لواء جبهة التحرير الوطني)[5].

وفي مزاب انعقد في جويلية 1960 بالعطف المؤتمر السنوي لجمعية قدماء التلاميذ الذي كان يضم الطلبة القدامى لمعهد الحياة وللبعثات العلمية إلى تونس، فاغتنم الشيخ بيوض رئيس المؤتمر المناسبة لدعوة بعض المسؤولين العاملين ضمن المجالس الثورية لجبهة التحرير الوطني بالمنطقة لحضور اللقاء، ومن هؤلاء حمو عيسى من بنورة وحمو بن عيسى أرشوم من بريان، وحمو حجاج من غرداية وقاسم ابن الحاج سعيد بسيس من القرارة ومحمد بن صالح بابا عمي من بني يزجن.

وقد كان الهدف من حضور هؤلاء المسؤولين هو الالتقاء بالشيخ بيوض والتنسيق مع بعض مسؤولي الثورة بالعطف مركز الناحية الثالثة للمنطقة الثالثة للولاية

5 -Charles -Robert Ageron (sous la direction de) La Guerre d'Algérie et les Algériens 1954-1962 ; actes de la table ronde organisée à Paris 26-27 mars 1996 par l'institut d'histoire du temps présent (CNRS). Armand Colin, Paris , 1997 ; p.107-108.

السادسة، ومن هؤلاء الرشيد الصائم والهاشمي الدارم. ولقد تم هذا اللقاء التنسيقي على هامش المؤتمر[6].

وبالمقابل عمدت السلطات الفرنسية، من أجدل استقطاب سكان الصحراء الجزائرية وكسب تأييدهم وإبعادهم عن تنظيمات جبهة التحرير الوطني وتأثيرها، إلى كسب ودّ الشخصيات الفاعلة والمؤثرة بمناطق الجنوب، ومحاولة ضمهم إلى صفوفها.

وفي هذا الصدد كلفت حمزة بوبكر للقيام بهذا الدور، ولقد تمكن بوبكر من جمع عدد من الشخصيات الصحراوية في لقاء في الأغواط من أجل إدخال مشروعه حيز التنفيذ، لكن الشيخ بيوض أجهض العملية باتصاله بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية يحيطها علما بتفاصيل المشروع، ويستصدر الأوامر اللازمة لإفشال مساعي التقسيم، فوجهت جبهة التحرير الوطني بالفعل إنذارا لجميع الشخصيات' المعنية وجعلتها تبدي رفضها

6 -المجاهد باحمد بن حمو بحكلي بابه (المدعو الطالب بلال)، تاجنينت (العطف) وثورة التحرير المباركة، نشر جمعية النهضة، العطف غرداية، 2006/1427، ص 49.

ومعارضتها لمحاولة التجزئة، وذلك عندما انعقد الاجتماع الثاني في حي سانتوجان (بولوغين حاليا) بالجزائر[7]. (شهادة عبد الحميد مهري في بيته يوم 96/02/21 بحضور الرائد عبد المجيد كحل الراس، السيد محمد الصالح بوسلامة).

ونظرا لأهمية المشروع لدى الحكومة الفرنسية، قام رئيس الحكومة الفرنسية ميشال دوبري (Michel Debré) بزيارة مناطق الصحراء، ثم أعقبه وفد حكومي فرنسي آخر برئاسة أوليفي غيشار (Olivier Guichar) ممثل الجنرال دي غول، من أجل إعطاء المشروع دفعا جديدا، وتحرك حمزة بوبكر من أجل جمع 24 شخصية ذات أصول صحراوية في أفريل 1961 مستعينا هذه المرة بالبوليس

7 - لقاء أجراه د.محمد العربي الزبيري مع السيد عبد الحميد مهري في بيته يوم 96/02/21 بحضور الرائد عبد المجيد كحل الراس، السيد محمد الصالح بوسلامة، علما بأن السيد مهري كان يومها وزيرا لشؤون الشمال الافريقي، أنظر محمد العربي الزبيري، "دي غول والصحراء" محاضرة القاها في أشغال ملتقى حول سياسة فرنسا حول فصل الصحراء، ورقلة، أيام 15 -17 أفريل 1996.

الفرنسي لإلزامها على الحضور، وجرى الاجتماع في ورقلة في بيت عامل الواحات، وانتهى بالفشل مثل سابقه [8].

وعلى صعيد آخر كان الاستعمار الفرنسي قد أعد مشروعا يمكن أن يسمى بـ "جمهورية الطوارق"، وينص على: جمع السكان الطوارق في الجزائر والنيجر والتشاد ومالي في دولة تكون تحت السيادة الفرنسية، وبذلك يتمكن الاستعمار الفرنسي من الاحتفاظ بموارد الصحراء، وممارسة ضغط دائم على الأفارقة، وإقامة منطقة عازلة بين الثورة الجزائرية في الشمال والكفاح الإفريقي جنوب الصحراء [9].

1 -الشيخ بيوض وموقفه من مشروع التقسيم

كانت للسيد الأخضر بن طوبال وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة عدة اتصالات مع الشيخ بيوض باعتباره شخصية صحراوية، وكانت الاتصالات الكتابية والشفوية تتم بواسطة السيد يحيى الواهج التاجر المزابي في تونس.

8 -المجاهد، "مناورات في الصحراء"، ع 113، ل 1962/01/22، ص 05.
9 -المجاهد، "صحراؤنا في نظر الغرب"، ع 103، 1961/08/28، ص 09.

ويذكر بن طوبال أن دور الشيخ بيوض لم يكن في البداية ذا أهمية بالنسبة للقيادة السياسية في تونس، فقد كان يؤدي واجبه كأي مناضل آخر، ولكن بعد ذلك أصبح طرفا هاما ومصيريا في الكفاح ضد الاستعمار، وأصبح ركيزة في قضية إفشال المحاولة الفرنسية لفصل الصحراء.

لقد كانت الصحراء ذات أهمية سياسية لدى دي غول، فهي بالنسبة له الخزان البترولي الذي يضمن لفرنسا استقلالها الاقتصادي عن الولايات المتحدة الأمريكية، وهي أيضا ميدان للتجارب النووية الفرنسية، ومركزا للاتصالات المستقبلية، لأن غرداية في منظور فرنسا والقوى الأوروبية الأخرى تعتبر بوابة للدخول إلى افريقيا. ولقد رشحت هذه الاعتبارات كلها مسألة الصحراء لتكون ورقة أساسية في المفاوضات الجزائرية الفرنسية.

وكان الشيخ بيوض يردد في رسائله إلى وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة بأن الصحراء جزائرية، وأنه

سيكافح بكل استطاعته لتبقى كذلك، وأنه لن يقبل أبدا بأن تصبح أية قطعة من الجزائر فرنسية[10].

وبعد مظاهرات ديسمبر 1960، كتب السيد عبد الله بن طوبال إلى الشيخ بيوض يطلب منه تنظيم مظاهرات مماثلة في مزاب وباقي المناطق الصحراوية، فأجابه الشيخ بيوض متحفظا باعتبار أن الظروف الطبيعية للصحراء تختلف عن الشمال الجزائري، وبالتالي فإن وسائل المقاومة والكفاح ينبغي أن تكون مختلفة، وأكد التزام سكان الصحراء بالولاء للثورة ودعم مسيرتها، وتمسكهم بوحدة البلاد. وكانت إجابة وزير الداخلية بضرورة إبلاغ رأي السكان لفرنسا وهيئة الأمم المتحدة والعالم أجمع، وذلك بواسطة التعبير الشعبي بالمظاهرات والهتاف بحياة جبهة التحرير الوطني، ولو أدى ذلك إلى سقوط ضحايا.

وهكذا تجند الشيخ بيوض بكل قواه في معركة إجهاض مخطط فصل الصحراء، ووقعت بعض المظاهرات

10 -عبد الله بن طوبال، شهادة عن دور الشيخ بيوض ابراهيم في الثورة التحريرية، شريط سمعي بصري، لقاء مع أعضاء جمعية قدماء تلاميذ بمعهد الحياة، القرارة، في 25 فيفري 1990.

في بعض المدن الصحراوية، واستطاع بزعامته الروحية جر الصحراء في هذا التوجه الوحدوي. وبعد ستة أشهر من ذلك أطلق دي غول دعوته للمفاوضات مع جبهة التحرير الوطني.(عبد الله بن طوبال، شهادة عن دور الشيخ بيوض ابراهيم في الثورة التحريرية، شريط سمعي بصري).

لقد كان الشيخ حسب ابن طوبال من الشخصيات النادرة التي تجرؤ على التعبير لقيادة الثورة عن آراء قد تكون مخالفة للأرائها، فكان يقول ان استقلال الجزائر هو هدفنا جميعا، ولكن الطرق تختلف، فقد كان مستقلا بأتم معنى الكلمة، فكان يوضّح لقيادة الثورة وجهة نظره حتى عندما تكون مخالفة[11].

وقد حاولت السلطات الفرنسية سواء على مستوى الجزائر أم على مستوى فرنسا أن تستميل الشيخ بيوض لعلمها بمنزلته العظيمة، ولتيقنها بالدور العظيم الذي يقوم به المزابيون في الاقتصاد الجزائري، ولما عزمت فرنسا على عزل الجنوب عن الشمال، بعث الجنرال دي غول وفدا، فجمع الأعيان المزابيين، وأبلغهم أن فرنسا ترغب منهم

11 -عبد الله بن طوبال، المصدر السابق.

تأسيس جمهورية صحراوية مستقلة على غرار جمهورية موريتانيا، وتتعهدهم بالتأييد والحماية، وأخبرهم أنه مكلف أيضا بإبلاغ هذه الرغبة إلى بعض الشخصيات الصحراوية.

وقد توجه الوفد الذي كان يضم بالخصوص وزير الدفاع أوليفي فيشار والملحق العسكري الكولونيل كلان كلاش (Klen Klech) لمفاوضة الشيخ بيوض في قضية فصل الصحراء عن الشمال، وقالوا له: "اعلن الموافقة، فهذه أربع مليارات لتجهيز هيكل الدولة، وها هي السماعة بيدي أخبر دي غول في نفس الوقت" فاجابه الشيخ بيوض بدافع المسؤولية الدينية والتاريخية: "بما أن الصحراء تضم خليطا من السكان، بني ميزاب، والمخاليف، والشعانبة وغيرهم، فالجواب على طلبكم، لا يكون إلا عن طريق استفتاء حـــر، فالقضـــية قضـية الجـميع لا تخصنا نحن الميزابيين"[12].

وفي صيف 1960م لما احتد النقاش حول فصل الصحراء عن الجزائر بعد زيارة المسؤولين الفرنسيين

12 -حمو عيسى النوري، المصدر السابق، ص 19.

ماكس لوجون وجاك سوستال، عمد الشيخ بيوض إلى الاتصال بالنائب في مجلس الشيوخ الفرنسي الكولونيل علي مراد، وأصله من منطقة الأغواط، فكلّف الشيخ المجاهد صالح البليدي[13] بدعوة النائب للقاء بالعطف بمزاب.

وبعد التحضير تم اللقاء، وتداول الشيخ القضية مع النائب فاتفقا، بعد أن استحلفه الشيخ على المصحف بكتم الأمر، على أن يعمل الشيخ على إقناع حمزة بوبكر والقائد العيد من وادي سوف والشيخ التجاني من زاوية تماسين والقائد عيسى من غرداية باعتبارهم أعضاء في المجلس الاقتصادي والاجتماعي لعمالة الواحات، وهذا قصد التنسيق، وتوحيد الموقف بشأن القضية، على أن يتصدى النائب علي مراد للقضية على مستوى مجلس الشيوخ بباريس، ويصدر تصريحات بشأنها إذا تطلب الأمر ذلك[14].

وقد اعترف أعضاء من قيادة الولاية السادسة الذين أوفدتهم القيادة إلى منطقة وادي مزاب سنة 1961، وهم

13 -هو من أعيان مزاب وأنصار الشيخ، ومقيم بمدينة الأغواط.

14 -لقاء مع الشيخ بيوض حضره الشيخ القرادي، الحاج صالح قباش، سعيد محمد بكعباش، بكلي بابه باحمد بلال، والحاج احمد خياط، في صيف 1960، بدار الحاج صالح قباش. انظر: المجاهد باحمد بن حمو بكلي بابه، المصدر السابق، ص 51 -52.

أحمد طالبي، سعيد عبادو، وعثمان حمدي، ورشيد الصائم، اعترفوا بنضال الشيخ بيوض، وبمواقفه الثابتة في القضية، وقد اتصل البعض منهم بالشيخ اتصالا مباشرا وتحاور معه حول مؤامرة فصل الصحراء عن الشمال، واقتنعوا بوجهة نظره، وتبين لهم أن موقفه سليم، فهو لم يوافق على ما طلبته منه فرنسا، كما لمسوا فيه الصراحة، فتركوه ليواصل عمله لإقناع الجماعة الأخرى أحمد التجاني وحمزة بوبكر وغيرهم على عدم الموافقة على مطالب فرنسا"[15].

وقد تحرك الشيخ بيوض بعد ذلك ليقوم بواجبه الديني والوطني ويكشف مؤامرة عدو الدين والوطن، ويفوّت بذلك الفرصة على المستعمر، وقام الشيخ بجولة في الصحراء، واتصل ببعض الشخصيات الصحراوية ذات النفوذ وذكرهم بأن "ديننا وكرامتنا ووطنيتنا لا تسمح لنا مطلقا بأن ننفصل عن إخواننا الجزائريين في الشمال، وإنه من الخير لنا ولأبنائنا أن نربط مصيرنا بمصير الجزائر

15 -حمو عيسى التواتي، المرجع السابق، ص 20 -21.

كلها"، وأقنع بعضهم بضرورة تنسيق الجهود وتوحيد الموقف.

وكان ممن تجاوب مع المسعى قائد بلدية ورقلة، وشيخ الزاوية التجانية بتماسين وكانا حينها عضوين في المجلس العمالي للواحات فقطعوا العهد كلهم بكلمة واحدة، هي أن يكونوا دائما جزائريين ومصير الصحراء هو مصير الشمال الجزائري، ولا يقبلوا الانفصال عنها في أي حال من الأحوال"[16].

ولما أثيرت القضية في المجلس العمالي بورقلة في خريف 1961، كان الشيخ بيوض من بين المتدخلين، وقال من جملة ما قال "سيدي الرئيس، إن مجلسنا مجلس اقتصادي بحت، ينظر في ميزانية العمالة، فاختصاصنا لا يخرج عن دائرة المكاتب والمصحات والطرقات وما أشبهها، ولا يحق مطلقا في التكلم باسم الأمة في أمر سياسي خطير، الحق فيه للأمة بأسرها، ثم من جهة أخرى سيدي

16 -المجاهد، ع89، ل 1962/11/16، والشيخ بيوض ابراهيم بن عمر، المصدر السابق، ص 45، وعبد الكامل التجاني، دور التجانية في الثورة التحريرية بالجزائر، الملتقى الدولي للإخوان التجانيين، الأغواط، 2005.

الرئيس إن فرنسا لم تستشرنا في سياستها في هذه البلاد، فلم تستشرنا يوم قطعت الصحراء، وجعلت لها نظام التراب الجنوبي الخاص، فإذا أرادت فرنسا اليوم أن تستشير، فلتستشير صاحب الحق، وهو الشعب الجزائري كله "[17].

ومن ردود الفعل التي قام بها العدو انتقاما من الوطنيين الأحرار، ومن الشيخ بيوض وتلاميذه، وحملا للمزابيين على قبول فصل الصحراء عن الشمال، لجوء الإدارة الاستعمارية إلى استعمال أساليب الترويع والترهيب، فحرّكت أذنابها لخلخلة التماسك الاجتماعي، وضرب الوحدة الترابية من خلال فكّ عناصر الشعب الجزائري.

ومن أجل هذا المسعى عمدت السلطة الفرنسية إلى بث روح الفتنة والفرقة وإحياء النعرات الطائفية بين أبناء الشعب لتكريس وجودها الاستعماري، ففي الخامس من سبتمبر 1961 وجهت نفرا من جنود "الحركة" إلى مسجد من مساجد ورقلة، فداسوا حرمته، ومزقوا المصاحف القرآنية، والكتب الموجودة في مكتبته، ثم روّجوا لكون العملية من

17 -حمو بنعمر فخار: ابراهيم بن بابا بوعروة، نشر جمعية التراث، غرداية، 2003، ص 154.

تدبير جمع من المزابيين الإباضيين. غير أن بعض العقلاء تفطنوا للمكيدة وأطفأوا الفتنة في مهدها بعد أن كادت تأخذ حجما خطيرا، خصوصا وأن الأمر يمس مقدسات الشعب الجزائري وحرمة دينه "[18].

لقد كان دور الشيخ إبراهيم بيوض في هذه القضية حاسما، فقد استثمر كل نفوذه الشعبي من أجل إجهاض هذه المؤامرة التي ظن المستعمرون أنها أنجع وسيلة لحمل الجزائريين سكان الصحراء على قبول مشروع الفصل. غير أنه بتوجيه الشيخ بيوض وإرشاده للناس مباشرة وعبر أشرطة مسموعة "[19] كشفت خيوط المكيدة التي دبرها على حد قوله "أعداء الجزائر وأعداء استقلال الجزائر" "[20].

18 -المجاهد، "مناورات في الصحراء" ع 113، ل 1962/01/02، ص 03 -05.

19 -مازالت هذه الأشرطة متداولة ومتوفرة بمكتبة معهد الحياة بالقرارة.

20 -يقول الشيخ بيوض إبراهيم في مذكراته: "كرد فعل لموقفنا من قضية فصل الصحراء أشعل المستعمرون وأذنابهم من الانفصاليين فتنة عمياء (...) بتحريض بعض أوباش العرب في ورقلة على التطاول على دكاكين المزابيين وممتلكاتهم وبساتينهم، فأثاروا غوغاء العامة ممن لا خلاق لهم فقتلوا وجرحوا وسلبوا ونهبوا وأشعلوا النار وأفسدوا خلال النخيل، وكانت فتنة عمياء لم يشهد لها مثيل منذ قرون، وبدأ دخانهم يظهر في غير ورقلة، فكان الفرنسيون يقولون (...): انظروا هذا ما سيفعله بكم العرب

وبعد فشلهم في تمرير مخططهم، صبوا كامل غضبهم على كل من يقف في طريق مؤامرتهم. ولقد كان رد فعل المستعمرين على هذا الموقف الجريء عنيفا، فقد ثارت ثائرتهم، وجن جنونهم، فراحوا ينتقمون لأنفسهم لهذا الانهزام المرير، وهذا الاندحار السياسي، حتى قال بعض

بعد الاستقلال إذا تخلينا عنكم، إنهم سيبدأون بنا، ويثنون باليهود ويثلثون بكم. أنتم لا تفهمون ولا تثقون من سياستكم وتصرون على البقاء معهم. إلخ... هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا، ظن الفرنسيون أن هذا الجمع وسيلة لحمل المزابيين على قبول فكرة فصل الصحراء، لكنني وحدي بفضل الله أفسدت عليهم خطتهم (...) فدعوت السكان كلهم رجالا ونساء، عربا وبني ميزاب لشهود الجنازة (جنازة أحد الضحايا)، وأغلقت جميع الدكاكين أبوابها ونصبت في مصلى مكبرات الصوت، وأعدت أكثر من عشر مسجلات، وحضر عدة آلاف. فألقيت أول درس على الجنازة دام أكثر من ساعة ثم بثان في اليوم الثاني ثم بثالث، وكان الجمع يزداد كثرة كل يوم (...) نزلت فيها بصواعق محرقة على هؤلاء المجرمين الذين هم كما صرحت به أعداء للجزائر وأعداء لاستقلال الجزائر، ثم أطنبت في أخوة المؤمنين وقسوت جميعا جاء في ذلك من سورة الحجرات مستشهدا بالأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح في ذلك، وقد ماتت الفتنة في مهدها وخمدت نارها بفضل هذه الدروس التي انتشرت في أيام قليلة في جميع جهات القطر فأرسلت الأشرطة إلى كل جهة وأذيعت الدروس في كل قرية من قرى ميزاب ونقلها الناس في أشرطة أخرى بنقلها البعض عن البعض، وبلغت إلى تقرت وبسكرة وبانتة وباريكا والأوراس وعمالة وهران ومكانت تبلغني أصداء الشكر عليها من كل مكان وهكذا بفضلها سقط في أيدي الذين دبروا المؤامرة فانمحت صفاتن القلوب وتوثقت عرى الصداقة بأشد مما كانت عليه، فاشتد حنق الانفصاليين علي وبدت آثار ذلك عليهم لكن الله تبارك وتعالى تولاني بحفظه ورعايته فله الحمد والمنة والشكر على كل حال".

المسؤولين لبعضهم أن سياسة الشيخ بيوض معنا كلها خداع، وأن حصيلة مزاب كلها تنطلق من القرارة، وقد لاحظوا تردد الجنود عليها بكثرة، وشعر الفرنسيون بذلك، لكنهم لم يحصلوا على دليل ملموس يدين السكان، فزادهم ذلك سخطا على القرارة، وعلى الشيخ بيوض فمكروا بالمدينة مكرا، لم تشهده قرية في الصحراء على الإطلاق"[21].

لقد لجأ الجيش الفرنسي في 28 فبراير 1961، إلى عملية حصار المدن وتفتيشها شبرا شبرا ولقد كانت مدينة القرارة نموذجا حيا لذلك، حيث أخرج كل الرجال والأطفال الذين تجاوزا سن البلوغ إلى محتشد خارج المدينة وتم تطويقهم بالأسلاك وتمريرهم فردا فردا أمام ذوي الضمائر الرخيصة أو الضعيفة لكشف النشطين منهم في صفوف جيش وجبهة التحرير الوطني، وفعلا ألقى القبض على عدد من المجاهدين. وقد تركت المدينة فريسة للنهب

21 - الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر، المصدر السابق، ص 11.

والسلب وهتك الحرمات، مباحة للجنود الفرنسيين وأذنابهم من المجندين المحليين واللفيف الأجنبي طيلة ثلاثة أيام [22].

وتعتبر هذه العمليات عربونا من العقاب المترتب على المسؤولية الجماعية التي انتهجتها السلطات الفرنسية ضد الجزائريين الذين وقفوا أمام سياستها الاستعمارية، ومن هؤلاء نذكر الذين أظهروا موقفهم من مسالة محاولة فصل الصحراء عن الشمال وناضلوا من أجل إلحاق أراضي الجنوب العسكرية بعمالات الشمال.

إن هذا الموقف الذي تمسك به اهل مزاب، كانت له دواع حضارية، ترجع إلى عهد الرستميين الذين تركز سلطانهم في شمال الجزائر، وكانت تيهرت عاصمتهم السياسية، كما أن العامل الاقتصادي والاجتماعي كان حاضرا بقوة، بحكم أن عددا معتبرا من سكان مزاب كان منتشرا في مدن التل الجزائري من أجل الاسترزاق

22 -مرجعكر الوثائق والمخطوطات بورقلة، اب رقم1، 28 (opération de fouille à Guerara du 28 au 30 octobre 1961) 1f بيوض الشيخ إبراهيم بن عمر، المصدر السابق، ص 23

بالعمل في ميادين الحرف والتجارة قبل الوجود الفرنسي في الجزائر [23].

ويؤكد السيد بن يوسف بن خدة دور الشيخ بيوض الفعلي في إجهاض مؤامرة فصل الصحراء فيقول: " ... فقد كان الشيخ بيوض يعمل بجد وإصرار من أجل وحدة التراب الوطني، رافضا كل محاولات ومناورات السلطات الفرنسية الاستعمارية من أجل فصل الصحراء عن بقية الوطن... "[24].

ويذهب وزير الحكومة المؤقتة للداخلية إلى أن "الفضل يعود إلى الشيخ بيوض في إنقاذ وحدة التراب الوطني، وبقاء الصحراء بكل خيراتها جزائرية، وبدونه كان يمكن أن تستمر الثورة عشر سنوات أخرى... إن دور غرداية هو الذي كان حاسما في الموضوع وغرداية تعني الشيخ بيوض" [25].

أما الشيخ أحمد حماني فقد عدّ موقف الشيخ بيوض الرافض للتقسيم شهادة خير وتزكية له: " فلو لم تكن لهذا

23 -من نص مداخلة الشيخ بيوض أمام المجلس الجزائري انظر:
B.Marghoub,Op.Cit p.57.

24 - بن يوسف بن خدة: شهادة في حق الشيخ إبراهيم بيوض... ، المصدر السابق.

25 -عبد الله بن طويال، شهادة، المصدر السابق.

الرجل (الشيخ بيوض) إلا منقبتان لكفاء أن نشهد له بالخير ونزكيه: الأولى يوم قال لفرنسا التي أرادت أن تفصل الصحراء عن الجزائر: لا، الصحراء قطعة من الجزائر، وسكان الصحراء جزء من سكان الجزائر، والثانية هي إحياء صلاة الجمعة لتكون صلاة الجمعة قائمة في ميزاب كما تقام في كل القطر..." [26].

2 -منظمة الجيش السري وضغوط المساومة

موازاة مع مشاريع تقسيم الجزائر التي كانت تخطط لها الحكومة الفرنسية، كان هناك مخطط يجري في الظلام يرمي إلى نفس الأغراض، ولكن تحت إشراف منظمة الجيش السري (O.A.S).

وفي هذا الشأن تألف وفد فرنسي في ديسمبر 1960 يتكون من الوزير الفرنسي السابق للصحراء ماكس لوجون وحاكم الجزائر السابق بايلو، وبياجي [27] أحد

26 -الشيخ أحمد حماني، "كلمة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في حفل تأبين الشيخ"، انظر: الشيخ بيوض، في رحاب القرآن، المصدر السابق، ص 109.

27 -للمزيد انظر: In Le Figaro Magazine n° du 29/10/1994. P.103.

الشخصيات القانونية، وحمزة بوبكر [28] أحد الوجوه الصحراوية المعروفة باتصالاته بالأوساط المالية الاستعمارية، وقام هذا الوفد بزيارة إلى دولة النيجر.

ولقد حاول هذا الأخير أن يتحدث باسم سكان الصحراء الجزائرية مع رئيس النيجر السيد حماني ديوري حيث استنفذ كل أوراقه من أجل استمالة الرئيس لمساندة مشروع "الجمهورية الصحراوية المستقلة". غير أن رد الرئيس كان حازما وصارما ورافضا تقديم أي عون من أجل إنشاء ما أسماه "كاطنغا صحراوية".

ولقد كان محتوى اللقاء الذي جمع حمزة بوبكر برئيس الحكومة الفرنسية هو تقديم حصيلة هذا المسعى الفاشل، في حين تكفل بياجي وبايلو بإخطار منظمة الجيش السري.

وبعد فشل المساعي المشبوهة هذه من أجل فصل الصحراء عن التل الجزائري، فكر الاستعمار في استعمال

28 -يرجع نشاط حمزة بوبكر في خدمة هذه القضية بالذات إلى سنة 1959، وذلك في إطار مشروع ما يسمى بالجمهورية الصحراوية المستقلة لتقسيم الجزائر، وهو مشروع أفهم على غرار المشروع الإفريقي الذي انتهى بالفصال مكاطنها، حيث عكف حمزة بوبكر على الحصول على مساندة الشخصيات الاعتبارية لمختلف انتماءاتها بالصحراء الجزائرية. انظر: المجاهد، المرجع السابق، ص5.

وسيلة أخرى التقت بين خيوطها الخطة الرسمية للحكومة الفرنسية، وتلك التي تنتهجها منطقة الجيش السري الإرهابية في مسألة فصل الصحراء.

وتشتمل هذه الخطة على مرحلتين: تتمثل المرحلة الأولى في ممارسة الضغط المالي على التجار الجزائريين، ذوي الأصول الصحراوية المستقرين في الشمال، وخاصة المزابيين، ولقد أنيطت مهمة الإشراف على هذه العملية إلى مدير بنك الجزائر الذي تربطه علاقة صداقة وثيقة بالجنرال شال (Challe) وكان من بين أعوان مدير بنك الجزائر في هذه العملية أحد إطارات البنك الشعبي بالجزائر، وبعض المحامين.

وتتمثل خطة هذه العملية في تهديد أولئك التجار بالإفلاس، ثم إعلان إفلاسهم، وذلك بإصدار الأوامر إلى المحاكم بشأن هؤلاء التجار الصحراويين، وتكتمل العملية برفض البنوك المعنية تقديم التسهيلات العادية، وتغطية مصاريفهم، وبل تطالبهم بتسديد الديون على الفور، أما المرحلة الثانية لهذه الخطة فتقضي بتحطيم وتدمير متاجر أولئك التجار بالقنابل البلاستيكية. وفعلا جرت الخطة

كما رسمت، وأصدرت الأوامر إلى المحاكم للتنفيذ، ثم دمرت المتاجر، حتى بلغت ما يزيد عن تسعين محلا بالعاصمة.

وفي الجنوب الجزائري لجأت السلطة الاستعمارية إلى القمع المباشر، فقد نقل مالا يقل عن 1500 عامل من العمال في قطاع البترول في منطقة ورقلة للمحتشدات بالشمال الجزائري [29].

وبعد يأس عناصر منظمة الجيش السري الإرهابية من وضع الجزائر الثائرة، وتوقعهم المؤكد لاستقلالها، شرعوا في استهداف البنى التحتية لاقتصادها، فكان القطاع النفطي في مقدمة أهدافها، إلى جانب المزارع والجسور والمعالم العلمية والحضارية. لقد خططت لتخريب المنشآت البترولية، فرصدت أربعين طنا من المادة المتفجرة (الديناميت)، وجعلتها تحت تصرف منفذي المؤامرة.

ولما بلغت تفاصيل المؤامرة إلى هيئة أركان الولاية السادسة، استدعى قائد الولاية العقيد محمد شعباني

29 - الحاج موسى بن عمر، السياسة النفطية في الجزائر، 1962 -1952، نشر جمعية التراث، ط1، غرداية، 2004، ص 189 -190.

السيد باحمد بن محمد إسفارن من بني يسجن، وقد كان ذا علاقة مع شركة بريتيش بتروليوم (B.P) وكلّفه بتوفير كل الوسائل الممكنة للاتصال بمسؤولي جميع الشركات البترولية في الجزائر، وفوّضه في إعطائهم كل الضمانات الكفيلة، بحمايتهم الشخصية وحماية أسرهم وأموالهم حيثما توجهوا وأقاموا في مناطق الولاية. وقد كلف العقيد شعباني السيد سليمان بن يوسف من العطف بنفس المهمة للاتصال بالمهندسين الأجانب بتكليف رسمي مؤرخ في 16 سبتمبر1961، وهذا لتحذيرهم من التعاون مع الجيش السري الفرنسي في استهدافه المنشآت النفطية في الجنوب الشرقي الجزائري، وفعلا كان لقاؤه بهم بمعية السيد شهرة عبد المالك من الأغواط في مكان بالجبل الأزرق في الجنوب الغربي من مسعد[30].

ولقد كلف العقيد شعباني السيد إسفارن لإقناع مسؤولي هذه الشركات، في لقاءات فردية، للاجتماع مع أعضاء قيادة الجيش بالولاية لتأكيد الضمانات والتعهدات

30 - حمو عيسى النوري، المصدر السابق، (شهادة الشيخ سليمان بن يوسف)، المجلد الثاني، ص 312 -313

التي حملها إليهم من قبل القيادة. ولقد أرفق السيد إسفارن بتكليف رسمي من هيئة أركان الولاية السادسة موقع من قبل الضابط الحاج اسماعيل الشاوي[31].

ونتيجة لجهود حثيثة لمبعوث قيادة الجيش بالولاية استطاع أن يزرع الثقة في نفوس أولئك المسؤولين بعد أن ظهروا ترددا طويلا وخوفا حقيقيا من الإقدام على خطوة كهذه، فبعد توفير كل ضمانات الأمن والسلامة التي طلبها أولئك المسؤولون على الشركات البترولية والغازية، اجتمعوا أخيرا في منطقة بوكحيل وهم 14 مسؤولا ممثلين لشركات سيب وسيبا ووكريبس وريبال وشال بقيادة الولاية وهم العقيد محمد شعباني مع ثلاثة من ضباطه منهم حسين ساسي ومحمد روينة وقنتار.

وخلال الاجتماع تم الاتفاق على أن تتابع الشركات العمل في التنقيب والتجهيز وتقوم الحكومة الجزائرية المؤقتة بدورها في حمايتهم في أرواحهم وأموالهم، ومن محاولات تخريب المنشآت النفطية. وبهذه الخطة استطاع

31 - اسمه النوري ثابت عبد الكريم.

جيش التحرير قطع الطريق أمام منظمة الجيش السري [32].

وهكذا ومن خلال ما تقدم، تتضح لنا جليا خيوط المؤامرة التي تتلخص في إغراق السلطات الفرنسية لمسألة الصحراء الجزائرية في مستنقع من الأوحال وتعقيد حلها بشبكة من الالتزامات والاتفاقات الدولية، حتى تمهد لمفاوضات تبني على أرضية من الأمر الواقع، إضافة إلى محاولات يائسة لاستقطاب شخصيات نافذة في المجتمعات الصحراوية، أو كسب ودها، أو ابتزازها سعيا وراء استغلال ثقلها الشعبي لتمرير مخططاتها المشبوهة لتأسيس عهد لآخر من الاستعمار ولكن بوجه جديد. ثم كان مخطط تخريب المنشآت الحيوية آخر ورقة يائسة في يد الإرهاب الاستعماري لحرمان الجزائريين من مغنم قد يخلفه عصر الاحتلال في الجزائر.

32 -حمو عيسى النوري، المصدر السابق، الشهادة السيد باحمد إسقارن»، المجلد الثاني، ص 241 وص 308 -310.

3 -المفاوضات وورقة تقسيم الجزائر

تأكد دي غول من فشل كافة أوراقه العسكرية، والسياسية والدبلوماسية وحتى الاقتصادية منها مثل مشروع قسنطينة، وكان يرغب من خلالها في إرغام جيش التحرير وجبهة التحرير الوطنيين على الاستسلام، وهذا ما أكد للجبهة نية الحكومة الفرنسية، وعدم جديتها في دعوة الحكومة الجزائرية المؤقتة للمفاوضات.

ففي مفاوضات إيفيان الأولى من 20 ماي إلى 13 جوان 1961، ترأس كريم بلقاسم الوفد المفاوض رفقة كل من سعد دحلب، محمد الصديق بن يحي، طيب بولحروف، أحمد بومنجل، أحمد فرنسيس، علي منجلي، قايد أحمد ورضا مالك. أما الوفد الفرنسي فكان يتكون من 9 أعضاء يرأسهم لوي جوكس (L.Joxe) بصفته وزير دولة مكلف بالجزائر [33].

وقد حاول الوفد الفرنسي خلالها القيام بمناورة تمثلت في إصدار قرار وقف القتال بكامل لأنحاء الجزائر لمدة

33 -عمار ملاح، المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19 مارس إلى سبتمبر 1962، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ص 76.

شهر بدءا من يوم 20 ماي، ونقل الوزراء الجزائريين المعتقلين من جزيرة اكس إلى قصر توركان، والإفراج عن ستة آلاف معتقل في الجزائر. وقد تم اتخاذ هذه القرارات من طرف الوفد الفرنسي دون اتفاق مسبق مع جبهة التحرير الوطني لهدف إيهام الرأي العام الدولي بإخلاص نواياها وصدقها وجديتها في التفاوض.

ومع دخول وفد الحكومة الجزائرية المؤقتة مع الوفد الفرنسي في مباحثات، حاول هذا الأخير استصدار قرار بوقف القتال، بالاعتماد على المساومة والتهديد بوقف التفاوض هذا ما عبر عنه جوكس من خلال قوله "لا يمكن أن نستمر طويلا في التفاوض والحديث عن السلم، ما لم نبحث عن حل في وضع حد للحرب بسرعة".

وكانت هذه اللعبة مكشوفة لدى أعضاء الوفد الجزائري التي ترمي إلى تصفية الثورة من كل محتوى تحريري استقلالي، مما أدى إلى رفضه من قبل أعضاء الوفد المفاوض للحكومة المؤقتة الذي كشف خفايا المناورة وأهدافها للرأي العام العالمي دون اعتماد على قطع المفاوضات ليؤكد سوء نية العدو ومكره، مما اضطر

الوفد الفرنسي إلى العدول عن قرار وقف القتال قبل التطرق إلى المشاكل السياسية الأساسية، وتم استعراض موقف الحكومة الفرنسية من كل المشاكل المعروضة في اليوم الأول من التفاوض، ثم ردّ رئيس الوفد الجزائري كريم بلقاسم يوم 23 ماي موضحا موقف الحكومة الجزائرية من كل المسائل"[34].

وخلال مسار المفاوضات برزت مناورة جديدة للوفد الفرنسي تمثلت في تقسيم الجزائر لصالح الأقلية الأوروبية التي يجب أن تتحصل على ضمانات داخلية وخارجية، ففي الميدان الداخلي يجب أن تكون لها ضمانات دستورية وقانونية تضمن لها شخصيتها وتحول دون ذوبانها في الأكثرية المسلمة، مما يفرض تشكيل دولة جزائرية مكونة من مجموعات وطوائف عديدة، أما في الميدان الخارجي فيجب أن تكون لها حقوق الأقليات الأجنبية حسب القوانين الدولية، بالإضافة إلى احتفاظها بالجنسية المزدوجة.

34 -يحي بوعزيز، الثورة في الولاية الثالثة، المرجع السابق، ص 466 وما بعدها

وكان رد الوفد الجزائري بخصوص الجالية الفرنسية، أنه يجب أن تختار بين الجنسية الجزائرية والمحافظة على الجنسية الفرنسية، فإن اختارت الجنسية الجزائرية، فسيكون لها نفس الحقوق والواجبات مثل المواطنين الجزائريين دون تمييز ديني أو عنصري مع احترام التقاليد والتراث الثقافي والميزات الحضارية. وإن تم اختيار الجنسية الفرنسية، فإن جبهة التحرير مستعدة لتحديد مستقبلهم كأجانب على أساس واقعي عادل لا يتعارض مع سيادة الشعب الجزائري ومصالحه العليا.

أما مشكلة الصحراء أو وحدة التراب الوطني فهي مرتبطة بوحدة عناصر الشعب الجزائري، وموقف الوفد الجزائري واضح جدا وهو أن الصحراء جزء لا يتجزأ ولا يمكن أن يتجزأ بأي حال من الأحوال [35].

وقد حاول الوفد الجزائري جعل مشكلة الصحراء موضوع نقاش خلال هذه المفاوضات وقد نجح في ذلك، وأرغم الوفد الفرنسي على الخوض في النقاش فيها ولخص موقفه من هذه المشكلة في النقاط والحجج التالية:

35 -فاضل إدريس، المرجع السابق، ص 125 -126

- عند احتلال الجزائر سنة 1830 من طرف الفرنسيين لم يجدوا الصحراء منفصلة عن الجزائر بدليل أن سكانها قاوموا الاحتلال مثلما قاومه سكان الشمال.
- أن الفرنسيين لم ينازعوا في انتماء الصحراء الجزائرية إليها عندما نص عليها دستور 1947، كون الصحراء أرض من أرض الجزائر داخلة في حدودها، وتأكد ذلك من خلال عدة مناسبات وقرارات منها: أن مجلس الدولة الفرنسي صادق في 1923 على أن سكان الجنوب جزائريون. وفي 1953 صادق المجلس الجزائري على قرار يعتبر مقاطعات الجزائر الجنوبية جزءا لا يتجزأ من الجزائر [36].
- أنه لا يمكن اعتبار منطقة الصحراء منفصلة [37] لأنها لا تمثل وحدة قائمة بذاتها، ولا يوجد صحراء واحدة في افريقيا ولكن هناك عدة صحاري ومناطق

36 - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 466 -499.

37 -ع.بوطيبة، "من جرجرة إلى إيفيان مسار كريم بلقاسم إلى النصر"، الشعب، ع 19 مارس 2001.

صحراوية متعددة تابعة لبلدان مجاورة للصحراء الجزائرية، ولم يسبق لفرنسا عندما اعترفت بالاستقلال السياسي لتونس ومالي ونيجر وتشاد والمغرب الأقصى أن نازعت إحدى هذه الدول في صحرائها فلماذا تحاول فصل الصحراء الجزائرية؟

- أن مشكل فصل الصحراء لم يظهر إلا سنة 1960 بعد اضطرار فرنسا لقبول التفاوض تحت ضغط الثورة والرأي العام العالمي.

ونظرا لقوة حجج الوفد الجزائري وتصميمه على ضرورة الاعتراف بوحدة الجزائر الترابية والشعبية وسيادة الدولة الجزائرية على صحرائها، اضطر الوفد الفرنسي إلى وقف المفاوضات من جانبه يوم 13 جوان 1961، بدعوى أخذ مهلة للتشاور. واتفق الوفدان على البقاء في اتصال فيما بينهما، ويقي سعد دحلب في سويسرا إلى غاية 20 جويلية 1961، حيث انعقد لقاء لوغران (LUGRIN)،فافتتحت المباحثات بطلب من الوفد الجزائري لإنهاء مسألة الصحراء، وجرت

محادثات انفرادية بين كريم بلقاسم وجوكس لمدة ست ساعات بقي كل طرف على موقفه، فعلّقت المفاوضات[38].

وفي لقاء بال الأول (BALLE 1) 28-29 أكتوبر 1961 أعربت خلاله الحكومة الفرنسية عن رغبتها في وضع إطار قانوني يخص الصحراء مما دل على بعض اللين في الموقف الفرنسي بخصوص الصحراء، وفي لقاء بال الثاني في 9 نوفمبر 1961، درست الحكومة المؤقتة مقترحات الوفد الفرنسي وردت عليها[39]، وقبلت أن تكون الجزائر في المرحلة الانتقالية تحت السيادة الفرنسية بشرط تخويل الهيئة التنفيذية المؤقتة صلاحيات كافية، لتنظيم الإدارة وحفظ الأمن وإعداد الاستفتاء.

وهكذا جرت عدة اتصالات سرية مهدت للقاء الوفدين من جديد في شالي دي روس (Chalet Des Rousses)[40]، وكان هذا اللقاء هو الطريق الواضح للاستقلال وقد بدأت المفاوضات من 11 فيفري إلى 19 منه، خطا الوفدان خلالها

38 -عمار ملاح، محطات حاسمة، في ثورة أول نوفمبر 1954، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، ص 78.

39 -Redha Malek ; L'Algérie à Evian, Histoire de la négociation secrète 1956-1962 ; Edition ANEP,2001,p.311.

40 -Rédha Malek,Op. Cit,p.314.

خطوات إيجابية ووصلا إلى مرحلة حاسمة استوجبت رجوع كل منهما لحكومته للاستشارة، بعد أن اتفقا على مسودة الاتفاقية. وافترق الوفدان على أن يلتقيا بإيفيان في المفاوضات الرسمية شرط أن يسمح المجلس الوطني للثورة بذلك مما جعل جبهة التحرير الوطني تدعوه للانعقاد في دورة استثنائية لتطلعه على لآخر ما توصلت إليه المفاوضات.

وعند استئناف المفاوضات في 7 مارس 1962 احتد النقاش قبل وصول إلى التوقيع على اتفاق وقف إطلاق النار ولم يوقع رئيس الوفد الجزائري كريم بلقاسم إلا عشية 18 مارس 1962 على الساعة الخامسة مساء، بعد الوصول إلى الاتفاق على كافة الأمور العسكرية والسياسية. وبمقتضى هذا الاتفاق أبرم آخر لوقف القتال ودخل حيز التنفيذ على كافة التراب الوطني في اليوم الموالي.

3 -الهيئة التنفيذية الانتقالية والاستقلال

كانت الهيئة التنفيذية الانتقالية قد تأسست بمقتضى الباب الثالث من اتفاقية إيقاف إطلاق النار التي وقعت بإيفيان مساء يوم 18 مارس 1962 بين ممثلي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وممثلي الحكومة الفرنسية.

وكان مخولا لهذه الهيئة، حسب بن خدة بن يوسف، أن تقوم بمهمتين: أولاهما الإعداد المادي والمعنوي والبشري لاستفتاء الشعب حول مبدأ الاستقلال. وثانيهما هي إيجاد حلول للمشكلات الحيوية القائمة قبيل الاستقلال لفترة ما بين مارس إلى حين إعلان نتائج الاستفتاء.

وبقدر ما أفلحت الهيئة التنفيذية في المهمة الأولى، فإنهما لم تفلح في المهمة الثانية. والسبب هو غياب سلطة لدى الشؤون الداخلية كفيلة بتنسيق الأنشطة بين الولايات والهيئة التنفيذية المؤقتة لتسهيل مهام هذه الهيئة، ولكن كانت ناجحة في وضع حد للتدمير والتخريب الممارسين من قبل منظمة الجيش السري، ولقد سمحت تلك الهيئة، حسبه، بتشكيل جنين الدولة. وكانت أزمة جويلية 1962 سببا لتمديد عمر هذه الهيئة لثلاثة أشهر إضافية، إي إلى سبتمبر 1962، استطاعت خلالها أن تساهم في حل بعض القضايا المتعلقة بالميزانية والشؤون الاقتصادية[41].

41 -رصيد م، ش، ع، حواش ملف رقم 1337/4، Ben Khedda Rapport sur l'Histoire du FLN,p.9

وتنص المادة التاسعة من هذه الاتفاقية على إسناد مسؤوليات إدارة الشؤون العامة للجزائر إلى الهيئة التنفيذية الانتقالية التي تتكون من الرئيس ونائب الرئيس وعشرة أعضاء، ومن مهام هذه الهيئة التنفيذية إعداد تقرير المصير وتنفيذه، ومن مهامها أيضا إدارة شؤون الجزائر إلى أن يتم وضع النظم المترتبة عن الاستفتاء العام حول تقرير المصير.

وتنص المادة العاشرة منها على أن التراب الجزائري الذي سيمارس عليه المجلس التنفيذي المؤقت اختصاصاته يتشكل من خمس عشرة ولاية هي الجزائر باتنة، عنابة، قسنطينة، المدية، مستغانم، الواحات، وهران، الأصنام، سعيدة، الساورة، سطيف، تيارت، تيزي وزو وتلمسان.

وبعد مشاورات بين الحكومة الفرنسية والحكومة الجزائرية المؤقتة، وطبقا لاتفاقيات تكونت هيئة تنفيذية انتقالية لتسيير الإدارة الجزائرية إلى يوم الاستقلال، وتم التوصل إلى تعيين أعضاء الهيئة التنفيذية المؤقتة الاثني عشر. وتم إسناد المهام لهم على النحو الآتي [42]:

42 -د.يحيى بوعزيز، "الهيئة التنفيذية المؤقتة في اتفاقيات إيفيان 18 مارس 1962"، من كتاب ملتقى حول المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19 مارس 62 إلى سبتمبر

الرقم	اسم عضو الهيئة التنفيذية	المهمة المسندة إليه
1	عبد الرحمن فارس	رئيسا للمجلس
2	روجي روث	نائبا للرئيس
3	شوقي مصطفاي	الشؤون العامة
4	بلعيد عبد السلام	الشؤون الاقتصادية
5	امحمد الشيخ	الشؤون الزراعية
6	جان منوني	الشؤون المالية
7	عبد الرزاق شتوف	الشؤون الإدارية
8	عبد القادر حمسار	الأمن العام
9	بعدين حميدو	الشؤون الاجتماعية
10	إبراهيم بيوض	الشؤون الثقافية
12	شارل كونيف	الأشغال العمومية
13	محمد بن تفتيفة	البريد

ويذكر السيد عبد الله بن طوبال وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة وعضو الموقع على اتفاقيات إيفيان أن الشيخ بيوض كان إلى جانب الثورة، من دون أن تتفطن فرنسا لذلك، فقد كان في نظر جبهة التحرير الوطني

1962، من إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1416 -1995، ص 81 -84.

عضوا إضافيا، قبلته بدون تحفظ عندما اقترح اسمه في القائمة[43].

أما امحمد يزيد وزير الأخبار في ذات الحكومة فقد صرح بأن قيادة جبهة التحرير الوطني أجلت اقتراح الشيخ ضمن حصة جبهة التحرير الوطني لاحتمال أن يرد اسمه ضمن حصة الطرف الفرنسي، فيكون عضوا إضافيا لصالح الجبهة[44].

ويذكر السيد رضا مالك الناطق الرسمي باسم الوفد الجزائري المفاوض، أن تشكيلة الهيئة التنفيذية الانتقالية ضمت ثلاثة أعضاء مستقلين هم الشيخ بيوض وامحمد الشيخ وعبد القادر الحصار، وكان الشيخ بيوض يتمتع بالثقة التامة من قبل جبهة التحرير الوطني وتحقق الاتفاق حوله بدون صعوبة حول إدراج اسمه في تشكيلة الهيئة[45].

43 -عبد الله بن طوبال، شهادة... المصدر السابق

44 -امحمد يزيد، **حصة متلفزة حول الشيخ بيوض**، في 7 أفريل 2000، المؤسسة الوطنية للتلفزة الجزائرية

45 -Rédha Malek, L'Algérie à Evian Histoire de négociations secrètes 56-62. Edition ANEP,2001,p.237.

أما السيد بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة فقد اعتبر تعيين الشيخ ابراهيم بيوض في الهيئة التنفيذية، تتويجا لمسيرته النضالية، واعتبارا لوطنيته، واعترافا بكفاحه الطويل، وكانت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية قد عينته عضوا ضمن مجموعة جبهة التحرير الوطني في هذه الهيئة، فكان مسؤولا على قسم التربية والشؤون الثقافية[46].

ولقد كانت مفاوضات إيفيان والاتفاقيات التي تمخضت عنها حتمية للتطورات التي عرفتها الساحة السياسية، وقد حرص الوفد الجزائري جعل مسألة الصحراء ضمن مواضيع النقاش الأساسية خلال هذه المفاوضات وقد نجح في ذلك، وأرغم الوفد الفرنسي على الخوض في النقاش فيها. وهكذا كان استرجاع السيادة الوطنية ثمرة جهود جسيمة عبر مسيرة شاقة وطويلة من النضال والكفاح، توجتها مسيرة الثورة واستراتجيتها لتحقيق الأهداف الرئيسية والأساسية لبيان أول نوفمبر 1954.

46 -بن يوسف بن خدة: شهادة في حق الشيخ إبراهيم بيوض... المصدر السابق

فصل الصحراء الجزائرية وبعض ردود الفعل المحلية

1962- 1957

إعداد الأستاذ قن محمد

جامعة زيان عاشور الجلفة

2013 -2014م

مقدمـــــــــــــة:

1: سياسة فرنسا في فصل الصحراء 1957-1962

1-1الميدان السياسي

1-2الجانب العسكري

1-3الجانب الدبلوماسي

2: استراتيجية الثورة التحريرية لمواجهة مشروع فصل الصحراء

2 -1 على الصعيد العسكري

2 -2 على الصعيد السياسي

2 -2 -1 نشاط الحكومة المؤقتة

2 -2 -2 المظاهرات الشعبية

2 -2 -2 -1 مظاهرات 27 فيفري 1962 بمدينة ورقلة

2 -2 -2 -2 مظاهرات أخرى بالمنطقة

3: قضية الصحراء في المفاوضات الفرنسية الجزائرية

الخاتمة

في خضم الإعداد لتفجير الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي، قسم قادة الثورة الجزائرية الوطن إلى خمس مناطق وأرجأوا تنظيم الجنوب إلى وقت لاحق، لأن ذلك تطلب مجهودات لم تكن متاحة لهم حينها. لكن هذا الإرجاء كان مصحوبا بتكليف مصطفى بن بولعيد بتأهيل مناطق جنوب الأوراس لاحتضان العمل المسلح، فبذل في ذلك مجهودا كبيرا. لكن باستشهاده تعطلت تلك المجهودات نوعا ما وبعثت من جديد في أول مؤتمر تنظيمي للثورة بوادي الصومام في 20 أوت 1956، والذي كان من أبرز نتائجه إقرار الصحراء الشرقية والوسطى كولاية سادسة مستقلة وتعيين العقيد علي ملاح (سي شريف) قائدا عليها ومن ثم كان الميلاد الرسمي للولاية السادسة.

وبعد نقد مسار الثورة الجزائرية وما حققته من انتصارات سياسية ودبلوماسية، بدأت المفاوضات الجزائرية الفرنسية وشكلت قضية الصحراء عنصرا استراتيجيا في أغلب مراحلها حاولت سلطات الاستعمار إبعادها من جدول المفاوضات عكس الوفد الجزائري الذي تمسك بها

باعتبارها عنصرا مفصليا في استرجاع السيادة الوطنية. فما هي استراتيجية فرنسا لفصل الصحراء الجزائرية؟ وما هي ردود فعل الثورة الجزائرية على ذلك؟

1: سياسة فرنسا في فصل الصحراء 1957 -1962

لما شعر الاستعمار الفرنسي بدنو أجل استقلال الجزائر، أدرك القيمة الاستراتيجية والاقتصادية للصحراء الجزائرية، فبدأ يعد المشاريع لبترها عن الوطن الأم، رغم أنها طيلة العهد الكولونيالي، لم تفصل عن جميع منظوماته السياسية والإدارية العسكرية[1].

عمدت السلطات الاستعمارية إلى التفكير في مخطط آخر ووضعه تدريجيا موضع التنفيذ ويتمثل في اعتماد سلسلة من

1 -مكانت الصحراء الجزائرية جزءا من الجزائر وفقا للقانون الفرنسي الخاص بالجزائر 1884. انظر: المجاهد (5 -6 -1961)، عدد 97 ونصت المادة 50 من قانون الجزائر (20 نوفمبر 1947) على ضم الجنوب للشمال ودمج أقاليمه في عمالات أخرى.

انظر: محمد بن دارة، تطور الثورة التحريرية في ناحية غرداية (1954 -1962)، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر 1998 -1999.

التدابير تهدف من خلالها إنقاذ ما يمكن إنقاذه بتفكيك أواصر الوطن الجزائري واقتطاع ما يمكن اقتطاعه.

1 -1: الميدان السياسي: جاءت فكرة فصل الصحراء منذ الحرب العالمية الثانية حيث تضاعفت أهميتها الاستراتيجية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها؛ إذ وجدت الدول الأوروبية الكبرى (الإتحاد السوفياتي، بريطانيا) والولايات المتحدة الأمريكية نفسها مضطرة إلى تطوير أسلحتها النووية ولم يبق لفرنسا منذ 1956 سوى الجزائر وامتداداتها الصحراوية ومنه فلا يمكن الاستغناء عنها إذا أرادت تطوير صناعاتها الحربية الاستراتيجية [2]. وأصبحت فرنسا في حاجة للفضاء الصحراوي لإجراء التجارب النووية، نظرا لشساعة الصحراء وقربها النسبي من الوطن الأم[3]. وانطلقت فرنسا من قاعدة أن من يملك الصحراء يكون بيده مفتاح المغرب العربي من جهة وافريقيا السوداء من جهة أخرى ومن ثم الباب الجنوبي لأوروبا.

2 - الجاهد، عدد 102 (14 -08- 1961).

3 - مجلة الأخبار العسكرية الفرنسية، عدد مارس 1956.

ومن هنا اضطرت فرنسا إلى اقتطاع الصحراء الجزائرية وبدأت بتشكيل "مناطق التنظيم الصناعي الإفريقي Z.O.I.A"، والتي من مناطقها كولب بشار قرب الحدود المغربية التي تحولت إلى قاعدة حربية ضخمة لإجراء التجارب العصرية حول القنبلة الذرية والصواريخ ففي 24 أفريل 1947 أنشأت في بشار مركزا عسكريا للتجارب الصاروخية الخاصة[4].

كما برزت الأهمية الاقتصادية للصحراء الجزائرية منذ اكتشاف الغاز الطبيعي 1954 في جبل برغة قرب عين صالح والبترول في مارس 1956 بمنطقة أجلي ثم في حاسي مسعود 12 جوان 1956 [5]، فبدأت تشدد قبضتها على الصحراء؛ فأنشأت وزارة خاصة بالصحراء أسندت إلى القائد العسكري "ماكس لوجون Max Lejeune" بتاريخ 5 نوفمبر 1957 يلحق المقاطعات الصحراوية بفرنسا مباشرة فأنشأت

4 - راجع أكثر: الجاهد، عدد 101 (31 -07- 1961)، عدد 102 (14 -08- 1961).

5 - "الصحراء الجزائرية من ماكس لوجان إلى دي غول"، جريدة الجاهد، (10 - 04 -1961)، عدد 93.

عمالتان "الواحات – الساورة" ألحقتا مباشرة بفرنسا. وفي الوقت ذاته صدر عن البرلمان الفرنسي و بتاريخ 10 جانفي 1957 قانون إنشاء "المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية O.C.R.S"، تضم بالإضافة إلى عمالتي الواحات والساورة، أقاليم كل من النيجر وتشاد وموريتانيا والسودان الفرنسي (مالي حاليا).

واعتمادا على النصوص الرسمية المنظمة للمنطقة المشتركة للمناطق الصحراوية مثل قانون مرسوم رقم 903/57 الصادر في 07 أوت 1957، فقد قسمت الصحراء الجزائرية إلى عمالتين "الواحات" و"الساورة" وتضم البلديات المختلطة بكل من كولومب بشار، البيض، الأغواط، الجلفة، غرداية، المنيعة، ورقلة، تقرت، الوادي،...إلخ. كما نظم المرسوم التقسيم الداخلي للوحدات الإدارية لكل عمالة وحدد أيضا طبيعة الإشراف الإداري عليها [6].

6 - للمزيد أنظر: المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، ملفات و وثائق حول محاولات فرنسا لفصل الصحراء الجزائرية، سلسلة ملتقيات، ص ص 80 -82.

وكان الهدف الظاهري العمل على التطوير الاقتصادي والرقي الاجتماعي للمناطق الصحراوية التابعة للجمهورية الفرنسية والتي تسهم في تسيرها "الجزائر، موريتانيا، السودان، النيجر والتشاد"، بينما الهدف الجوهري هو فصل صحراء الجزائر عن الشمال واعتبار الصحراء بحرا داخليا لا يخضع لأي سيادة فهو حق لجميع الدول المجاورة. و لكن حكومات بلدان افريقيا تفطنت لمستقبل هذه السياسة فلم تجاري فرنسا [7].

التجأت فرنسا بعد ذلك إلى مراسلة الدول الغربية مؤكدة أن الصحراء ستكون قاعدة عسكرية للتصدي إلى الزحف الشيوعي [8] وفتحت الحقول الصحراوية أمام الشركات المتعددة الجنسيات ومنحتها تسهيلات وامتيازات واسعة ولا مشروطة، للتنقيب واستخراج وتصدير البترول والغاز الطبيعي لفترات واسعة وصلت حتى 50 سنة وكل ذلك من

7 - صرح الرئيس السنغالي "ليوبولد سنغور" – إن حدود البد المستقل يجب أن تكون هي حدوده عندما يكون مستعمرا-". المجاهد، (17 -07 -1961). عدد 100.

8 - المجاهد، (17 -07 -1961). عدد 100.

أجل كسب الحكومات الرأسمالية الكبرى في مشروعها الاستعماري بالجزائر.

1 -2: **الميدان العسكري:** تبنت السلطات الفرنسية استراتيجية قامت على:

-إنشاء شبكة فرق إدارية متخصصة « Sections Administratives Spécialisées »

-إنشاء شبكة واسعة من الطرق المعبدة والمسالك لتسهيل نقل وتنقل وحدات الجيش، والاستغلال السريع للثروات الباطنية في الصحراء.

-إعادة هيكلة جيوشها بالصحراء وتعديل سياستها الأمنية الشاملة هناك فضاعفت عدد قواتها بخمسة أضعاف بين 1956 -1958 فأصبح عدد جنودها ألف جندي، ليصل إلى 30 ألف في مستهل 1962.

-إسناد قيادة الجيوش إلى القائد الأعلى في الصحراء الذي يتعامل مباشرة مع وزير الحربية في باريس ابتداء من ديسمبر 1961.

-إنشاء مراكز نووية وصاروخية مثل منطقة رقان 1957 لتفجير أول قنبلة ذرية بها يوم 13 فيفري 1960.

-إنشاء مناطق محرمة بالجنوب على مسافة أكثر من 6000كم^2.

-محاصرة الثورة بجميع الوسائل (تسميم الآبار، ومنابع المياه، نشر الدوريات، الطائرات الاستكشافية...)، وخاصة على الجهات المحاذية للصحراء جنوب الأطلس الصحراوي[9].

-إنشاء الحركة المناوئة بقيادة بلونيس[10].

-تحطيم متاجر السكان الصحراويين في العاصمة واعتقال 1500 عامل في البترول ونقلهم إلى محتشدات بالشمال[11].

---

9 - المنظمة الوطنية للمجاهدين، "تقرير الملتقى الجهوي الثاني لتاريخ الثورة، الولاية السادسة"، المنعقد ببسكرة 1985.

10 - بلونيس من مواليد 1912 ببرج منايل في جبال جرجرة، كان مناضلا في حزب الشعب حاول بداية من منتصف عام 1955 تنظيم مجموعات الصدام في العاصمة مستغلا خبرة المناضلين أمام الانشقاق الذي ألم بحركة الانتصار، وتعصب لمصالي الحاج بعد قيام الثورة ولزعم الفرق العسكرية التي تشكلها الحركة الوطنية التابعة لمصالي الحاج انظر:

-يحي بوعزيز، الثورة في الولاية الثالثة التاريخية، دار الأمة الجزائر، 2004، ص 152.

11 - المجاهد، (22 -01 -1962)، عدد 113.

1 -3: **الجانب الدبلوماسي:** سعت الآلة الدبلوماسية الفرنسية إلى تزويد عواصم العالم بالعديد من المذكرات المرفقة بالخرائط، تلح فيها على اعتبار الصحراء منفصلة عن الجزائر كما كان هذا السعي الحقيق مقرونا بدعاية واسعة وبعروض سخية لاستقطاب رؤوس أموال الشركات الأجنبية للاستثمار في الصحراء. وفي هذا السياق أنشأت الحكومة الفرنسية المنطقة المشتركة للمناطق الصحراوية، بهدف إشراك الأقطار الإفريقية المجاورة للجزائر في الخطة الاستعمارية تحت غطاء تنظيم استغلال الثروات الطبيعية للصحراء. غير أن أمواج حركة التحرر الإفريقية حالت دون ذلك[12].

وبمجيء الجنرال "ديغول" على رأس الجمهورية الخامسة 1958 ازداد تمسك فرنسا بالصحراء فأجرى في 02 جويلية 1959 تعديلا في حكومته إذ عين "لويس جوكس Luis Jax" كاتبا للدولة لدى الوزير الأول "ميشال ديبري Michel Debré"، ليختص بالقضية الجزائرية وفصل الصحراء وكلف "فيشار

12 - الحاج موسى بن عمر، السياسة النفطية في الجزائر 1952 -1962، جمعية التراث، غرداية 2004، ص 174.

اوليفي Guichard Olivier" بملف الصحراء. ويظهر من خلال الزيارات الميدانية التي قام بها عدد من المسؤولين الحكوميين فقد اجتمع "فيشار اوليفي Guichard Olivier"، ورئيس الوزراء "ميشال دبيري Michel Debré" مع الشيخ "بيوض الحاج ابراهيم بن عومر" 12 جوان 1959 بمكتب رئيس الدائرة العسكرية بغرداية الكولونيل "كلان كلاش Klen Klech" وفاوضاه على ملف الصحراء لكن بدون جدوى[13].

كما زار المنطقة الوزير الأول "ميشال دبيري Michel Debré"، مرفوقا بالكولونيل الجزائري "علي مراد" ممثل الواحات في مجلس الأمة في أكتوبر 1959 وعقدا جلسة عمل بمقر بلدية غرداية وبحضور نائب ميزاب في المجلس الجزائري "بودي محمد بن سليمان" ونواب المجلس العمالي بورقلة ورؤساء بلديات وادي ميزاب السبع. وفشلت المناقشات حول فصل الصحراء.

13 - الحاج موسى بن عمر، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1945 - 1962 - مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1992 -1993، ص ص 51 -52.

وفي نفس السياق جاءت تصريحات الجنرال "ديغول" حيث قال أثناء زيارته لمدينة تقرت 1958: "... ليفهم الذين انضموا أخيرا للحرب الأهلية، أن صفحة القتال قد طويت و تبدأ الآن صفحة التقدم ...لتحيا صحراؤنا... لتحيا فرنسا".

ومن بين المحاولات اليائسة أيضا لفصل الصحراء اتصال السلطات الفرنسية بأعيان الطوارق حيث اجتمع "ميشال ديبري Michel Debré" مع الباي الحاج أخموك في تمنراست سنة 1960 لمدة أسبوع كامل و عرض عليه تنصيبه سلطانا على كل الطوارق فرفض. ولم يقتنع الجنرال "ديغول" بفشل مبعوثه للطوارق فاغتنم فرصة الاحتفال بـ 14 جويلية و أرسل طائرة خاصة لاستقدام "الباي الحاج أخموك" لزيارة فرنسا وقابل "ديغول" وكرر له "ميشال ديبري Michel Debré" الطلب فكان رده "**ربما قد لا أطلب استقلال الجزائر ولكن الذي أطلبه هو عدم الاستقلال عن الجزائر**".

كما زار رئيس الحكومة الفرنسية "ميشال ديبري Michel Debré" المنطقة ما بين 25/23 فيفري 1961 رفقة وزير الصحراء "روبير لوكور Robert Le Cour" ومندوب المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية "قيشار أوليفي Guichard Olivier" زاروا

خلالها كل مدن ورقلة، غرداية، ايجلي، تمنراست ثم بشار والقيت خلالها سلسلة من الخطب أمام عدد من الشخصيات الهامة والسكان ففي غرداية مثلا صرح "ميشال ديبري Michel Debré" بما يلي: "إن مستقبل الصحراء لهو مستقبل عظيم وفرنسا الحاضرة هنا لعازمة على البقاء". أما في بشار فقد ركز على ما يلي: " اعلموا أن فرنسا حاضرة هنا وستبقى"[14].

وفي هذا الصدد ومنذ عام 1959 كلفت سلطات فرنسا نائب صحراء الواحات "حمزة بوبكر"[15] بتقديم مشروعه الرامي

---

14 - الحاج موسى بن عمر، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1945 - 1962...، ص 85.

15 - حمزة بوبكر: ولد في 15 جوان 1912 بجيري قبل (البيض) شخصية دينية علمية سياسية نشط في خدمة الاستعمار منذ سنة 1959 في إطار ما يسمى بـ "الجمهورية الصحراوية المستقلة" فكلف بالحصول على مساندة الشخصيات بمناطق الصحراء الجزائرية، كلما اتجه مع بعض قادته الاستعماريين إلى النيجر في ديسمبر 1961 للدعوة إلى مشروعه الاستقلالي فشل. مستشار عام بعلجة متليلي رئيس المجلس العام لعمالة الواحات وعضو مجلس الأمة له وسام الشرف و وسام الاستحقاق الصحراوي. ثم تولى مدير المعهد الإسلامي بباريس، أنظر:

-الحاج موسى بن عمر، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1945 -1962...، ص 54.

لإقامة جمهورية صحراوية تضم ولاية الواحات والساورة. وتمكن "حمزة بوبكر" بدعم من السلطات الفرنسية من الاتصال بعدة شخصيات من أعيان الصحراء. فعقد ثلاثة اجتماعات الأول في الأغواط والثاني في "سانت أوجين" بالجزائر والثالث في مدينة ورقلة إذ اجتمع بحوالي 54 شخصية من الأعيان في أفريل 1961 في وقت الإستعداد لإجراء مفاوضات إيفيان بين فرنسا – GPRA ولكن هذه الاجتماعات الثلاثة باءت بالفشل لتفطن الحاضرين لهذه المؤامرة، وللدور الذي لعبه "الشيخ ابراهيم بيوض" في إجهاض هذه العملية حينما اتصل بالحكومة المؤقتة وأبلغها بتفاصيل المؤامرة.

ونتيجة الإخفاقات السابقة، عملت السلطات الفرنسية على تحطيم تجارة الجزائريين وتشجيع أفراد المنظمة السرية بتدمير أكثر من 90 محلا بالقنابل. وفي 5 سبتمبر 1961 داس جنود من الحركة مسجد ورقلة ثم سجن رئيس بلدية ورقلة وعدة شخصيات محلية.

2: استراتيجية الثورة التحريرية لمواجهة مشروع فصل الصحراء

لا يمكن إبراز دور الولاية السادسة بمعزل عن الاستراتيجية الشاملة لجبهة التحرير ككل في مواجهة المخطط الفرنسي، نظرا لحجم المؤامرة، حيث أضحت قضية فصل الصحراء من أعقد القضايا التي واجهتها الحكومة المؤقتة إذ تسببت في إيقاف المفاوضات بين الحكومة المؤقتة والحكومة الفرنسية عدة مرات، لذلك فقد كانت مواجهة الثورة لهذه المؤامرة على عدة جبهات أو أصعدة[16].

2 -1: على الصعيد العسكري: ابتداء من سنة 1957 قام جيش التحرير الوطني بعمليات عسكرية في الصحراء ضد المصالح البترولية الفرنسية بها، فقد حرر مسؤولو الولاية السادسة قواعدهم الدفاعية والهجومية، ومن العمليات العسكرية التي قامت بها الولاية تفجيرها خط السكة الحديدية الرابط بين تقرت وسكيكدة محطة توليد الكهرباء بالأغواط يوم 13 جويلية 1957.

16 - التقرير الجهوي لكتابة تاريخ الثورة، بسكرة، المرجع السابق، ص 41.

واستكمالا للنشاط العسكري نفذ جيش التحرير الوطني في 17 أوت 1957 عملية في منطقة التنقيب عن البترول "تين السما" قرب أيجلي بأقصى الجنوب الشرقي)[17]. كما تم في 21 سبتمبر 1957 تحطيم ناقلتي للبترول على بعد 5 كيلو متر من "بريان" بمنطقة حاسي الرمل قرب الأغواط فدمر عدد من الأجهزة الفنية قدرتها المصادر العسكرية الفرنسية بـ 15 مليون فرنك)[18](

و أمام ضربات جيش التحرير فكرت فرنسا في نقل البترول عن طريق تونس و أبرمت مع الحكومة التونسية في جوان 1958 اتفاقية مع شركة (....) الفرنسية تقضي بمد أنبوب من أيجلي عبر التراب التونسي و تصدره من ميناء سخيرة" خليج قابس "وهذا ما أدى بتأزم العلاقات بين الحكومة المؤقتة و الحكومة التونسية . كما وقعت الشركة الفرنسية للبترول الجزائري مع شركة " ريبال "

17 - المجاهد، عدد 10 (05 -09 -1957)،

18 - المجاهد، عدد 40 (16 -04 -1959)،

مخططا لمد أنبوبين الغاز (حاسي مسعود - بجاية)(حاسي الرمل - غليزان)، لكن نشاط الثورة حال دون ذلك[19] .

وفضلا عن العمليات العسكرية المستهدفة للمصالح الاقتصادية الاستعمارية فجر جنود جيش التحرير معارك طاحنة ،في جبل بوكحلة قرب مسعد بالجلفة مثل معركة " الكرمة وأجر يبيع "أو معركة ضد فرنسا اثبت التحرير الشامل و الوطن منها.

"48ساعة" 17 -18 سبتمبر1961. ومنها ما شهدته الناحية الرابعة بورقلة المنطقة الرابعة من الناحية السادسة من معارك مختلفة مثل معركة لبرق(دزريوة)غرب تقرت في 20ماي1958، معركة قرداش قرب تماسين بتقرت في 28أكتوبر1958 ،معركةالقصوربالمقارين29أوت1961، إشتبا ك الدليليعي بالطيبات في خريف 1961، واشتباك العالية بالحجيرة 08 ديسمبر 1961 .....الخ[20]

19 -المجاهد، عدد41(01 -05 -1959) -

20 - للمزيد أنظر: عبد الحميد نجاع، منطقة ورقلة وتقرت من مقاومة الإحتلال الى الإستقلال ،منشور الجمعية الوفاء للشهيد بتقرت، الأمال للطباعة، دون مكان، 2003، ص166 -168.

وبقراءة متأنية لجدول إحصاء العمليات العسكرية التي قامت بها الولاية السادسة ندرك كثافة النشاط العسكري الموجه ضد المنشآة البترولية وجميع المواقع الاستراتيجية الاستعمارية[21]

2 -2: على الصعيد السياسي:

2 -2 -1نشاط الحكومة المؤقتة: تحركت الحكومة المؤقتة منذ تأسيسها دبلوماسيا للوقوف في وجه هذه المؤامرة. وفي هذا الصدد صرح فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة «أن الحكومة المؤقتة تؤكد من جديد الحقوق المشروعة للشعب الجزائري في الصحراء التي هي امتداد طبيعي وجزء لا يتجزأ من الجزائر »[22]

ولنسف هذه المؤامرة أكدت الحكومة المؤقتة على لسان مسؤوليها عدم إعترافها بالعقود المبرمة ولا بالاستثمارات البترولية في الصحراء حيث إعتبرتها عدونا

21- الهادي دروازي، الولاية السادسة تنظيم ووقائع 1954 -1962، دار هومة الجزائر 2007، ص135، 21

22 - الرائد عمار ملاح، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954، دار الهدى، عين مليلة، ص216

ضد الشعب الجزائري، لأنها تزيد في بؤسه من خلال إطالة أمد الحرب. و في هذا السياق نشير إلى أنه عقب إعلان شركة "ستندا أويل نيوجيرزي(....) الأمريكية عزمها الاستثمار النفطي في 21جانفي 1959 جاء رد الحكومة المؤقتة على لسان السيد الوزير " أن الحكومة المؤقتة تؤكد على رؤوس الملأ حقوق الشعب الجزائري الثابتة في الصحراء التي هي جزء من الجزائر"....

و أعتبر الإتفاقات المتعلقة بإستثمار موارد الصحراء لا غية فقال :" إن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تحذر الشركات المهتمة بالتفتيش عن النفط من أن تبرم إتفاقيات مع السلطات الفرنسية"[23]

وفي 27جانفي 1959 أكد السيد الوزير أحمد يزيد عزم الثورة على التصدي و بكل الوسائل، لعمليات إستغلال البترول الجزائري ،وعدم إعترافها بالعقود المبرمة مع

23 - الحاج موسى بن عمر، المرجع السابق، ص206

الحكومة الفرنسية[24] ولا يتم أي استثمار إلا في نطاق جزائر مستقلة ومغرب عربي موحد.

وفي هذا الإطار أيضا نشير إلى أن الحكومة المؤقتة لم تفوت أي مناسبة أو فرصة ، إلا واتخذتها منبرا لإيصال صوتها ،ومن ذلك المؤتمر العربي للبترول الذي تم تنظيمه بالقاهرة بتاريخ 23أفريل1959 حيث حذرت(...) الشركات الأجنبية من مغبة الإستثمار في الصحراء الجزائرية.

وبمناسبة المؤتمر الدولي الخامس للبترول المنعقد في نيويورك بين ماي - جوان1959 ، قدم ممثل الجزائر محمد يزيد للمؤتمرين ملفا بين فيه موقف الحكومة المؤقتة الجزائرية من قضية البترول الصحراوي[25].

2 -2 -2. **المظاهرات الشعبية:** استكملا لسياسة التصدي لمحاولة فصل الصحراء، ارتأت جبهة التحرير الوطني إعتماد أسلوب المظاهرات الشعبية كأسلوب مؤيد للعمل السياسي

24 - محمد بن دارة، فصل الصحراء في السياسة الإستعمارية، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعةالجزائر، 1998 -1999، ص173.

25 - المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954،ملفات ووثائق حول محاولات فرنسا لفصل الصحراء الجزائرية ،سلسلة ملتقيات،ص66.

و الدبلوماسي و العسكري، وعليه بدأت سلسلة المظاهرات بالدعوة إلى أن يكون05جويلية1961 يوما وطنيا ضد سياسة تقسيم الجزائر التي تسعى إليها فرنسا،فقد دعت الحكومة المؤقتة إلى تنظيم إضراب شامل في كافة القطر الجزائري تحت شعار " الصحراء جزائرية"، وقد تضمن نص الإضراب دعوة كافة شرائح المجتمع الجزائري وعبر مختلف المناطق إلى التظاهر في وقت واحد، وموازة مع ذلك تقوم وحدات جيش التحرير الوطني بهجومات و كمائن تستهدف مواقع وأفراد الجيش الفرنسي.

ورغم ما حشدته السلطات العسكرية الفرنسية(35ألف شرطي و30ألف جندي)لإفشال هذا الإضراب ،إلا أن الشعب الجزائري إستجاب للنداء وخرج ليعلن للعالم عن وحدة بلاده برفع الأعلام الوطنية و النداء بحياة الحكومة المؤقتة وجبهة وجيش التحرير الوطني ومقاومة تقسيم البلاد، فكان إضرابا عاما وناجحا بإعتراف الصحافة الفرنسية والدولية.

و لم تلبث أن اندلعت مظاهرات شعبية أخرى عبر القطر الجزائري و منها ما وقع بالصحراء مثل مظاهرات غرداية في سبتمبر1960ومظاهرات منطقة ورقلة، حيث أعلن من خلالها

الشعوب المتظاهرون عن دعمهم لمسار المفاوضات الجزائرية الفرنسية وتأكيدهم على البعد الوطني ورفضهم لأي شكل من أشكال التقسيم الترابي أو العرقي الشعبي. ومن نماذج هذه المظاهرات المحلية مظاهرات 27فيفري1962بمدينة ورقلة.

2 -2 -2 -1: مظاهرات 27 فيفري 1962 بمدينة ورقلة:

جاءت هذه المظاهرات في ظرف حساس حيث كانت المفاوضات الجزائرية الفرنسية في مرحلة متقدمة ،و كانت الثورة تتخوف من مناورات فرنسا الديغولية في الصحراء حيث أراد ديغول أن يوظف آخر ورقة سياسية للضغط و التأثير على مسار المفاوضات حتى يفوز بالصحراء فرنسية، لذا وجهت قيادة الثورة رسالة الى سكان ورقلة تدعوهم من خلالها وبنص مقتضب في الشكل، عظيم في المعنى ، إلى التظاهر يوم27 فيفري1962 ، موعد زيارة الوفد الفرنسي إلى المدينة، للتعبير عن مساندتهم للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري ،وأن الصحراء الجزائرية جزء لا يتجزأ من الجزائر الحرة المستقلة .

وفي إطار الإعداد للمظاهرات نزل الملازم الثاني السيد"محمد شنوفي " أحد قياديي جيش التحرير الوطني بالولاية السادسة المنطقة الرابعة الناحية الرابعة ببيت المجاهد " الحاج بومادة " بحي بني ثور ومن خلاله أرسل عدة رسائل إلى قادة اللجان التنظيمية بورقلة و ضواحيها[26] ،وحتى في حاسي مسعود و الحجيرة و الطيبات والعالية[27].

وقد جاء في إحدى تلك الرسائل الموجهة إلى السيد "بخديجة سي المسعود" من سعيد عتبة بورقلة "... أبعث إليكم هذه التعليمات يجب أن تعيروها اهتمامكم البالغ و هي أن تأمروا كافة المواطنين بأن يقوموا بمظاهرات يوم27 -02 -1962 عند الساعة الثامنة صباحا ليعبروا فيها أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هي الممثل الشرعي للشعب الجزائري و يهتفوا بأن الصحراء جزائرية ويرفعوا العلم الجزائري إن هذا الوقت هو الوقت المناسب والكيفية

26 - عبد الحميد نجاح، المرجع السابق،ص68

27 - شهادة المجاهد الضابط محمد شنوفي، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954 ،ملفات ووثائق حول" محاولات فرنسا لفصل الصحراء الجزائرية" ، ورقلة1962 ،سلسلة ملتقيات، ص 329

تكون ،كما يلي تجمعوا الشباب و تامروهم بأن يقوموا بالمبادرة ويأتي من ورائهم كافة المواطنين نساء ورجالا. إن الأمة كلها تنتظر مبادرتكم بتضحياتكم ترفعون راس بلادكم عاليا ،وتزيلون عنها غبار جميع الشكوك وتفضحون المناورات الاستعمارية وتزحزحون أركانهم ،" التنفيذ واجب أكيد" [28]

حين بلغت الرسائل الى قادة اللجان الثورية عقدت اجتماعات سرية تسقيه بقرى ومداشر وأحياء وقصور مدينة ورقلة من أجل اتخاذ الإجراءات العملية و التنظيمية للمظاهرات.

وفعلا استجاب سكان ورقلة للنداء وخرجوا ذات يوم رمضاني (23رمضان1381)في مظاهرة صاخبة وتجمعوا بساحة الأحد وسط مدينة ورقلة متجهين نحو مقر عمالة الواحات. وهتف الرجال والنساء والأطفال بحياة الجزائر وجبهة وجيش التحرير الوطنيين ، والحكومة المؤقتة

28 - انظر نسخة من نص الرسالة عند عبد الحميد نجاح ، المرجع السابق ،ص 69

للجمهورية الجزائرية، رافعين الراية الوطنية[29]،ومنددين بسياسة فصل الصحراء ومرددين عبارات الله أكبر ،ومودين الأناشيد الوطنية الثورية(شعب الجزائر مسلم، من جبالنا، قسما بالنازلات الماحقات....).

وقد أطر مسؤولو وقادة اللجان التنظيمية الجموع المتظاهرة طيلة اليوم خاصة بعدما تأخرت زيارة الوفد الفرنسي الى ما بعد ظهر اليوم المعلوم.

هذا ولم تتخاذل قوات العدو الفرنسي(مشاة، مظليين، رجال شرطة ،مرتزقة،...)أن واجهت المتظاهرين المتجهين نحو مقر العمالة بمختلف الأسلحة ،حتى طاردهم عبر الشوارع والأزقة، فاستمات المتظاهرون وسقط منهم شهداء عديدين منهم الشطي الوكال بن حفض ،فضلا عن أكثر من عشرين جريحا[30].

29 - المجاهد، عدد 116 (09ه03 -1962)

30 - عبد الحميد نجاح، المرجع السابق،ص72.

2 -2 -2 -2: مظاهرات أخرى: وبعد أسبوع مباشرة تواصلت التأييدات الشعبية بتظاهرات مدينة تقرت[31] يوم استئناف مفاوضات إفيان الأخيرة في 07مارس1962،ثم في قرى منطقة الطيبات(النقر، الخبنة، أمية بن علي، الدليلعي، بن ناصر، بكار،...)والمفاوضات جارية خلال يوم13مارس1962والتي سقط على إثرها شهداء كثيرون منهم "مايو محمد بن الحاج، صالح غنديز، علي شوية، العايش خورارة، بشير خورارة، بوقصة الأخضر، محمد خيراني، محمد نواري بن محمود، محمد زروق نواري، خليفة بن جدو، محمد الصغير بلة،..."[32]، وعدة جرحى ومسجونين ومعتقلين بدار الشيخ بتقرت.

2 -2 -2 -3نتائج المظاهرات الشعبية: لقد أكدت المظاهرات على عدة أبعاد سياسية ثورية تاريخية وطنية ودولية ،فقد حققت الأهداف الآنية والبعيدة التي انطلقت

31 - شهادة المجاهد الضابط محمد شنوفي ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954،ملفات ووثائق حول "محاولات فرنسا لفصل الصحراءالجزائرية"،ورقة1966،سلسلة ملتقيات،ص327 -329.

32 - عبد الحميد نجاح، المرجع السابق، ص ص 190 -191.

من أجلها فقد أجبرت الوفد الفرنسي الزائر على إلغاء إجتماعه و العودة بسرعة و بخيبة أمل الى مدينة الجزائر و التفاوض الجاد عن مشروع الصحراء فرنسية و الإقرار بأصالة الصحراء الجزائرية.

إن استجابة الشعب الجزائري عموما وسكان منطقة الصحراء خصوصا وأبناء ورقلة بشكل أخص لأوامر قيادة الثورة أكد على شعبية الثورة التحريرية ، وكان ورقة رابحة وحاسمة فصلت في مسألة الإستقلال الوطني التام، وأكدت على الوحدة الوطنية في أبعادها السياسية والترابية والإجتماعية. كما جنبت هذه المظاهرات قارة وشعوب إفريقيا من كارثة نووية في حالة نجاح فرنسا في البقاء بالصحراء الجزائرية[33]

2 -2 -3: قضية الصحراء في المفاوضات الجزائرية الفرنسية: أما على صعيد المفاوضات الثنائية فقد كانت مشكلة فصل الصحراء من بين النقاط الأكثر تعقيدا وسببا في إيقاف وتأجيل المفاوضات بين الحكومة المؤقتة والحكومة الفرنسية عدة مرات ، لتثبت فرنسا بالصحراء ولقد كان

33 - المرجع، جد 102) 1961-08-14(

موقف الحكومة المؤقتة واضحا في هذا الشأن لا لإيقاف القتال ولا لإستقلال دون إعتراف فرنسا بالوحد الوطنية.

ولا بأس بالتعرج على بعض المفاوضات بهذا الخصوص فبعد لقاء "مولان(...) في 25 -29جوان 1960كانت محادثات"لوسيرن(...=) بسويسرا في 20 فيفري 1961، تناولت الجانب الجغرافي للجزائر وصرح"جورج بومبيدو(....) لممثل الجزائر الطب بلحروف وعلي بومنجل بأنه لا نقاش في قضية الصحراء فرد عليه علي بومنجل قائلا:" أن الصحراء جزء أساسي لا يتجزأ من الجزائر ولا يمكننا التنازل عنها"[34] . ورد أيضا الطيب بلحروف فقال :" إذن كذبوا علينا في المدرسة ، لأن الجزائر تظهر على الخريطة مع الصحراء بلون واحد وردي". وعليه انسحب الوفد الجزائري.

34 - المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954،ملفات ووثائق حول "محاولات فرنسا لفصل الصحراء الجزائرية"،ورقة1996،سلسلة ملتقيات ،ص68

وتجد اللقاء في نيوشاتل(...) بسويسرا بداية مارس1961،حيث تأجل التفاوض حول الصحراء بعد تقرير المصير.

وفي لقاء مدينة "إفيان(....) يوم20ماي1961 صمم الطرف الفرنسي برئاسة "لوي جوكس" منذ البداية على أن لا تكون الصحراء موضوعا للتفاوض ، ومع ذلك نجح الوفد الجزائري برئاسة " كريم بلقاسم " في إثارة المشكلة ووجد الفرنسيون أنفسهم مجبرين على الخوض فيها بطرح فرنسي حول الصحراء عرضه الوفد الفرنسي الذي اعتبر أن الصحراء قبل 1830 لم تكن خاضعة لدولة ما ، وأن قانون1902 هو الذي أعطاها تنظيما جديدا[35]، وأن الفرنسيين هم من بعثوا فيها التنمية الشاملة.

رد الوفد الجزائري مبرزا البعد التاريخي و الوطني الجزائري للصحراء ففرنسا قاومها سكان الجنوب مثلما فعل سكان الشمال، وأن دستور1947 نص على أن الصحراء جزء من الجزائر وأن المجلس الجزائري سنة1953،أعتبر المقاطعات الجنوبية جزء من الجزائر وأن الصحراء صحاري

35 - pierre Darmon ,un siècle de passions algériennes, une histoire de l'Algérie coloniale :(1830-1940),fayard,2009,p290.

متعددة كإقليم تابع لدولة ما ولم يسبق لدولة أن نافست فرنسا في الصحراء الجزائرية. وعليه توقفت المفاوضات في 13جوان من نفس السنة.

وبالرغم من ذلك فإن فرنسا قد ألحت على موقفها من الصحراء عند استئناف مفاوضات "لقران(...) قرب حدود سويسرا في 20جويلية1961، حيث ربط الوفد الفرنسي مصير المفاوضات بالصحراء وعمد إلى اعتبار الصحراء مشكلة مستقلة. وهذا ما أفشل المفاوضات في 28جوان1961. وفي 5 سبتمبر1961 صرح الجنرال ديغول معترفا بالصحراء كجزء من الجزائر وليس لفرنسا سيادة عليها واضعا جملة من مصالح فرنسا كحرية استغلال المحروقات المكتشفة واستعمال بعض المطارات وقبل هذه الأثناء كان المجلس الوطني للثورة قد اجتمع بطرابلس من 09 -27أوت1961 وعين بن يوسف بن خدة رئيسا للحكومة المؤقتة وقدم يوم24أكتوبر1961 اقتراح اعلان استقلال الجزائر مقابل التزام جبهة التحرير بوقف اطلاق النار وترك مسائل الأقلية الأوروبية والتعاون

الإقتصادي و الثقافي وجلاء القوات الفرنسية الى التفاوض مع حكومة الجزائر المستقلة.

تجدد القاء ثانية في بال"(....) السويسرية يوم09نوفمبر1961وقدم الوفد الجزائري ردود الحكومة المؤقتة على مسائل التعاون بين الطرفين وخاصة البترول. وبقيت مسألة تنظيم الإستفتاء عالقة لأن رئيس الوفد الفرنسي "لوي جوكس" ذكر أن الإستفتاء لا يشمل قبائل الطوارق الرحل بالهقار وقبائل الرقيبات بتندوف.

وفي ختام الجلسات طرح الوفد الفرنسي حرية فرنسا في الجزائر متابعة تجاربها النووية و الفضائية من خمس الى عشر سنوات واستعمال مطارات كولومب بشار، رقان، عين ايكير وبوفاريك لنفس الفترة وكذا بسكرة، تقرت، ورقلة، تندوف.

اجتمع الطرفان من جديد للتحاور في مدينة لي روس'...) بين 11 -19 فيفري 1962 ،وناقشا مختلف المسائل الشائكة واتفقا على المسائل المشتركة وافترقا على عرض مسودة الإتفاقية على حكومتي الطرفين، ثم الإلتقاء لتوقيع الإتفاقيات بشكل نهائي وعليه اجتمع المجلس الوطني

للثورة الجزائرية بطرابلس من 22الى27فيفري 1962 وصادق على الاتفاقيات بالإجماع.

عاد الطرفان للاجتماع بين07 -18مارس 1962 بمدينة إفيان حيث تم وقف إطلاق النار يوم الاثنين 19مارس1962.وحظيت مسألة الصحراء باهتمام خاص، فقد نص أحد بنود اتفاقيات أفيان على الإعتراف بوحدة التراب الوطني وبالصحراء في حدودها الحالية شمالها وجنوبها. أما ثروات الصحراء فقد جاء عنها "الدولة الجزائرية الحق في منح رخص التنقيب وهي التي تحدد التشريع المنجمي في نطاق السيادة الكاملة". كما تضمنت الإتفاقية مبادئ التعاون من أجل استثمار ثروات الصحراء و حلول الجزائر محل فرنسا في الحقوق و الإمتيازات. أما المسائل العسكرية بالصحراء فقد اتفق بأن توضع تحت تصرف فرنسا مطارات بشار وحما غير ورقان لمدة خمس سنوات ، على ألا تستخدم لأغراض هجومية[36] . وقد تم تجاوز هذه الإمتيازات الفرنسية

36 - خليفي عبد القادر،قضية الصحراء في اتفاقيات ايفيان،المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر1954،ووثائق حول "محاولات فرنسا لفصل الصحراء الجزائرية" ، ورقلة، 1996، سلسلةملتقيات،ص153.

بعد الإستقلال فقد نجحت الدولة الجزائرية في بسط سيادتها على مختلف المناجم و الحقول و المطارات والقواعد العسكرية.

ويعد التوقيع على اتفاقيات ايفيان انتصار حاسما للدبلوماسية الجزائرية حيث استطاعت أن تنهي حلم فرنسا في فصل الصحراء ، وبذلك تحق استقلال الجزائر[37]

وفي الاخير نقول أنه رغم محاولات فرنسا لفصل الصحراء الجزائرية فقد باءت كلها بالفشل بسبب يقظة ووعي أبناء الشعب الجزائري واستجابته لقيادة الحكمة التي تمسكت بثوابت أول نوفمبر1954 ، وحافظت على وحدة الشعب والتراب الجزائري. وهكذا تقاس الشعوب والأمم

37 - الحاج موسى بن عمر ، المرجع السابق،ص 207.

بما تقدمه من تضحيات في سبيل الوحدة والتحرر من أشكال التسلط و العبودية والتخلف ،وهذا ما أثبته أبناء مختلف مناطق القطر الجزائري في مقاومة مشاريع الإحتلال الفرنسي، مما يستوجب اليوم على الجميع، اليقظة والمحافظة على هذه السيادة.

مظاهرات 27 فبراير 1962 بورقلة وتداعياتها المحلية والوطنية

أذكار أحمد

مقدمة: أن المتتبع لمراحل التوسع الاستعماري الفرنسي في الجزائر، يقف على أن فرنسا لم تبدأ في ذلك إلا بعد أن تمكنت من احتلال جميع الثغور والمناطق القارية المتاخمة، وبعد أن تحصلت على معلومات جد هامة ومشجعة على التغلغل من تقارير الرحالة والمستكشفين والجواسيس المكلفين بهذه المهمة، حينذاك شرعت في الزحف نحو الجزائر العميقة، فاحتلت بوغار وتيهرت سنة 1843م وبسكرة 1844م والأغواط سنة 1852م [1] ، ومع مطلع العقد السادس من القرن التاسع عشر للميلاد، وبعد أكثر من عشرين سنة من الأحتلال، توجهت صوب الصحراء الشمالية الشرقية إلى الوديان الأربع، فاحتلت وادي مائة ورقلة يوم 27 جانفي 1854م، ودخلت وادي ريغ واحتلت المدينة تقرت يوم 05 ديسمبر 1854م، وزحفت نحو وادي سوف واحتلته يوم 26 ديسمبر 1854، وقيدت وادي ميزاب باتفاقية خاصة أبرمت

1 -عبد الحميد زوزو، الوضع في ورقلة قبيل الاحتلال الفرنسي" ، الأصالة، العدد 41 منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر1977، ص 105.

يوم 29 افريل 1853م[2] ، وما كاد أن ينتهي القرن التاسع عشر حتى وطأت أقدامها منطقتي تيديكلت وتوات.

وبعد هذا العمل العسكري الاستعماري الكبير الذي استغرق سبعين سنة، استطاعت في الأخير أن تضم الصحراء بقوة الحديد والنار وتقييدها بترسانة من القوانين الإدارية ذات الطابع العسكري الاستعماري انطلاقا من سنوات 1902و1903و 1905[3] التي تكرس في مجلها الحكم العسكري حيث يعين حاكم عسكري على كل جهة صحراوية، يكون تابعا لوزارة الدفاع، وبهذا لا وجود لبلديات ولا ميزانيات للتنمية المحلية، وكل ما بنى وشيد في هذه الفترة إلا وله صلة بخدمة المد الاستعماري بالجهة إلى غاية السودان الغربي[4]

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ج1، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، سنة 1992، ص359.

3 - محمد مبارك كقديد، الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية، دار المعرفة الزائر، 2013، ص18.

4 - ما شيد (الأبراج العسكرية) هي تلك البنايات المتميزة التي شيدتها فرنسا في الصحراء لإغراض عسكرية منها الترصد وسجن للمعتقلين، بنيت مع نهاية القرن التاسع

5 -عشر وبداية القرن العشرين نذكر منها (برج مينيبال – برج مامكماهون – برج ابيفال – برج لالان – برج فلاتيرس – برج بولينياك – برج موتيلانسكي، برج أوالن

وما يلاحظ أن الحاكم العسكري المعين يتمتع بصلاحيات واسعة جدا، وقد حاولت فرنسا إلغاء هذ النمط من الحكم الجائر بعد دستور 20 سبتمبر 1947 لكن هذا لم يتحقق، وبقيت الجهة تسير عليه إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية[5]

وبعد هذا العمل بقيت القوات فرنسية العسكرية تصول وتجول بالجهة، مستغلة كل ما يمكن استغلاله بالقوة مع تسخير المواطنين لانجازه من شق للطرقات، واستثمار فلاحي خاصة في منطقتي جامعة وتقرت. وبالموازاة مه هذا العمل الاستعماري الفرنسي كانت ثلة من خيرة أبناء الجهة وبالموازة مع هذا العمل الاستعماري الفرنسي كانت ثلة من خيرة أبناء الجهة على اتصال بقادة الحركة الوطنية في شمال الوطني بالرسائل وبالاتصال المباشر، ورغم صعوبة ما يقومون به إلا أنهم تمكنوا من نشر أفكار الحركة الوطنية والوعي السياسي بالجهة خاصة في وادي سوف وتقرت وورقلة، فاصبح هناك تمثيل لحركة انتصار الحريات

الديمقراطية (MTLD) وحزب الشعب (PPA)[6] والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA) وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

لكن فرنسا شددت الرقابة على الجميع، وكل من اكتشفت نشاطه وانتماءه لهذه التنظيمات السياسية إلا واعتقل وعذب في المراكز الخاصة التي شيدت لهذا الغرض في كل من ورقاة وتقرت تسمى (DOP) الدوب، وبعد اندلاع الثورة التحريرية 1954 -1962 م تحول هذا النضال السياسي إلى عمل ثوري حيث انتقل رجالات من الجهة إلى ساحات الوغى بالولاية التاريخية الأولى والثانية، فسيد روحو الحاج محمد مثلا التحق بالولاية الثانية التاريخية سنة 1956، الأولى والثانية، فسيد روحو الحاج محمد مثلا التحق بالولاية الثانية التاريخية سنة 1956م واستشهد برتبة ملازم بضواحي خراطة سنة 1958م، وسرحان حاتية يستشهد بالأغواط 1958 وغيرهم كثيرون اتصلوا بمراكز الثورة في الشمال قبل أن تصل إلى جهتهم.

6 - محمد حربي : الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب العيادي وصالح المثلوثي، موفم

وبعد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 الذي أضاف الولاية التاريخية السادسة، أصبحت الجهة مهيكلة وتابعة للولاية التاريخية الجديدة، وحسب تنظيماتها وتقسيماتها للصحراء وضعت ورقلة في المنطقة الرابعة الناحية الرابعة، وعلى إثر ذلك تم ضبط التنظيم الثوري أكثر من ذي قبل، فتكونت الخلايا الثورية والبلديات والمجالس،وابتداء من سنة 1957م ظهر النشاط الفعلي لهذه التنظيمات، حيث حمل لواءه في أول الامر التجار الكبار مثل شنين عبد وزبيدي عبد القادر وغيرهم حيث كانوا يعقدون جلساتهم في دكاكينهم وفي منازلهم، يجندون في الشباب ويضبطون في قوائم المسبلين، ويجمعون في التبرعات والأسلحة التي تجلب من هنا وهناك، وكل ما يقومون به يكون في سرية تامة، وترسل هذه التبرعات المالية والعينية إلى الولايات الأولى والثانية والخامسة[7] ورغم سرية هذا النشاط استطاعت فرنسا أن تخترقه وتكشف جانبا منه بعد أن تحصلت على وثائق تحمل أسماء الرجالات المدبرة والمسيرة للثورة بالجهة، فاعتقلت منهم المئات وزجت بهم في معتقل البرج الأحمر

7- برجم مهاك المدينة :البرج(الدليل)، ص، 20

ومعتقل الدوب بعين البيضاء، وحسب شهادة أحد الناجين من الموت المدعو عمر بن بلخير طواهير[8]، فإن هؤلاء المعتقلين عذبوا عذابا شديدا بالماء والكهرباء والنار، وفي النصف الثاني من شهر ديسمبر سنة 1957م أخذ الجلادون ثلاثة منهم وهو صفراني عبد القادر، والشنين عبد القادر، وزبيدي عبد القادر، وقيدوهم بالسلاسل وجروهم بسيارة عسكرية من نوع جيب، ورموهم أحياء في بئر تقليدي بحي بامنديل يوم 18 ديسمبر 1947م حسب شهادة عيان[9]، وسدت عليهم بالأسمنت المسلح الذي جلب من ورشة للبناء عين البيضاء، وبقوا مدفونين بهذه الطريقة في هذا البئر مدة عشرين سنة إلى غاية سنة 1982م يوم تم نقل جثثهم إلى مقبرة الشهداء بورقلة.

الاهتمامات الفرنسية بالمناطق الصحراوية:

مع مطلع العقد السادس من القرن للميلاد ازداد الاهتمام الفرنسي بالصحراء، بعد أن تبين لها أهميتها من حيث كونها فضاء للتجارب النووية، وتحتوي على طاقة شمسية

[8] - مقابلة مع المجاهد محمد القشري بومادة (1919 - 2000م)، بمقر مديرية الثقافة ورقلة يوم 10 فيفري 1999م، على الساعة 10.30 صباحا

[9] - عمر بن بلخير طواهير - رحمه الله- شهادة أدلى بها فيدار الثقافة ورقلة يوم 26 فيفري 1999م

كبيرة، وعلى سطحها وفي باطنها ثروات منجمية عديدة ومتنوعة، كالحديد والذهب والأورانيوم، وزادت قيمتها الإضافية بعد اكتشاف للبترول وتفجير أول بئر بمنطقة حاسي مسعود في 12 جوان 1956م[10]

وفي الحين شرعت في تشجيع وجلب الشركات البترولية الفرنسية والأوروبية والأمريكية وتشجيعهم على الاستثمار في ميدان المحروقات، وابرمت معهم عقود للاستكشاف والتنقيب، وسارعت إلى إنشاء وزارة خاصة بالصحراء، بموجب المرسوم رقم 57 -713 المؤرخ في جوان 1957م[11]، وعين عليها وزيرا يدعى ماكس لوجان، واضافت عمالتين جديدتين سنة 1957م إلى بقية العمالات الأخرى الموجودة بالجزائر وهما الواحات وعاصمتها ورقلة، والساورة وعاصمتها بشار، وأصدرت مرسوما آخر تنظيمي للعمالتين يوم 07 ديسمبر 1960م، وبدأت تعمل بكل ما أوتيت من قوة لإبقاء الصحراء تحت سلطانها، حيث استعملت عدة خطط

10 - مقابلة مع المجاهد مزاية مولود رحمه الله بمقر الأمانة الولائية للمجاهدين ورقلة يوم 18 فيفري 1993

11 - عمار منصوري: السياسة الفرنسية ومنهجية حيها التحرير في التصدي لها، سلسلة الملتقيات، ملتقى فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

ومراوغات لتحقيق ذلك منها أن الصحراء بحر داخلي وفضاء لا سلطان له حسب ما نصت عليه اتفاقية لالة مغنية المبرمة مع المغرب سنة 1845م، وأن الصحراء من صنيعها واكتشافها، وأن الصحراء ليست جزائرية فقط بل تشترك فيها عدة أقطار افريقية، وسعت إلى ايجاد زعامات محلية موالية لها، حيث حاولت إغراء أعيان ميزاب سنة 1959 ولم تفلح، كما حاولت كذلك إغراء أعيان الطوارق في أقصى الجنوب ولم نوفق وتقربت من أعيان ومشايخ الزاويا بورقلة وتقرت سعيا منها لإقناع الجميع بفكرة تقسيم الجزائر بفكرة تقسيم الجزائر وإنشاء جمهورية بالصحراء متعاونة اقتصاديا مع فرنسا، وأنشأت المنظمة الخاصة للمناطق الصحراوية بموجب المرسوم 903/57 الصادر بتاريخ 10 جانفي 1957، وضاعفت جيشها بالصحراء، ووسعت شبكة الاتصالات والمواصلات والمطارات، وكثفت الزيارات الرسمية رفيعة المستوى إلى الجهة.

ومع هذه المستجدات وهذه المخططات، زاد ضغط جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني من الناحيتين الدبلوماسية والعسكرية هذا ما أدى بالرئيس الفرنسي

شارل ديغول إلى قبول التفاوض على مضض، ودخل مع الحكومة الجزائرية المؤقتة (GPRA) في مفاوضات ماراطونية، اسالت حبرا كثيرا وأخذت وقتا طويلا.

وفي الثلث الأخير من سنة 1961م، عقدت سلسلة من اللقاءات التفاوضية في مدينة بال (Bale)[12] السويسرية بين الوفد الجزائري المفاوض والممثلين للإدارة الفرنسية، حيث تم لقاء في خريف 1961 يومي 28 و 29 أكتوبر، وآخر يوم 09 نوفمبر، بالاضافة إلى لقاءات ثنائية عديدة بين أعضاء الوفدين، وكانت دوما ترفع هذه اللقاءات بسبب تمسك المفاوض الجزائري بالوحدة الترابية التي هي مبدأ مقدس لا يمكن التنازل عنه.

استؤنفت المفاوضات من جديد مع مطلع سنة 1962م في مدينة لي روس (les Rosses) الفرنسية الواقعة على الحدود السويسرية في الفترة ما بين 11 و19 فيفري 1962م، وكان لقاء موسعا جدا من جانب الوفد الفرنسي، وضعت فيه خريطة طريق للمفاوضات القادمة بإيفيان وخلال الفترة

12 - العالي الغربي، السياسة الفرنسية لفصل الصحراء ودور القوى الدولية، سلسلة الملتقيات ملتقى فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، منشورات القصبة الجزائرية، 1998، ص263

المنحصرة ما بين محادثات لي روس، ومفاوضات ايفيان الأخيرة، قام المستعمر الفرنسي بنشاط مكثف في الصحراء ، بغية الحصول على تأييد وانتزاع امضاءات من اعيان ورجالات، و مشايخ الزاويا بالصحراء الشرقية والغربية وأقصى الجنوب، إذ عقد سلسلة من الجلسات السرية لهذا الغرض في كل جهة على انفراد لاقناعها مع فرنسا أولا، وإن أرادوا تنشأ لهم دولة في الصحراء تحت حماية فرنسا تشمل (الصحراء الجزائرية والليبية والنيجيرية، والمالية والموريتانية) ومن بين هذه الجلسات جلسة ورقلة التي عقدت يوم 23 فيفري 1962م[13] وأعلم المستعمر كل الأطراف المعنية الحاضرة، أنه بصدد تنظيم لقاء جهوي كبير تحضره نخبة من أعيان الصحراء، وبعض مشايخ الزاويا، وأعضاء مجلس عمالة الواحات مع وفد هام رفيع المستوى يمثل السلطة الفرنسية، وذلك يوم 27 فبراير 1962م الموافق لـ 23 رمضان 1381هـ، بمقر عمالة الواحات بورقلة تتم فيه المصادقة والإمضاء من قبل الحضور على

13 - بن يوسف بن خدة : اتفاقيات ايفيان، ترجمة لحسن زغدار وآخرون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص 29.

مشروع فصل الصحراء عن الجزائر، وإذ فعلوا ذلك فهم يؤيدون فكرة فصل الصحراء، وبقائها تابعة لفرنسا[14]

ومت إن علم قادة الثورة بما يحضر من مخططات ضد تاريخ وجغرافية الجزائر، من قبل المستعمر الساعي إلى تقسيم الوطن، من خلال انتزاع اعترافات وتأييد من الخونة وأذنابهم بالجهة في مسألة فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال، وابقائها تابعة لفرنسا، واستعمال هذا الموقف إذا ما تحقق ورقة ضغط في مفاوضات ايفيان المقبلة، حتى سارعوا إلى تثبيط هذه المخططات، وإفشال هذا المؤتمر الكبير الذي كان مقررا عقده بمقر عمالة الواحات بورقلة، وذلك بتنظيم مظاهرات عارمة صبيحة يوم 27 فبراير 1962م بورقلة. أي في اليوم الذي يحل فيه الوفد الرسمي الفرنسي والوفود الأخرى المشاركة في هذا المؤتمر.

التحضير لهذه المظاهرات:

ما إن تفطن قادة الولاية السادسة التاريخية لهذه المؤامرة، بعد أن وصلتهم تعليمات من الحكومة الجزائرية المؤقتة (GPRA) حتى شرعوا في التحضير الجدي لعرقلة وإفشال،

14 - نفس المصدر، ص. 36

ونسف هذا المخطط من أساسه، حيث كلفت الملازم الثاني محمد شنوفي (رحمه الله) قائد المنطقة الرابعة الناحية الرابعة من الولاية السادسة التاريخية بمتابعة هذا الموضوع، واستعمال كل الوسائل والسبل لعرقلته، ومنع تنظيمه، ولتنفيذ ذلك حل بورقلة بمعية المجاهدين: عثمان حامدي وعبد الجبار، وذلك يوم25 فيفري 1962 ليلا، ونزاوا بحي بني ثور[15] وفي اليوم الموالي 26 فيفري 1962م الموافق لـ 23 رمضان 1381 هـ عقد المجاهد شنوفي سلسلة من الاجتماعات واللقاءات، في حي بني ثور[16] وفي المخادمة[17] والرويسات وعين البيضاء وغيرهم، وفي هذه الاجتماعات أعطى تعليمات صارمة لتنفيذ هذه المظاهرات، وطريقة تنفيذها، وخط مسارها في المدينة، ونقطة انطلاقها ونهايتها، والشعارات التي ترفع فيها، والعبارت التي تردد، والسلاح الذي يستعمل عند الضرورة، وكان يحث دوما على تنفيذ

15 -مقابلة مع المجاهد ابراهيم بوخطة (أمين قسمة المجاهدين بورقلة)، يوم 25 مارس 2011م على الساعة 10.00 صباحا بمقطقة المقالن بمحافظة حبها التحرير الوطني بورقلة

16 - شهادة المجاهد شنوفي محمد، سلسلة الملتقيات، ملتقى فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، منصورات القصبة الجزائر، 1998، ص327

17 - مقابلة مع المجاهد محمد الشري يومذا، المصدر السابق

هذه المظاهرات ويقول: " إن الأمة كلها تنتظر كلها مبادرتكم وبتضحياتكم ترفعون رأس بلادكم عاليا وتزيلون عنها جميع الشكوك وتفضحون المناورات الاستعمارية وتزحزحون أركانهم[18]" (أنظر الوثيقة رقم 01 في الملاحق في الصفحة 15)

بعد هذه التوجيهات والتعليمات الصارمة، انطلقت ورشات التحضير وبسرية تامة في العمل الجدي بعد تناول وجبة الفطور يوم 22 رمضان 1381هـ الموافق ليوم 26 فيفري 1962م، حيث تم نسخ الوثيقة التي أملاها الملازم الثاني شنوفي محمد على الكاتب عبد الجبار في أربعة عشر 14 نسخة أو يزيد، أي بعدد المجالس البلدية بورقلة[19]، كما خاط المجاهدون ونساؤهم في هذه الليلة أكثر من عشرين راية وطنية[20]، وكتبوا اللافتات التي تحمل الشعارات التالية: (الصحراء جزائرية، الصحراء جزؤ لا يتجزأ من الجزائر، لا لفصل الصحراء..) وعينوا من يجمع بعض القبضان الحديدية من حظيرة

18 - نفس المصدر

19 - شهادة المجاهد ابراهيم بوخطة، محضر شهادات المشاركين في مظاهرات 27 فيفري 1962م بورقلة المؤرخ في 11 فيفري 1993م (أرشيف بلدية ورقلة)

20 - الملازم شنوفي محمد، الرسالة التي أرسلها إلى المجالس الأربعة عشر 14 بورقلة يوم 26 فيفري 1962م

الخردة بسوق السبت القديم بحب بوغفالة، لغرض استعمالها للدفاع عن النفس، عند الضرورة أثناء المواجهة مع القوات الفرنسية في المظاهرات، كما وفروا بعض وسائل النقل لتوظيفها في تبليغ الرسائل والرايات والعتاد، ونقل المتظاهرين، ومن بين السيارات التي سخرت لهذا اليوم المشهود سيارة نفعية من نوع بيجو 403 لأحد المجاهدين من حي بوغوفالة [21] و شاحنة لأحد المجاهدين[22] من حي القصر العتيق، وسيارة نفعية من نوع بيجو 403 لأحد المجاهدين[23] من حي بني ثور بالإضافة إلى بعض السيارات الفرنسية التابعة لمختلف المصالح الإدارية والعسكرية، جاء بها خفية بعض الجزائريين الذين سخروا أنفسهم لخدمة الثورة وهم موظفون في مصالح الإدارة الفرنسية، وقبل منتصف الليل من هذا اليوم الخالد تم توزيع الرسائل والرايات الوطنية على المجالس البلدية الأربعة عشر 14 بمدينة ورقلة الكبرى، وأسندت مهمة توزيعها وتبليغها لرجال أقل ما يوصفون به الأمانة والسرية والصدق واستعملت في هذه المهمة كل الوسائل منها سيارات المجاهدين المسخرة، وكذا السيارات الفرنسية وكان استعمال هذه الوسائل أكثر من ضرورة

21 - المجاهد محمد مشري بوعادة: المصدر السابق

22 - مقابلة مع السيد عاصم عامر، بمنزله الكائن بحي بني ثور يوم 22 فيفري 1996م على الساعة 10.00 صباحا، مع مجموعة من المجاهدين

23 - مقابلة مع المجاهد زيدي مصطفى، عضو الأمانة الولائية للمجاهدين بورقلة، بمكتبته يوم 20 ديسمبر 2012م

لكون هذه المجالس بعيدة عن مكان ورشة التحضير بحب بني ثور، حيث تتراوح أبعادها من 04 إلى 40 كلم وهذه المجالس هي[24]:

01 - المجلس البلدي بحي الروسات: كان يرأسه المجاهد عباسي العيد رحمه الله

02 - المجلس البلدي بحي سعيد عتبة: كان يرأسه المجاهد بخديجة مسعود رحمه الله

03 - المجلس بحي المخادمة: كان يرأسه المجاهد حمدات أحمد رحمه الله

04 - المجلس البلدي بحي الشط: كان يرأسه المجاهد العروسي مداني رحمه اله

05 - المجلس البلدي بحي بوغفالة: كان يرأسه المجاهد حسيني محمد رحمه الله

06 - المجلس البلدي بحي القصر العتيق: كان يرأسه المجاهد عانو ابراهيم رحمه الله

07 - المجلس البلدي بحي نقوسة: كان يرأسه المجاهد الحاج الأسمر قريسي رحمه الله

08 - المجلس البلدي بحي فران: كان يرأسه المجاهد عسال السعيد رحمه الله

24 - مقابلة مع المجاهد قبايلي محمد بن علي الصالح، يوم 22 فيفري 1993 بمقر دار الثقافة مفدي زكريا، بورقلة على الساعة 09.30 صباحا

09 - المجلس البلدي بحي بني ثور: كان يرأسه المجاهد صديقي محمد البشير رحمه الله

10 - المجلس البلدي بحي عين البيضاء: كان يرأسه المجاهد بن منصور علي الزقيق رحمه الله

11 - المجلس البلدي بحي البور: كان يرأسه المجاهد الحاج الاخضر بن زيد، شفاه الله

12 - المجلس البلدي بحي سيدي خويلد: كان يرأسه المجاهد فقال جلول رحمه الله

13 - المجلس البلدي بحي سكرة: كان يرأسه المجاهد الداوي الحاج احمد رحمه الله

14 - المجلس البلدي بحي عجاجة: كان يرأسه المجاهد خذران حمزة رحمه الله

وما إن وصلت هذه الرسائل والرايات إلى رؤساء المجالس الأربعة عشر14، حتى شرعوا في الحين بالتحرك على مستوى مجالسهم، وقاموا بالدعاية والتعبئة والتجنيد بمحيطهم وانطلقوا في الاستعداد المادي والبشري، وعينوا من يساهم في عملية التنظيم، وعقد كل مجلس اجتماعه طارئ لأعضاء مكتبه التنفيذي، قرروا فيه

الرسالة، وتعرفوا على طيفية تنظيم المظاهرات، وحددوا كلمة السر في تلك الليلة وهي " فاطنة حلي الباب"[25]

اختيار القصر العتيق كميدان للمظاهرات:

إن اختيار القصر العتيق وما جاوره من قبل المنظمين كفضاء لاحتضان المظاهرات، لم يكن عفويا أو عشوائيا أو جاء عن طريق الصدفة، وإنما كان مدروسا عليه إجماع لعدة اعتبارات منها لكونه يتوسط المدينة وهو عاصمة لها، ويحتوي على كثافة سكانية عالية جدا إذا ما قورن ببقية الاحياء الأخرى المشكلة للمدينة، ويتربع على مساحة اجمالية تقدر بثلاثين (30) هكتارا، يتوسطه سوق يومي يأوي إليه كل السكان ورقلة الكبرى، ويتكون من ثلاثة عروش، يساعد على التجمهر والتجمع بدون إعلام، ومحيطه الخارجي أكثر من واحد كيلومتر، وتحيط به الدكاكين والمقاهي والحانات من كل الجهات تساعد على التمويه، وبه العديد من المساجد، له سبعة ابواب[26]، يمكن استعمالها في الولوج إليه أو الخروج منه، وقريب من عمالة الواحات التي هي الهدف الرئيس من المظاهرات، ويمكن اختباء كل فار أو طالب للنجدة في المنازل المتلاحمة بالقصر شوارعه ضيقة وطويلة

25 - مقابلة السيد يزيد بوحفص يوم 22 فيفري 1996 م بمنزل السيد عاصم عامر المكنى بحي بني ثور ورقلة على الساعة 10.00 صباحا.

26 - شهادة المجاهد صديقي احمد: محضر شهادات الشاركين في مظاهرات 27 فبراير 1962م بورقلة، المؤرخ في 11 فيفري 1993م(ارشيف بلدية ورقلة)

وملتوية ومغطاة تساعد على تجنب الرصاص الحي في حالة استعماله من طرف الجيش الفرنسي.

وبناء على هذه المعطيات، تم اختيار القصر كمنطلق رئيسي للمظاهرات، ورسموا خطة لسيرها .

خطة مسار المظاهرات:

يتم التجمهر في سوق الأحد أو ما يعرف بسوق الحجر، ويمتد إلى مدخل باب باحميد، قرب نخلة كبيرة معمرة كانت هناك من نوع (تشرويت)، ثم يقومون بجولة استعراضية يطوفون بها عن القصر ثم يدخلون إلى القصر من الأبواب الجنوبية الغربية، ويتجمهرون قرب المسجد المالكي، والمسجد الإباضي لالة عزة، يهللون ويكبرون هناك لبضعة دقائق، ثم يخرجون من الأبواب الشرقية، ويتوجهون رأسا إلى مثر عمالة الواحات (Préfecture) [27] أين سينزل الوفد الفرنسي ويجتمع بأعيان الصحراء ووالي عمالة الواحات حمزة بوبكر حول موضوع فصل الصحراء، و بالتالي يثبطون ويعرقلون هذا الاجتماع ويمنعونه من الانعقاد.

إنطلاق المظاهرات يوم 2 فبراير 1962م

بعد هذا التحضير المكثف والجاد من النحيتين البشرية والتنظيمية، والمادية ورسم خطة سير المظاهرات، وذلك تطبيقا وتنفيذا لأوامر قيادة جيش التحرير الوطني، وبعد أن شعر المنظمون

27 - شهادة السيد عاصم عامر: المصدر السابق

بأنهم على أتم الاستعداد عاشوا ليلة رمضانية بيضاء، لم تغمض فيها أجفانهم، يحرسون و يترصدون لأي طارئ أو جديد، وينتظرون في طلوع فجر يوم السبت 23 رمضان 1381هـ الموافق ليوم 27 فبراير 1962م بفارغ الصبر.

لكن بعضهم كان متسرعا، ولم ينتظر بزغ الفجر، بل بدأ في تحرك مباشرة بعد تناوله وجبة السحور وعلى الخصوص مجلس القصر العتيق، حيث شرع أعضاؤه ابتداء من الساعة الثالثة[28] صباحا في تحضير منطقة القصر العتيق ومحيطه لكونه سيحتضن هذه المظاهرات، فجاءوا بسيارة محملة بالرايات واللافتات، وتنقلوا على متنها في القصر وما جاوره وعلقوا الرايات الوطنية في الأماكن التي حددها مجلسهم من قبل وهي: على مركز البريد قرب بلدية ورقلة، وعلى بوابة سنيماء[29] التاجر ابراهيم بن حمو بمدخل القصر من الجهة الغربية وعلى شجرة أثل عملاقة قرب المستشفى القديم بالقصر، وفي السوق القديم، وعلى بوابة مدخل باحميد[30]، وعلى مبنى مقر الأخوات البيض بالقصر، وبعد اتمام هذه المهمة، تفقدوا أبواب القصر السبع، وعندما تيقنوا أنهم على أتم الاستعداد، بقوا بالقصر عن طريق عيونها وأذنابها من (الشنابط) و (الحركى)، فقامت بنزع جميع الرايات التي علقت فجر هذا اليوم قبل الساعة

Daumas engéne : Le Sahara Algérien, Paris, 1845, p74.-28

29 - شهادة المجاهد قبايل محمد بن علي الصادق: المصدر السابق

30 - المصدر نفسه

08.00 صباحا، ولكن لحسن الحظ لم تتفطن لمغزى هذه العملية، واعتبرته عمل من أعمال الشغب المتودة عليه في المدينة من طرف الخارجين عن القانون في نظرها.

أما بالنسبة لبقية المجالس البلدية الأخرى، فقد بدأ رؤساؤها في التحرك بعد صلاة الصبح مباشرة أي ابتداء من الساعة السادسة 06.00 صباحا [31]، وانطلقوا وحسب الإمكانيات المتاحة بالسيارات والشاحنات المسخرة في نقل المواطنين من قراهم وأريافهم إلى المدينة على أمل أن يلتقي الجميع في سوق الحجر على الساعة 08.00 الثامنة صباحا وما كادت أن تدق الساعة المتفق عليها حتى كانت ساحة سوق الحجر والشوارع المؤدية لها تعج بالمتظاهرين يحملون تحت (قشاشيبهم) و عباءاتهم الرايات الوطنية واللافتات، وحتى بعض الأسلحة البيضاء الخفيفة لغرض الدفاع بها عن أنفسهم عند الضرورة، وأغلبهم يضعون عمامت (تعرف باسم الشاش في الجهة) على رؤوسهمن ويترقبون في لحظة الانطلاق التي سيعلن عنها المنظمون بين الفينة والأخرى، لكن بعد مرور الوقت المحدد لأكثر من ساعة أي تجاوزت الساعة 09.00 صباحا، ولم يعلن عن الانطلاق، انتاب المتجمهرون والمنظمون الملل والخوف، وتسلل إلى

31 -شهادة المجاهد مكتاب الهاشمي- يوم 22 فيفري 1996م بمنزل السيد عاسم عامر المقان بحي حي نور ورقلة على الساعة 10.00 صباحا

أنفسهم اليأس، فإذا بمخبر على الساعة 09.20 [32] يطوف على المنظمين، ويعلمهم أن قدوم الطائرة الناقلة للوفد الفرنسي قد تأجل وصولها إلى مطار ورقلة إلى غاية الساعة الواحدة زوالا 13.00، وبدورهم أعطوا الأوامر للمتجمهرين الذي سرب هذا الخبر موظف بسيط يشتغل بوابا (CONCIERGE) بعمالة الواحات الذي بعث شخصا ليعلم المنظمين للمظاهرة، بأنها جاءت برقية (Télégramme) إلى العمالة مفادها أن الطائرة الناقلة للوفد الرسمي الفرنسي التي كان من المقرر أن تنزل على مدرج مطار عين البيضاء بورقلة على الساعة 08.00 صباحا قد ماجل إلى غاية الساعة الواحدة زوالا 13.00 ويرى بعض المجاهدين [33] أن سبب تأخر هذه الزيارة كان عن قصد، لكون فرنسا قد علمت عن طريق عيونها وجواسيسها، أنها ستستقبل بمظاهرات عارمة بورقلة، فأخرت هذه الزيارة لمدة خمس 05 ساعات حتى ترهق وتتعب من يستعدون للتظاهر وخاصة وأنهم في شهر رمضان وصائمون، وفي الحين طلب المنظمون من الجماهير الانتشار في المدينة، والعودة مرة ثانية إلى نفس المكان على الساعة الواحدة زوالا 13.00، كما طلبوا من أصحاب الدكاكين والمقاهى أن يفتحوا محلاتهم من جديد، وبذلك يعيدوا للمدينة

32 - شهادة المجاهد قبايلي محمد بن علي السابق، المصدر السابق

33 - شهادة المجاهد محمد عبد القادر طواهير، محكوبة دونها بلثمه بتاريخ 11 فيفري 1993م، أرشيف بلدية ورقلة، الملفا الخاصة بشهادات مظاهرات 27 فبراير 1962م

حياتها ونشاطها الطبيعي، ويبعدوا عنهم كل الشكوك.

وفي حدود الساعة الثانية عشر وخمسين دقيقة 12.50، رأى المنظمون طائرة الوفد الفرنسي تحلق في سماء ورقلة، وفي الحين أعطوا الأوامر من جديد للجماهير المختفية في سوق الأحد و بالقصر وما جاوره بأن يتجمعوا بنظام، ويطبقوا أوامر المكلفين بتسيير العملية، وبعد أن التزم الجميع بالنظام في ساحة سوق الحجر، أخرج كل من عنده راية أو لافتة ورفعها [34]، وما أن دقت الساعة الواحدة زوالا حتى انطلقت المظاهرات يقودها المجاهدون يتقدمهم الشباب الذين كانوا يحملون علما وطنيا من الحجم الكبير، وأعلام أخرى صغيرة حملت في الصف الأول، وساروا في مظاهرة سلمية مرددين الله أكبر، ومنشدين للنشيد الوطني قسما، ونشيد من جبالنا، ونشيد شعب الجزائري مسلم، ويهتفون بحياة جيش التحرير الوطني، والحكومة الجزائرية المؤقتة وأن الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر، وأن الصحراء جزائرية وليست فرنسية باللغتين العربية والفرنسية وهم يحملون لافتات كتب عليها – الصحراء جزائرية – لا لسياسة التقسيم وفصل الصحراء – الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر.

34 -شهادة المجاهد شنوفي محمد، ملتقى فصل الصحراء، المرجع السابق، ص 329

وبينما هم يسيرون معبرين عن رأيهم وموقفهم، فإذا بالدرك والجيش الفرنسي ومجموعة من السيارات العسكرية من نوع أجيب تحمل الضباط الفرنسيين، وكذا الدبابات[35] والمدرعات، ووحدات من المشاة من بينهم عناصر من اللفيف الأجنبي السنغالي تحاصر المتظاهرين بالقصر والطائرات العمودية تحوم في سمائه، محاولين تطويق المتظاهرين، وحصرهم في القصر، ومنعهم من التوجه نحو عمالة الواحات وما إن رأوا بسالة واستماتة المتظاهرين، حتى شرعوا في رميهم بالقنابل المسيلة للدموع، لكنها لم تجدي نفعا ولم تؤثر في المتظاهرين، نظرا لكونهم يرتدون عمامات على رؤوسهم وتغطي وجوههم. وفي هذه اللحظات التي صعد فيها دخان القنابل إلى السماء، عم الصراخ ممزوجا بزغاريد النساء المشاركات في المظاهرات وكذا الواقفات على السطوح وبأبواب المنازل، وفي الحين شرعت كتيبة المشاة التي خرجت من الغابات المحيطة بالقصر في الرمي بالرصاص المطاطي، ولم يعبأ المتظاهرون بذلك والتحموا معهم وتمكنوا من قتل بعض العناصر الفرنسية واللحقوا الضرر بسيارة عسكرية من نوع جيب[36] حيث

35 - شهادة المجاهد محمد عبد القادر طواهير: المصدر السابق

36 - شهادة المجاهد بن مبروك: المصدر السابق

هشموها ورموها بعيدا فزاد ذلك من غضب المساة فشرعوا في إطلاق نيران رشاشاتهم المملوءة بالذخيرة الحية على الجموع الغفيرة من المواطنين العزل بدون تمييز، فلاذ المتظاهرون حينذاك بالفرار عبر شوارع وأزقة القصر العتيق، لكن كتيبة المشاة لم تمهلهم فطاردتهم في الشوارع، وفي الساحات وفي أي مكان توجهوا إليه، هذا ما أدى بكل فار صادفه باب منزل مواطن مفتوح دخل إليه بدون استئذان ليختبئ عن أنظار الجيش ورصاصه القاتل، وانتهى سيل المتظاهرين بالساحة الداخلية للسوق القديم بالقصر أين سقط الشهيد الشطي الوكال قرب عمود الكهرباء بجوار المسجد المالكي ويقول أحد المجاهدين [37] أنه حمل الشهيد جثة هامدة مع مجموعة من المجاهدين، ووضعوه في المسجد المالكي، وتواصلت هذه الاشتباكات بين كر فر ولم تنته إلا بعد أن خيم ظلام الليل، مخلفة وراءها شهداء وجرحى ومعطوبين وأسرى في صفوف المجاهدين، وقتلى وجرحى في صفوف العدو.

والجدير بالذكر أن مدينة ورقلة كانت كلها في هذا اليوم التاريخية في حالة استنفار، وحتى المساجين في السجون الفرنسية شاركوا في هذا الحدث بامكانياتهم الخاصة، حيث تمكنوا من

37 - شهادة المجاهد محمد عبد القادر طواهير المصدر السابق

الحصول على (قنبلة)، وفجروا بها المطعم المركزي بالسجن [38] وفي اليوم الموالي 24 رمضان 1381هـ الموافق ليوم 28 فبراير 1962 [39]، تم دفن الشهداء الخمسة 05 في مقبرتي سعيد عتبة، ومقبرة سيدي الحاج بحوص تحت حراسة فرنسية جد مشددة خشية أن تتحول المراسيم الجنائزية إلى مظاهرات أخرى،

الخسائر في صفوف المتظاهرين:

حسيب شهادة شاهد عيان ومن منظمي مظاهرات 27 فبراير 1962م يدعى بن المير مبروك (1924 -2000) فإن الخسائر البشرية في صفوف المتظاهرين والعدو كانت على النحو التالي [40]

01 - عدد الشهداء خمسة 05

01 - الشهيد الشطي الوكال

02 - الشهيد خليفة بن محمد خليفة

03 - شهيد مجهول الهوية

04 - شهيد مجهول الهوية

05 - شهيد مجهول الهوية

38 - شهادة السيد عاصم عامر، المصدر السابق

39 - شهادة المجاهد مسعود عبد القادر، مقابلة يوم 22 فيفري 1996 بمنزل السيد عاصم عامر المطلق بحي بني ثور ورقلة على الساعة 10.00 صباحا

40 - شهادة المجاهد ابراهيم بوعمرة، مقابلة يوم 22 فبراير 1996م بمنزل السيد عمار عامر المطلق بحي بني ثور ورقلة على الساعة 10.00 صباحا

ويبدو لي أن هؤلاء الشهداء الثلاث لم يتم التعرف عن هويتهم أنهم من خارج مدينة ورقلة ولا يحملون معهم أية وثيقة تدلنا على هويتهم

01 - عدد الأسرى واحد 01

01 - محمد بن عبد الله مهيري

03 -عدد الجرحى 20

04 - عدد المعطوبين 02

01 - محمد عبد القادر طواهير –بتر إبهام يده

02 - بن دقيش فرحات – بترت يده كاملة

الخسائر في صفوف العدو:

لقد تكبد العدو في صفوفه يوم المظاهرات الخسائر التالية:

01 تحطيم سيارة عسكرية من نوع أجيب

03 - خمسة عشر 15 ضحية بين قتيل وجريح (43) من بينهم يهود وحركى وجنود

نتائجها وتداعياتها على الصعيد النحلي والوطني:

لقد حققت هذه المظاهرات مجموعة من النتائج وكانت لها تداعيات على الصعيد المحلي، والوطني والديلوماسي وكان صدى إعلامي كبير تمثل ذلك فيما يلي:

01 - عرقلت فعلا زيادة الوفد الفرنسي القادم إلى ورقلة، إذ سجنته في المطار ولم يتمكن من عقد اجتماعه في مقر عمالة

الواحات، واكتفى بجلسة مصغرة مع والي العمالة حمزة بوبكر، وقفل راجعا على عقبيه دون تحقيق ما كان يصبوا إليه وجاء من أجله.

02 - ومن تداعياتها أنها كسرت الخوف من فرنسا وقوتها العسكرية، وشجعت جهات أخرى على التظاهر، حيث بعد اسبوع اندلعت مظاهرات أخرى من جديد على بعد 160 كلم في تقرت يوم 07 مارس 1962م والتي جاءت نتيجة إجتماع للقائمين على التنظيم الثوري بتقرت يوم 05 مارس 1962، الذي أكد بالاجتماع على تنظيم مظاهرة يوم 07 مارس 1962 م يوم عيد الفطر المبارك، ويم انطلاق مفاوضات إيفيان، وفعلا خرجوا في هذا اليوم المبارك بعد صلاة العيد في مظاهرة كبيرة رافعين الرايات الوطنية ومرددين عبارات (تحيا الجزائر والصحراء جزائرية) لكن فرنسا لم تمهلهم وشتت شملهم بدون خسائر بشرية ولم تمض إلا خمسة أيام من مظاهرات تقرت حتى كانت الجهة على موعد مع مظاهرات أخرى في النقر بالطيبات يوم 13 مارس 1962 وكانت هذه الأخيرة عنيفة جدا نتيجة التحضير الجيد لها الذي أنطلق منذ 07 مارس، وقد شاركت فيها جميع قرى ومداشر الطيبات، الذين تجمعوا صبيحة 13 مارس في وسط قرية النقر بحي السوق القديم، وعلى الساعة العاشرة صباحا تحرك الركب اتجاه زاوية سيدي علي بن الصديق، رافعين الرايات الوطنية ومرددين الله أكبر، تحيا

الجزائر، الصحراء جزائرية، لكن فرنسا لم تمهلهم فحاصرتهم بالدبابات والجيش وبالطائرات العمودية، وما كادت تصل الساعة الواحدة زوالا حتى بدأ القصف الجزي من الطائرات، والقصف البري من الدبابات، ومن نتائج هذه المظاهرة:

01 - اعتقال عدد من المجاهدين والمنظمين للمظاهرة وتم نقلهم إلى مركز التعذيب الدوب (dop) بتقرت.

02 - سقط في هذه المظاهرات 11 شهيدا وهم (غنذير صالح، شوية علي - خورارة العايش - خورارة بشير - بوقصبة لخضر - خيراني محمد - ذواري محمد - نواري محمد عبد الرزاق - جدو خليفة – بلة محمد الصغير – مايو محمد)

03 - برهنت للرأي العام الفرنسي والدولي أن الصحراء جزء لا يتجزأ من جغرافية الجزائر.

04 - بينت مما لا يدعوا مجالا للشك أن الثورة التحريرية، وتنظيماتها الثورية موجودة في كل شبر من أرض الجزائر.

05 - أعطت دفعا وقوة كبيرة للحكومة الجزائرية المؤقتة (GPRA) وللمفاوض الجزائري في مفاوضات ايفيان الأخيرة الملتئمة يوم 07 مارس 1962م

06 - مظاهرات 27 فبراير بورقلة تعد استفتاء وموقف واضح وجلي من سكان ورقلة و الصحراء قاطبة، بأنهم ضد مناورة سياسة فصل الصحراء وتقسيم الجزائر.

07 - وضعت حدا لمفاوضات مراطونية لا نعرف نهايتها.

08 - وعجلت باسترجاع السيادة الوطنية

09 - كانت هذه المظاهرات مادة إعلامية لبعض الصحف والإذاعات، حيث كتبت عنها جريدة المجاهد في عددها رقم 116 الصادر بتاريخ 09 مارس 1962م، وهذا نص ما ورد فيها " نظم سكان ورقلة في قلب صحرائنا المجاهدة مظاهرة صاخبة بعد حركة إضراب الذي انتظم ونجح مائة بالمائة، وأثناء هذه المظاهرة الجبارة التي جرت في ساحة البلدية هتف الرجال والنساء والأطفال، وراء العلم الجزائري، بحياة الجبهة والجيش الوطني الجزائري"[41]

10 - ذكرت في نفس اليوم في أخبار إذاعة بغداد، وفي إذاعة الجزائر من تونس على لسان الإعلامي المجاهد عيسى مسعودي "[42] الذي حيا ورقلة المجاهدة، وأثنى على صنيعها.

---

41 - شهادة السيد الخازن أحمد: عن"مظاهرات 27 فبراير 1962م ورقلة، قدمها لي مرقونة وبلغة بسيطة تميل إلى العامية يوم 27 فبراير 1999م

42 - شهادة المجاهد بن مير مبروك/ المصدر السابق

الخلاصة:

من خلال هذا العرض، يتبين لنا أن مظاهرات 27 فبراير 1962م بورقلة تعد تاريخية هامة من حلقات التاريخ الوطني بصورة عامة، وتاريخ الثورة التحريرية بصورة خاصة، وبرهنت مما لا يدعو مجالا للشك أن جذوة الثورة كانت مشتعلة ابان الثورة في كل شبر من أرض الجزائر وكل من اقترب منها إلا وحرقته، وبفضلها تحققت الوحدة الوطنية الكاملة والغير منقوصة للوطن وقضت على أطماع فرنسا وأذنابها في الداخل، وعلى حلم فرنسا الرامي إلى تأسيس دولة في الصحراء موالية لها، وأعطت نفسا قويا لجبهة التحرير الوطني، ولجيش التحرير الوطني وللحكومة الجزائرية المؤقتة (GPRA)، وللمفاوض الجزائري في مفاوضات إيفيان الخيرة بفرنسا المنعقدة ما بين 07 و 8 مارس 1962م، حيث بعد هذا اللقاء تم الاتفاق على توقيف إطلاق النار يوم 19 مارس 1962م.

لكن هذا الحدث التاريخي ما زال بحاجة إلى نفض الغبار عليه أكثر، من خلال إدراجه كمحور من محاور الملتقيات التاريخية الوطنية التي تتناول مفاوضات إيفيان، وتكوين فرق بحث في الجامعات الجزائرية تبحث في موضوع: السياسة الاستعمارية في قضية فصل الصحراء.

الملاحق

(الوثيقة رقم 01) نسخة من الرسالة التي بعثها العقيد لكحل إلى مجلس ورقلة